منى العينة جى



هزيمة الوعي

اشكالية التحور والتمحور

الدكتورة / منى العينه جي

هزيمة الوعي

اشكالية التحور والتمحور

مكتبة مدبولى

٢٠١٦

المحتويات

المقدمة

هناك العديد من الزوايا العقلية التي تنتج معرفة اجتماعية وتحاول علاج اعتلالات واضطرابات سياسية وكشف اسباب فشلها. وفي المجتمع العراقي برزت ظواهر متصارعة نتيجة تبلور وعي نبع من تاريخه ومن الواقع القلق والمضطرب، ولكن ما اثار انتباهي ليس هذا الموضوع، بل اشتراك الكثيرين في رتابة تفسير ذلك الوعي ونوعه حتى اصبحت صفات الوعي المتداولة وكأنها مواريث لا يجوز التلاعب بها أو تجاوزها، وفي ضوء ذلك وجدت ملاحظات وتعقيبات على صياغة عنوان الكتاب «هزيمة الوعي» وهو ما توقعته تماما فقد استوقف «هزيمة الوعي» الكثيرين، فمنهم من استفزه، ومنهم من استغربه، ومنهم من استهجنه، ومنهم من اعتبره خطأ، بل بعضهم طالب بتغييره ومنهم من اعتبره عنوانا جاذبا فقط، ومن الواضح ان الناس تعودت ما تسمعه من المفاهيم، واعتاد القراء على مفاهيم محدده عن الوعي الفوها ورددوها، مثل اللاوعي، وموت الوعي، وتزييف الوعي، وسلب الوعي، لكنهم لم يسمعوا «بهزيمة الوعي» فكيف يهزم الوعي؟ لقد استغربوه استغرابهم لأي جديد لم يتعودوا عليه.

في لحظة حرجة مثل لحظة الانتخابات في العراق التي يتحدث عنها الكتاب، كان لابد من التفكير خارج الصندوق، وخارج حدود ما الفه عقل القاريء عن الوعي، أو ما يسمى تغيير «البراديم» أي ايجاد صندوق جديد ومسار جديد للتفكير، والبراديم هي الفكرة التي راودتني خلال قراري بالكتابة عن الانتخابات وملابساتها المتعددة واعني التفكير والكتابة خارج الصندوق

الذي حفظ (لفظي اللاوعي وتزييف الوعي) الاكثر استخداما ضمن المسار المعتاد لتفسير ملابسات الخيارات الانتخابية السابقة، والفكرة جاءت نتيجة لرصد ظواهر يصعب تفسيرها بما هو متعارف عليه من اراء تلخص الحدث ونتائجه باللاوعي أو أن هناك تزييف للوعي ورغم انها بدت واضحة ظاهريا عندما اصر الأكثرية على اعادة انتخاب نفس الجماعة الحاكمة عام ٢٠١٤م، الا ان اجترار السبب في كل مرة اصبح نوع من العبث لانه غير قابل لان ينطبق عليه سمات العلم وهي: الوصف للحدث، والتفسير المنطقي لاكبر عدد من الاحداث المترابطة مع نفس الموضوع، والقدرة على التنبؤ للمستقبل. وهذا ما لا نجده في اختيار أي من المصطلحين السابقين.

لذا فان عشوائية تفسير كل ما يتعلق بالخيارات الانتخابية (باللاوعي أو تزييف الوعي) لا يمَكنا من ايجاد الحلول المقبولة، وأن الافكار المبعثرة تحتاج إلى البحث عن نظام جديد للتفكير، والتنقيب عن مسار اخر حين توضع فيه الاحداث يكون تتابعها مفهوما، وهذا ما اعنيه بتغيير مسار التفكير أو «البردايم» الذي كان نتيجته هو التوصل إلى حقيقة هي ان وعي الفرد العراقي هو وعيا مهزوما وليس وعيا منتصرا، وان سلوكه الانتخابي مرتبط بهزائمه كفرد، وجماعة، ومجتمع، ودولة، لذلك هو ليس لاوعي ولا هو تزييف للوعي، وان كل ما حدث في الانتخابات كما أراه هو نتيجة لأحداث تاريخية دونها الزمن وحفظتها الذاكرة والثقافة بشكل هزائم ومحن وارتدادات فتشكل بذلك وعي العراقي بنفسه وجماعته.

هنا تكون العودة إلى التاريخ حقيقة لابد منها للبدء بفهم مفهوم «هزيمة الوعي» الذي يمكن ان يكون مصطلحا، وذلك باستعارة مقولة ابن خلدون: «أن المصطلح لا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم، فهو اليق بمرادهم منه» عليه كل المفاهيم والمصطلحات المتداولة عن الوعي جاءت وفق احداثها وزمنها، واجد ان هزيمة الوعي يعكس بقوة عمق وخبايا وتفاصيل هذه الحقبة من واقعنا ومساره ومعارجه ومتاهاته وغفوته وتراجعه وانكماشه.

ما حدث في الانتخابات العراقية وما آل اليه الواقع الاجتماعي يمثل الارضية التي تم الانطلاق منها في هذا الكتاب ودفعني لاستدخال عنوان فرعي «اشكالية التحور والتمحور» حيث استخدام لفظ «التحور» بديلا عن مصطلح آخر مثل التغيير السياسي أو التحول السياسي ذلك للدلالة على عدم حدوث مثل ذلك النمط من التغيير أو التحول إلا شكليا، وان ماحدث ويحدث ليس انتقال نوعي باتجاه الديمقراطية بل انه لم يزد عن كونه تحور في درجة الدكتاتورية، مما يمثل انتكاسة لم يستشعرها إلا القليل ويمكن ان نصفها بانها انتكاسة انثروبولوجية ثقافية، فما بيننا وبين العالم فجوة مضاعفة، واللقاء مع الغرب كشف لنا عن تغاير واضح في ثقافتة السياسية أو توظيف ثقافته سياسيا فيما بقينا نُراوَحُ مكاننا، والدليل صورة الثقافة السياسية المتحورة والتي اطلق عليها ثقافة الديمقراطية بديلا عن ثقافة الدكتاتورية قد اصبحت اشد ضراوة وشراسة وفتكا في المجتمع العراقي، حيث دفعت المجتمع بوعيه المهزوم إلى «التمحور» سياسيا حول الجماعات الأولية (الدينية، والطائفية، والاثنية،

والمناطقية....) بشكل يحاكي ثقافة العصبية الجاهلية فالفرد ينتصر لها ويثأر ويضحي من اجلها، وبالمقابل التزمت ثقافة الجماعات بوظيفتها تجاه الفرد وشكلت وعيه بالشكل الذي يحقق حمايتها واستمرارها، ذلك ان وقائع واحداث التاريخ وهزائمه على وجه الخصوص والتي عاشتها الجماعات صاغت وعي كل منهم وشكلته ليكون بالضد من الاخر.

هذا النموذج الديمقراطي المتحور، لم يستطع ان يبرز ثقافة واعية موحدة للمجتمع تجاه الوطن، قدر الاصرارعلى الالتزام بوعي لايريد نسيان الهزائم التي عاشها الاباء والاجداد بل استغلت لترسيخ ثقافة الثأر، وان تعدد الثقافات الفرعية لم يغن الثقافة الام بل الغاها ليحل محلها صراع مرير على السلطة بين المتمحورين حول ثقافاتهم المتمثلة بالجماعات المختلفة مع تمكَن مريع داخل النفوس لرؤية منقوصة للمواطنة والوطن، وفهم منقوص للدين والطائفة، مما افسد وعي العراقي وتقلص فعله الايجابي فزاد المشهد تشوها وارتباكا وهزيمة.

الموضوعات التي تم تناولها لم تخرج عن وقائع ما يحدث في مجتمعات المنطقة عامة، من صراعات دينية، أو طائفية، أو اثنية، بل هي ليست حديثة العهد وقديما قال الشاعر ابو العلاء المعري:

ان الشرائع القت بيننا اِحناً   واودعتنا افانين العداوات

لكن دائرة التضاد بين مكونات المجتمع العراقي بدت اكثر وضوحا في التطبيق الديمقراطي، فلم ينظر للوطن نظرة حداثوية تتضمن رؤية للحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتنموية التي تغير طريقة الحياة

وتجعله ملاذا امنا، بل كان الوعي بالوطن هو ليس اكثر من حدود جغرافية يمكن ان تقطع فيها الارض لتحي الجماعات المتصارعة سياسيا على ما مخزون في باطنها ومنح ذلك بشرعية دستورية، ولم يدرك التاريخ كقيمة وفهم لاحداث ماضية يمكن ان يتم توظيفها لرؤية مستقبلية واسعة المديات تترفع فوق الصراعات، والخلافات، والاختلافات، ولم ينظر للدين والثقافة كرأس مال تستثمر قيمه العليا لتدفع إلى الاعلى وليس الدفع إلى الاسفل لتزداد اعداد القبور بسببها. بمعنى اخر ان كل ما يحدث هو هزيمة للوعي غيبت الفعل الديمقراطي الحقيقي.

لذا فان هذا الكتاب ليس نقدا لفكر معين أو ممارسات أو طقوس بل هو استعراض لوقائع ارى انها اودت بالمجتمع العراقي إلى الهاوية، حيث ان النزاعات المستمرة تطاولت على الانسانية، والعقل، والوعي وسلختها من النفوس. وتطاولت على الحياة وغيرت اتجاه عجلة الارتقاء ودفعتها مرتدة إلى الخلف. ويرتبك المشهد اكثر حين نستشعر بوضوح تقزم العقل حتى يضيق فيصعب الولوج إليه، ونكون اكثر ارتباكا حين يكون الرضا بالانكسار منهج للحياة، وخيبة الامل هي رفيقة الرحلة المُرة، اما التعشق بالجماعة فقد اصبح مبدأ ادى إلى تسيد العابدين الجدد فعبثوا بالحداثة ودفعوا بها إلى النكوص فأنحدرت إلى البدائية. عليه فأننا لانقدم حلولا ولا وصفات علاجية، قدر ما نستعرض ما اثبتته دورة الزمن من تراجع، فالتحول إلى الديمقراطية اصبح تحورا شرسا لم يوجد وعيا منتصرا مهتما بصناعة الحاضر والمستقبل، بل اهتمت ديمقراطية العراق بهزائم الجماعات في الماضي وتكلس الفكر تكلسا

شاذا بتمحوره حولها محاولا الانتصار من خلال الفعل الانتخابي، فبدا الوعي مهزوما.

في الختام اود القول ان مجموعة الرؤى والتحاليل التي جاءت في الكتاب قد تعين على التحرك تجاه المستقبل، أو هي تحرض المهتمين لايجاد الحلول، وانه مهما كان مقدار الجنوح الذي يمكن أن يستشعره القاريء فى التحليل والتفسير لما يحدث، فأنه لايتعدى حدود الحقيقة الموجودة على الارض، ومع ذلك فأن كل ما جئنا به هو في النهاية آراء واجتهادات تحتمل الخطأ والصواب.

ومن الله التوفيق

الدكتورة منى العينه جي

بغداد ــ ٢٠١٥م

اشكالية التحور والتمحور

(التحوروالتمحور) اشكالية عراقية؛ والاشكالية هي مشكلة متعددة الاوجه ومتعددة الحلول قد تكون كلها مقبولة وقد لا تكون كذلك وربما تكون حلولها متناقضة.

«التحور» كمفهوم يعني حدوث تغير فى الطبيعة الوظيفية الفكرية للانسان بحيث تتغير تلك الطبيعة ويتغير تاثيرها على ذاته وعلى الآخر، هذا التحور يؤدى إلى أحد مخرجين، اما ان يتأقلم الانسان مع الواقع ويعيش ويتعايش وينتج من ذاته انسانا جديداً.. وقد لا يمكنه ذلك فيفتك بنفسه والاخرين بعدة اشكال يكون احدها التمحور حول فكره أو ذاته أو جماعته أو حول شخص معين، «والتمحور» كمفهوم يعد من مظاهر التطرف لان المتمحورين يرفضون توجيه أي نقد لجماعتهم قد تصل إلى درجة التأليه أو ادعاء العصمة لها، لتتحول فيما بعد تلك الافكار أو الجماعات إلى قيمة عليا، يقيس المتمحور من خلال فكرها وقيمها كل شيء، وينظر من خلالها إلى كل الاشياء، بل يبقى حبيسها وان تعداها الزمن فيصبح مستعد أن يضحي بكل القيم الحديثة في المجتمع، ويدوسها تحت قدميه إذا تعارضت مع مصلحتها ومنفعتها. فيصبح متعصبا للجماعة والى كل ما يمت اليها بصلة، وتكون معاداة الاخرين سمة واضحة، وان كان رأي الاخر صحيحًا وواضحًا.

التحور وليس التحول باتجاه الديموقراطية في العراق ادى إلى مثل هذا التمحور المتطرف للافراد حول الافكار والجماعات، طوائف، أو عشائر، أو

اثنيات، أو مناطق، أو اشخاص، أو غيرها...، هذا التمحور هو ثقافة لا تتواجد إلا في المجتمعات المغلقة كما امسى واقع المجتمع العراقي بعد محاولة انتاج تنمية سياسية عن طريق الانتخابات، وحيث الانتخابات هي احد اوجه الديمقراطية وليس كل الديمقراطية التي تمارس في المجتمعات المفتوحة ولها ثقافتها الخاصة وقيمها التي تختلف عن قيم الجماعات التي يعرفها المجتمع العراقي لذلك فان الذي حدث هو محاولة استبدال قيم الجماعة بالقيم الديمقراطية فتداخلت مع بعضها، والحقيقة ان هذا تشوه ديمقراطي وتشوه في فهم الديمقراطية وهو لا يزيد عن كونه حداثة تشكو نكوصا.

تعتبر الجماعة وآراءها ومعتقداتها واهتماماتها هي الأكثر أهمية أو إقناعًا في عملية تشكيل أحكام الافراد على الآخرين سياسيا مقارنة بالأفكار والمعلومات الأخرى ذات الصلة بالديمقراطية، حيث لا يستطيع الأفراد المتمركزون حول الجماعة إدراك أفكار الآخرين بشكل كامل أو التعايش معها مع عدم قدرتهم على التعايش مع الواقع الذي يشير إلى أن الحقيقة قد تكون مختلفة عن الأمور التي يتبنونها.

ما يحدث في العراق اشكالية عنيدة قد لانجد لها حلا مقبولا، فالفتك بالارض والافساد بالوطن وطمس الهوية وتشويه الشخصية هي نتاج التحور الديمقراطي و(التمحور حول الجماعة)، وهي فكرتين متضادتين، لم يخلفا لنا إلا نهضة اسمية فاسدة وعلة عضال، ولا تصلح لوضعها حتى على مائدة النقاش لصعوبة فك الاشتباك بينهما، وهي هزيمة جديدة تضاف إلى سجل الهزائم الطويل في المجتمع العراقي، ولعل هزيمة الوعي هي احدى اهم هزائم

هذه المرحلة فلم تستطع الديمقراطية في العراق ان تبلور وعيا مستقلا ولا رؤية مستقبلية ولا فكرا جادا في النقد غير خاضع لضغوط العرف الراكد ولا قدرة تشخيصية بلا انحياز مقيت للجماعة، ولا تجاوز لصراع القديم والحديث بل كشفت عن معاناتها من الانقسامات فلا هي انتقلت من طور القبيلة ولا هي وحدت الجماعات والطوائف بمعنى لم يكن لها قدرة على تغيير المجتمع والاكثرمن ذلك انها كشفت ثبات، وجمود، وتحجر، وسلبية تجاه وظيفة الديمقراطية في المجتمع العراقي والتي يعتبرها العامة فعلا تعويضيا عن صمتهم وحرماناتهم أو بمعنى اخر هزائمهم التي طال آمدها، بينما اعتبرها المثقفون كما يقول «جورج طرابيشي» ايديولوجيا خلاصيةومفتاح لجميع الابواب المغلقة وفاكهة الجنة ودواء لجميع الادواء،غير انها اثبتت بعد (اثنا عشر) من السنوات انها ترياق لا يتحمله الجسم المريض حيث جاءت لنا بكل عذاباتها.

تطور في العراق نتيجة الديمقراطية وعي معقد لم يعي الهوة الحضارية بينه وبين العالم المتحضر ولم يسع للوصول إلى الديمقراطية الحقيقية فبرزت اشكاليات عنيدة وعصية يصعب ايجاد الحلول لها، فالشرعية القائمة على الانتساب للنبي وآله وحقوقها كأغلبية اجتماعية تعاندت مع الديمقراطية، وتقدمت في عصر الديمقراطية العراقية مصالح الجماعة على مصالح المجتمع، واستشرى نمو الجامع الفرعي على حساب الجامعة الوطنية اما الانحراف السياسي فقد نتج عنه صعود اشخاص إلى قمة السلطة على حساب قيم المؤسسة واحترام قوانينها وتأدية واجبها بما يضمن حقوق المواطنين، هذه السلبيات الاشكالية ادت إلى محاولة لخلق وطن لجماعة على حساب الجماعات

الاخرى (فكرة الاغلبية الاجتماعية والاقليات)، وتصلب النظام على اوضاعه وفقد القدرة على تصحيح اخطاءه.

لقد حاولت ان اوجز كل ذلك باشكاليات هزمت الوعي واثرت على الانتخابات:

الاشكالية الاولى :

اعتقال العقل داخل المذهب

نتجت اشكالية اعتقال العقل العراقي داخل جماعة المذهب بسبب غياب القدرة الاجتماعية على التحرر من وهم التسليم واتباع المرجع، والسبب هو غياب الفعل الثقافي المقابل (التدين) مع ترسخ ثقافة التمذهب في الوعي وبذلك ارجأ المُتمذهب العقيدة بعد ان ربطها بالمذهب فاصبح لكل مذهب عقيدته المضاف اليها والمحذوف منها، وهنا تسلطت قيم الثقافة المذهبية على العقل العراقي حتى اصبح المذهب كالقتيل الذي لابد من اخذ الثأر له، والثأر يؤخذ في الثقافة البدوية من أي من افراد الجماعة وهذا ماحدث، وتحور ثأر الماضي إلى ثأر الحاضر ليكون اكثر شراسة وامتدادا زمنيا ليثأر من الاخر. هذا الاعتقال للعقل يعتبر مجرد التفكير في مسلمات المذهب هو انتقاص من ثوابته وتنقيص له لذا فقد حصر التفكير في مرجعه الرمز أي ان ثقافة التمذهب مرتبطة بثقافة الرمز فهو من يقرر لهم وبالمقابل يرون فيه العارف المتنبأ بمستقبل الامور فيصبح وصي عليهم حيث الوصاية اصلا هي من الله، اما هو فيكون تابع للرمز الوصي، والتبعية يعني التحكم وبالتالي اعتقال داخل فكر مذهب واحد وعكسه مروق وربما زندقة وبذلك غُيب المخالف للمذهب مهما

جاء بالحجج واللجج، واخيرا فأن كل هذا يوصلنا إلى ان اعتقال العقل لن يحقق الا النقل عن الاوصياء والرموز وبالتالي لاحق له بالانتقاء الا من خيارات يضعونها امامه هي بصالح المذهب اولا واخيرا وان كانت مضرة له وبذلك اعتقل عقله داخل خيارات محددة وغير مسموح له يجدد ويحدث ويجتهد خارجها، فهزم الوعي وتنحى جانبا بسبب تمحوره حول مذهبه.

الديمقراطية المجددة والمحدثة للمجتمع مؤمنة بثقافة حرية الفرد وحرية خياراته وعقيدته أي انها تؤمن بالحريات ولا تؤمن نهائيا بالنقل أو التبعية فثقافة الديمقراطية هي ثقافة وطنية وليست ثقافة فرعية لانها تحقق مصالح عامة للوطن اجمع وليست لجماعة دون اخرى. والديمقراطية هي «حكم الشعب» ولكن عندما يصبح الشعب معتقل داخل عقل المتمذهبين، الذين يجعلون من المذهب هوية المواطنة، ذلك يعني هدم لركن من اهم اركان الديمقراطية. وهو حرية الخيار.

وما حدث في الانتخابات العراقية هو وضع المذهب بمواجهة الديمقراطية، فهي تختار المرشحين تبعا لعقليتها وعقيدتها بغض النظر عن امكانياتهم وهي خياراتهم ولا حق للناخب بالخروج عنها، كما تم الترويج لانتخابهم بكل الطرق منها «الوعيد بالاخرة» وهو خيار بين الجنة والنار، وليس بوعد دنيوي، أي ان الديمقراطية هنا اصبحت وسيلة لتحقيق آخرة وليست بحثا عن الدنيا وحقوقها، وهذا يلغي معنى انتخابات لها علاقة بالديمقراطية السياسية. لأن الاساس هنا أصبح سلطة غيبية تعلو الجميع، يتحكم بها أوصياء المذهب ومن يدور في فلكهم، والذين يدّعون أنهم يمثلون الله على الأرض. لذلك فأن كل

سياسي في ظل الديمقراطية لـه حق العرض عن نفسـه، وفـي ظـل هذا النظـام المتمـذهب يعمـل السياسـي علـى ان يقـدم عروضــه الانتخابيـة بطريقـة شـبه ديمقراطية فهو لايقدم برنامجا لما سيقدمه للمجتمع مستقبليا إلا بشكل ظـاهري ولكـن ضـمن أهم مـا يتضـمنه هـو بالتمسك غيـر العقلانـي فـي صـراعات مـع الماض حيث مقدسهم لا زمني فتبدو ايحاءًا بالتمسك بفضيلة الماضي للحصول علـى شـعبية مـا للوصـول إلـى المقعـد البرلمـاني أو كرسـي الرئاسـة، ذلـك بممارسات ومشاركات فعلية لطقوس المذهب امام الناس، بينما حياة النـاس فـي الواقع الحالي تتطلب تحقيق الحاجات المادية وليس الروحيـة، وبحكم الاعتقـال يصبح التمذهب داخل النظـام الـديمقراطي يدعو لانتخـاب مـن يوصـله لاخـرة سـعيدة عـن طريـق التمسـك بالماضـي، وهنـا يعنـي وجـوب اختيارالسياسـي المتمذهب.

وهنـا نصـبح أمـام تشـكيلتين متضـادتين متعاكسـتين لاتلتقيـان مـن حيـث الشرعية والأهداف. (التمذهب والديمقراطية) بل أختلطـت الـرؤى والتشـكيلات (الثقافيـة والاجتماعيـة والدينيـة) بـالرؤى والتشـكيلات المذهبيـة وتصـدر هـذا المشــهد جماعــات مذهبيــة متعــددة تحــورت الديمقراطيــة السياســية باتجــاه ديمقراطية متمذهبة لتكون اكثر سلبية عن طريق خطاب بدائي مشحون منحدر من صلب الاختلاف اعتمد احداث ووقائع الماضي والحاضر اجندة لـه، فحـرك المجتمع متوجها إلى الماضي ليستعير منه ادواتـه فـي محاولـة سياسية شـرعية شـكلا لاعـادة انتـاج نفسـه بديمقراطيـة متحـورة إلـى دكتاتوريـة مذهبيـة اكثـر شراسـة بالـدفاع عـن كرسـي الحكـم وإلـى مـا لانهايـة متوقعـة مـن الاحتكـار وبشمولية سياسية ومذهبية جديدة، دفع المجتمع بكليته ثمنها غاليا.

الاشكالية الثانية :

الانتصار للرئيس والجهل بالمؤسسة

اهم اسباب هذه الاشكالية هو غياب الايديولوجيا السياسية واستبدالها بقيم اجتماعية مضافا لها الخوف من التحرر من الولاءات الفرعية التي يجد العامة ان لا غيرهذه الولاءات يطعمهم ويكسيهم ويديم حياتهم (الارتباط بالجانب الاقتصادي)، وانعكست على الخيارات السياسية وبدت خلال هذه المرحلة اكثر استفحالا كونهم ضحايا الظروف الاجتماعية التي احاطت بهم فالانسان هو صنيعة احواله أكثر مما هو صنيعة ارادته الفردية أو تفكيره المجرد([1]) فتحورت الحقوق من حقوق المواطنة إلى السعي للحصول على حاجات اولية غذاء ودواء ومأوى لا ينفع فيها سحب الولاء أو رفض التأييد، فهي بمعنى اخرنتاج غياب العدالة الاجتماعية والمساواة وعدم توفير لقمة العيش بكرامة، وازدياد اعداد المهجورين والمنسيين من افراد المجتمع والذين غيب وعيهم لسنين طوال، مع فقدانهم لقدرتهم على معرفة حقوقهم وما يريدون من حاجات ومطالب انسانية تضمن حياتهم ومصالحهم كمواطنين وليس افراد منتمين لجماعات، اضافة إلى انتشار (الفكر الجامد) أو سيادة الجمود والركود في لحظة تاريخية، (الانتخابات) لابد ان تندلع فيها الحركة والفكر، فتراجع الفكر الحر حيث كان قد تفاقم عدد فقراء الراي الذين يصعب عليهم اتخاذ القرار أو الاختيار السليم بسبب تلك الولاءات العصبية ولجهلهم وحاجتهم، فاختزل الفكر ومنظوماته المختلفة بشخص أو اشخاص تم التمحور حولهم (فكرة عبادة العجل)؛ اى لابد من ايجاد زعيم تنحنى له الرقاب، ويعد ذلك هزيمة للوعي

١ـ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٤٢

الحر وتعايش وقبول بالواقع المنفرط من يد الحكومة التي نست على اى ارض من الحضارات تعيش.

أن تنحى قيم الثقافة السياسية مثل الاعتدال، والتسامح، والمعرفة من اسباب عدم البحث عن خيارات بديلة للرئيس، فقيم الولاء للمذهب والولاء للعشيرة والمنطقة والتفاعل الروحي والمعنوي معها هو تعبير وظيفي اجتماعي عن الحاجة إلى الامن والامان ويقوم على الامتثال والانقياد([1]) وهو من القوة والممانعة التي لا تسمح بالنظر إلى الجانب الاخر والتسامح معه أو التفكير به كبديل وان كان سيحل الاشكالات ويحقق للجميع مصالحهم، ويبدو الولاء هنا وكأنه يمتلك خصائص العصبية الجاهلية وهي أحد الانواع المندرجة تحت السلوك الإنساني. الذي يطلق على العصبية المذهبية، والعصبية الطائفية، والعصبية المناطقية. وهو سلوك يفرض على الفرد أن يسير في ركاب الجماعة، ولو كان يراهم على غير هدى، حفاظاً على بقاء الجماعة واستمرارها. فتحول الولاء من ولاء سياسي إلى ولاء اجتماعي عصبي لا علاقة له بمؤسسة الدولة، والمصالح العامة، والمواطنة، على سبيل المثال: تم تأسيس البيت الشيعي، والمجلس الاعلى للعشائر والذي يحتكم فيهم إلى جهات فرعية عند عجز قوانين الدولة، كلها تنظيمات بديلة لمؤسسات الدولة والاهم كلها تناصر الرئيس بطريقة أو اخرى. بمعنى اخر ان هذه المنظومة التقليدية

١ـ خليل احمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط١٩٩٥،١م، ص٣١٤.

مناقضة لوجود الدولة المستقرة.([1]) ومناقضة لتعاليم الإسلام الذي نبذ العصبية القبلية وأحل محلها طاعة السلطة السياسية ومؤسساتها بمعناها المعاصر.([2])

تعززت فكرة الولاء للرئيس والتمحور حوله مادام هو في السلطة أو في أعلى هرم السلطة وهو من صلب انتمائهم العصبي ويعرفون خطاه من اين تبدأ وأين تنتهي، ووفقا للمقولة الشعبية (شين الي تعرفة احسن من زين الي ما تعرفة) قامت الهزيمة بفرض نفسها على الوعي واحاطته بأطر من الذاكرة المتخاذلة المهزومة والمستسلمه والمتمركزة حول ذاتها التي تجد في (شخص ما) والانتصار له هو نوع من العصبية فيصبح هو الحامي الوحيد لها والمدافع عن حقوقها وحقوق الجماعة التي ينتسبون إليها هم الاثنين، فهو يكفيهم التفكير والتدبير والتخطيط والنظر والمشاهدة والتأمل وتحديد من هو الصديق ومن هو العدو وإلى أى معسكر ننحاز وبذلك تصبح الاشكالية ان تكون اكثر عنادا في الانتصار للرئيس وأن لم يحقق العدالة والمساواة وأن زاد عدد المنسيين في عهده كل ذلك ليس مهما مادام ينتصر هو للجماعة نفسها، وقد يكون ذلك الانتصار للجماعة شعارا يرفعه ليس اكثر.. ومع ذلك يبقى افراد الجماعة مستسلمين خاضعين لولائهم وليس العكس.

ان استحداث وقائع اجتماعية حقيقية توفر حقوق المواطنة عن طريق سد الحاجات الإنسانية المادية والمعنوية وتمكين الافراد من الاحساس بالانتماء للوطن عن طريق رفع يد الجماعة من التسلط اجتماعيا وسياسيا فعندما لايجد الفرد أي تأثير للجماعة على حياته يتحرر منهم ومن غيبوبته تدريجيا وتحقق

١ـ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر، ج١، ص١٠٠.
٢ـ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٦٢.

الديمقراطية السياسية اهدافها. لذلك تعمل الديمقراطية الاجتماعية عادة على تحديث الفكر اولا وترسيخ مفهوم المؤسسة وليس الفرد فهي التي تبنى الدولة الحديثة في العالم المتحضر وان ديمومة المؤسسة تديم الدولة، وأن ما يقضي على مقومات الدولة واستمرارها هو ان تقوم على افراد ويتم التعامل معها كملكية خاصة للرئيس، فانها تزول بزواله، كما هو الحال في كثير من الدول العربية وكما العراق كان وهو يسعى مجددا لان يكون كذلك بتحوير ديمقراطية (التعددية الحزبية) إلى ديمقراطية (تديم الدكتاتورية الجديدة) بمناصرة فكرة الملكية الخاصة للدولة يتداولها شخص واحد من الجماعة الحاكمة أو حزب واحد ينفرد بها.

أن تستند سلطة الحاكم على جملة معايير، ومفاهيم، وقيم، وقوانين مجردة عن الفرد أو عن أي هيئة اجتماعية لها نفوذ على مصير الدولة والمواطنين. هي ديمقراطية حقة مع ضرورة توافر قيادة سياسية لاتمانع التغيير وقادرة علي مواجهة المتشددين والمعارضين لعملية التحول الديمقراطي.

الاشكالية الثالثة:

تراجع المعاني الثقافية الكبرى امام الثقافات الاولية

مع تآكل الفئة الواعية والطبقة المتوسطة المحركة للمجتمع التي سحقها النظام السابق واجهز عليها النظام اللاحق، تراجعت المعاني الثقافية الكبرى (فالوطن والوطنية والمواطنة) تضاءلت امام معان اجتماعية بدائية كالاثنية، والعشائرية، والمذهبية، والمناطقية وهي تشكل مع غيرها من التفرعات ثقافات أولية، هذه تعالت فوق الوطن وسادت عليه، وأسست لكارثة راح ضحيتها

المجتمع بأكمله، فأصبح الافراد يعيشون في وطن لا يشعرون بالانتماء له أو الارتباط به.

تعرف وطنيه الفرد (الوطنية) بشعوره وانفعاله وبوفاءه وارتباطه العاطفي بالأرض والمجتمع، ويعبر عنها عادة بسلوك وتصرفات وأداء للواجبات وبمجموعة من القيم والمبادئ الإيجابية والأخلاقية، هذا التعبير الفعلي يسمى (المواطنة)، أي انها وسيلة لهدف، فالانتخابات مثلا والمشاركة الفاعلة فيها هي وطنية، وشعور، وانفعال وطني اما الاختيار الايجابي للاصلح للوطن فهو سلوك يكشف بشكل صريح عن قيم ومباديء المواطنة وهي اداء للواجب تجاه الوطن وتكشف عن مدى الوفاء له، بمعنى اخر ان الوطنية هي الجانب المعنوي والمواطنة هي الجانب العملي، والفعلي، والادائي الذي يحقق للوطن تنمية فعلية بسلوك يمارسه الجميع بعيدا عن خلافاتهم واختلافاتهم. لذلك فالمواطنة ثقافة ولا تعني فقط المعرفة التامة بمجموع القيم المكونة لها، وإنما هي الوعي بحد ذاته بأهميتها في الحياة والاقتناع بفاعليتها وممارستها في المجتمع لأجل تحقيق أهدافها، لذلك فان الاشكالية هذه تتعامل مع المواطنة كسلوك سلبي متوجه لصالح الجماعة حتى وان اساء للوطن.فهل نفهم ان العراقي يمتلك من الوطنية شعورها وانفعالها ولكنه غير قادر على ممارسة سلوك المواطنة الحقة بسبب وعيه المهزوم؟

هذا الشعور والانفعال الوطني الذي عُبر عنه سلوكيا بالتوجه لصالح الجماعة وبشكل معاكس للمواطنة اشترك فيه المثقف والجاهل والأمي بل اشترك الجميع في الأداء المعنوي والفعلي ولان المثقف هو المتميز بمعرفة

حقوقه وواجباته وحدود مسؤولياته ويمتلك وعيا مدنيا يربط بين مصيره ومصير الوطن، وتترسخ لديه ثقافة المواطنة، لذلك فان ترفعه عن هذه المعاني لصالح تقاليد يندمج فيها مع الجماعة، تعني تجاوز لمؤهلاته التي تميزه عن الاخرين، أو بمعنى اخر انه مثقف تنتفي بأداءه التقليدي الفعلي المتجاوز للمواطنة امكانية وصفه بالمثقف، هذه الازدواجية لدى المثقف الذي يكتب ويشييء الافعال، لم تكن شرطا لفعله السياسي والاجتماعي بل هي خرق لثوابت نوعه التي يفترض تضادها مع الاخرين وهو بذلك يغلق ابواب التجديد والانتصار على الوعي المهزوم، ويكون لا قيمة علمية، أو ثقافية، أو خلقية، أو روحية تميزه، ويمكن ان نقول ان وعيه بالحقيقة موجودًا ولكنه لا يستعمله ذلك ليكمل به الفعل العام وثوابت ثقافته الاجتماعية وبالتالي يرقن قيده من خانة المثقفين.

في حالة حضور هذا الوعي المهزوم لدى المثقف فإنّ ربط مصير الوطن باتجاهات أفراد لا تتوفّر فيهم صفة المواطنة الحقيقية يصبح نوعا من دفع المجتمع نحو المجهول وهذا ما حدث فعلا في المجتمع العراقي.

الصراع الاخطر هو الصراع داخل الجماعات وليس بينها، فتحورت الديمقراطية إلى ما اسماها البعض «ديموكراسية» في اشارة للنزاع الشرس على كراسي الحكم، وفي مناخ من الاحباطات نتيجة اخطاء وتراكمات عديدة وارتداد نحو قرون الولاء العصبي والخلاف الأزلي بين العشائر في العراق ونزاعات المناطق، فكل جماعة سياسية ينتمي إليها اعداد من الافراد ينتمون إلى عشائر مختلفة، فحدث الصراع داخل الجماعة السياسية بسبب الخلافات

الاجتماعية والولاءات العشائرية، انفصم الفكر العراقي ووقع بين فكي رحى حداثوية الديمقراطية، ورجعية الطائفية، والعشائرية، والاثنية، وطغيان فكرة الاقلية والاغلبية الحاكمة، فجاءت الانتخابات عام ٢٠١٤م بعد احد عشر عاما من التوجه نحو الديمقراطية معبرة عن عشوائية فكرية شاذة وشعوروانفعال وجداني تجاه الجماعة وليس المجتمع، وتقاعس عن التفكير الوطني وتهرب من مسؤولية المواطنة واداء الواجب الوطني وسيادة فكر معتل وثبات على الرؤية التعصبية رغم الوجوب الحتمي للتحول الذي كان يتطلب اسئلة عقلانية مع ضبط العاطفة البدائية للاجابة عليها، وتصعيد للحس الوجداني الوطني والوفاء للارض، وهذا ما لم يحدث بل كان التوجه نحو قبول الفشل في الخيار الديمقراطي والتكيف مع المشكلة التي يعيشها الجميع، والغاء وظيفة النقد العقلي لواقع الوطن والمواطنة والوطنية والخضوع للامر الواقع باستمرار نفس الوجوه الحاكمة، وهو امر يجرَح العراقي ويشكك بقدرته على الخيارات الوطنية ومواكبة التغيرات دون ان يعي ان استمراره المزمن واصراره في الثبات على الثقافة البدائية هو خيار لا يتعدى الجماعة الاولية يكاد يوصل المجتمع والوطن إلى منتهاه.

الثبات عادة يرتبط بمصطلح الهوية المتطابق مع الوحدة، وحدة الافراد والجماعات وكما يراها الفلاسفة الروحيون ان الوحدة لا اجزاء لها، وهي لا تعني في المفهوم الروحي سوى ثبات الشيء.وبذا فان الهوية تستلزم ادامة الثبات أو ادامة الوحدة لاستمرار الهوية التي تميز عن الهويات الاخرى. وهنا

يصبح الثبات نقيض للتغيير ومطابق للامتداد([1]). في العراق اصبحت الهوية الفرعية اكثر ثباتا من الهوية الاكثر شمولا وهي هوية الوطن بل يصعب التنازل عن الفرع من اجل الاصل. مما يعكس صورة عدم الانتقال إلى حياة المجتمع والبقاء على حياة الجماعة بمجرد توفر الفرصة وغياب القانون الوطني.

حكايات الثبات في العراق

اذا اردنا النظر للثبات من زاوية اخرى ونحن نعيش في عالم شديد التحول، وكل شيء في الكون متحرك، سنجد هناك نقاط ثابتة داخل ذات الانسان او خارجه، سواء كانت عقائد دينية أو دنيوية يتمسك بها ويصر أن لا يحيد عنها، لكن الخيار الانساني عادة هو الذي يتحكم أين يستخدم تلك الثوابت أو أين يضعها في حياته وموقعه منها، فهو قد يجعلها مطلقة وغيره يجعلها نسبية تقبل التحرك بما لا يؤثر على مصيره ومصير الاخرين وبالتالي مصير المجتمع، واخيرا هو من يقررهل يتحرر منها أو يتمسك بها. وقد وجدت ان العراقي شديد الاهتمام بالحفاظ على ثوابته بل فقد توازنه وسيطرت هي على مصيره.

يقول جورج كونتينو في كتابه الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ان حياة سكان بابل في حدود سنة ٦٠٠ قبل الميلاد تشبه بصفة وثيقة حياة سكان العراق حتى وقت قريب، ثم يتحدث عن اوجه الشبه في شوارع بغداد واسواقها المكشوفة في الهواء الطلق والسلع المعروضة للحرفيين وطراز بناء

١ـ عدي الاعسم، الجانب العقلاني في اللامعقول، بغداد، مطبعة بابل، ط٢، ١٩٨٦م، ص٩٤.

البيوت حسب المخطط الذي كشفت عنه التنقيبات في (اور) والتي يعود تاريخها إلى حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد في زمن (ابراهيم الخليل)، كما يتحدث عن حكم «نبوخذ نصر» (ذات النوعية التي يمكن رؤيتها اليوم)، كذلك يتحدث عن استمرار حركات النسوة وهن يولولن طبقا لرتابة موسيقية([1])..... كل شيئ مستمر كما هو منذ عصور ما قبل التاريخ بلا تغيير. ولو اردنا تتبع احداث وسلوكيات وثقافات عبر تاريخ العراق لوجدناها متقاربة متشابهة وان اختلفت الازمان.

الفترة التي أسست فيها الدولة العراقية الاولى (١٩٢١- ١٩٥٨م) تشبة بدايات تأسيس الدولة العراقية الثانية (٢٠٠٣م – لحد الان) من حيث تميزها بالتفجيرات والتمردات العشائرية والعقائدية مثل تمرد الاشوريين ١٩٣٣م، وتمرد الايزيديين ١٩٣٥م، وتمرد قبائل الفرات الاوسط، ١٩٣٦م وغيرها، ويقول (حنا بطاطو) ان القلق وعدم الاستقرار كان حالة مزمنة في العراق، وانه كان اكثر حدة وضررا في القرن (التاسع عشر) والقرون السابقة وان جذوره تمتد إلى الى حقيقة اجتماعية واحدة هي ان العراق كان وسيبقى بلد الكثير من الطوائف والقبائل، والاعراق المختلفة ذات الاراء المختلفة والاهواء المختلفة، وبشكل اكثر تحديدا فأن عدم الاستقرار هذا هو نتيجة طبيعية لعدم حسم الصراع المزدوج الاوجه والطويل الامد.([2])

١- جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ط٢، ص٤٩٩

٢- حنا بطاطو، العراق، ترجمة عفيف الرزاز، الكتاب الثاني، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة العربية الثانية ١٩٩٦م، ص١٢٠.

كانت السمة السنية للحكومة العراقية الاولى ١٩٢١م جعلتها رمزا لاغتصاب السلطة في اعين الاكثرية الشيعية وقد حولت العداء الشعبي إلى فعل ايمان، واصبحت معارضة الحكومة يومها مسألة غريزية.([١]) وهنا ينطبق على العراقيين بشكل خاص قول الشاعر العربي :

ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا وان عدل تماما كما يحدث الان ولكن بشكله العكسي حيث السمة الشيعية للحكومة جعلت منهم مغتصبين للسلطة وان جاءوا عبر صناديق الديمقراطية وان العداء لهم هو عداء فقهي وليس سياسي كما يبدو في مظهره العام.

عدا ذلك فان العراقي كثير النظر إلى الماضي بحنين، ففي ستينات القرن الماضي كان الكثير من العراقيين ينظروا إلى الوراء بحنين وإلى العهد الملكي الذي انتهى عام ١٩٥٨م نهاية قاسية كما هو معروف بحنين مع انهم كانوا يشعرون في ظل ذلك العهد انهم لا يمكن ان يحكموا بطريقة اسوء مما هي عليه([٢])، تماما كما هو اليوم حنين الكثيرين إلى النظام السابق مع انهم كانوا يعانون فيه الامرين، فما معنى هذا الحنين؟ انه محاولة للثبات.

سجلات الزعيم (عبد الكريم قاسم) وسجلات الرئيس (صدام حسين)، تؤكد ان الرئيس هو زعيم الثورة وحاميها والقائم عليها ولولاه لا تستمر الحياة لذا لابد من الابقاء عليه، وهذين الاثنين عند منزوعي الثقافة أو أن مخزونهم الفكري ضئيل، لهم مآثرهم المتوغلة للماضي وهم الاسطورة التي لا تنتهي وهم عادة يعظمون بل ينسبون إلى الائمة والاولياء نفس الفكرة تعود الينا مع

١ـ المصدر السابق، ص١٢١.
٢ـ المصدر السابق، ص١٢٤.

نظام يقال عنه ديمقراطي حيث بقي الرئيس يمثل نفس الصورة السابقة. والثبات عليها وهذه تمثل وجه من وجوه هزيمة الوعي وربما ترتبط بنمط التعليم حيث لا تأكيد على التفكير العقلاني المنظم وتؤدي إلى رفض ما هو قائم.

في (ثلاثينات واربعينات) القرن الماضي كان العدد الاكبر من السكان يعيش حياة بؤس يقابله على السلم الاجتماعي شريحة تضم من ضمن ما تضم السياسيين الذين اثروا بسرعة أو كما يقول عنها حنا بطاطو: «ولد الترف وسط البؤس»، واصبح الاثرياء لا يفكرون الا بانفسهم وكان هذا هو الاطار التاريخي المعروف للسياسيين الذي لم يفكر بغلق دائرة الفقر في العراق بل تمدد ليصل البؤس والحرمان إلى اقصاه في المرحلة الحالية بعد احد عشر عاما على الديمقراطية العراقية، ليزداد سوءًا ويزداد السياسيين الاثرياء ثراءًا على حساب المجتمع، ولم يشهد الزمنين تحرك الفقراء لمعاداة ما فوقهم.

الماضي القريب يحدثنا عن قصة الثبات والاستمرارية في الوعي العراقي وبالذات في موضوعنا حيث انتخابات ١٩٢٢م ورغم الاعلان بوجوب عدم التصحَب والمحاباة لأي حزب الا انها فشلت، واعيدت في عام ١٩٢٣م وتمت الانتخابات الاولى في العراق والمنطقة العربية، ولكن الزعماء العراقيون ورؤساء العشائر العراقية رفعوا للملك (فيصل الاول) بيانا يشير إلى ان «مجلس النواب لا يمثل الشعب» بسبب ما سمي حينها تصرفات غير مشروعة فيها. وما قيل حينها بجرأة من ان «الفكرة النيابية غير مناسبة

للعرب»، فقد تم انتخاب من يريدهم الملك([1])، هذا عدا تاثير فتاوى رجال الدين وتحريضهم على مقاطعة الانتخابات واستجابة المجتمع لهم، كل الاحداث كما هي الان نفسها تتكرر كأنها تعيد نفسها، فهل هي علة مستحكمة فينا واننا لا نريد التغيير ونسعى للثبات.

للدكتور (علي الوردي) عالم الاجتماع العراقي المعروف، راي ضمن اهتمامه بالدور السياسي للفرد العراقي عندما حاول دراسة ظاهرة الزعامة في كتابه وعاظ السلاطين وتعليل ضعف دورها كمؤثر في حركة المجتمع العراقي حيث لم تظهر زعامة حقيقية لاحداث التغيير فيه وعلل ذلك بحالة الازدواجية التي يتصف بها المجتمع، فالعراقي يطالب الزعيم ان يكون من المعصومين ويقيس تصرفاته بمقاييس اخلاقية وان الزعيم هنا هو فرد عادي لا يستطيع ان يتجرد من تفكيره لان القيود مغروزة في عقله الباطن وهو خاضع في مسيرة حياته في سبيل مصالحه الشخصية ومنافعه الخاصة وهذا ما يفسر التخلي عنه عند أول فرصة لا يطالهم فيها عقاب.

فما هي قصة هذه الرتابة والاستمرارية، هل هي الثقافة أم هو طبيعة الوعي؟ أم الرضى بالهزيمة؟.

هل ان الاخفاق في التحول نحو الديمقراطية والاستمرارية على دكتاتورية محورة هي تطبيقا لعقيدة ثقافية مفادها ان الكمال في الثبات وان التغيير نقص. أي ان ما يحدث الان من اشكاليات هو نتيجة الابقاء على شكل وطبيعة عقائد ومفاهيم وعمليات ذهنية وآراء معينة دون تغيير منذ العصور البعيدة

١- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م، ط٧، ص٢٦٥.

واستخدامها وظيفيا في مكان وزمان ظهورها في تطبيق ديمقراطي يعاني من النكوص وليس المهم مقدار عبثها في المجتمع.

ام هو الوعي الذي يدرك الانسان فيه نفسه وما حوله من زمان ومكان واشخاص، فالوعي الحر انفتاح على الحاضر والماضي والمستقبل. بينما الوعي العراقي المقيد وضع الحدود بين الازمان الثلاث وعلق ثابتا بين الماضي والحاضر، وغير قادر على رؤية المستقبل الا من خلال ثباته واستمرار ما تعارف عليه.

اذا كانت تهمة الرتابة والاستمرارية المخلة موجهة للثقافة، فيمكننا ان نعتبر عدم التحول والمحافظة على اكثر من اربعة آلاف عاماً من التاريخ البشري في بلاد الرافدين من خلال تفاصيله الثقافية، نوع من انواع الشلل الذي يصيب المجتمعات، فيحدث الخلل على صعيد الذاكرة الثقافية وبذلك تصبح الثقافة هي القوة التي تصادر الوعي.

ولو جرِّم الوعي بهذه الحالة فما تفسيره؟ انه الوعي المهزوم بحكم سلطة الماضي عليه. وانه محاصر بذاكرة ومشاعر تجريبية مترسبة عبر العصور تمنع تحوله، وان رد الفعل الوظيفي للذاكرة المهزومة انها اصبحت تستخدم الان بلا ادراك لنتائجها المستقبلية.

اما الوعي الفردي الذي يعني معرفة الانسان لذاته الفردية ولقدراته في اتخاذ القرارات ومعرفته بسلوكه العام والخاص، أو كما يقول الوردي في كتابه (طبيعة المجتمع العراقي) يقول: «ان كل فرد مسؤول عن نفسه وعن

اعماله واقواله فلا يسأل عنها أحد غيره من اقاربه أو ابناء محلته أو قومه على أي وجه من الوجوه»

العراقي لم يتعود الفردية لانه لم يكن بمعزلٍ عن التغيرات المستمرة لنمط وأسلوب حياة الجماعة المحيطة به والمرتبط بها وهو قد وعى هزائمها التاريخية، فوعى ذاته وقدراته بموجبها أي انه بفعل وقائع الحياة تلك تعرف على ذاته الفردية من خلال الجماعة وتمحور وعيه حولها بل ارتبط بوعيها، اما وعيه الفردي فلم يعرف الاستقلالية ابدا. وتلك هي الهزيمة الحقة أو الهزيمة الدائمة في المجتمع العراقي.

ومن ناحية اخرى فان العراق لا يمكن أن يكون وهو شعب الحضارات والروحانيات إلا من مكونات([1]). وهذه المكونات لابد ان تربطها بنية مجتمع واشتراط وجودي للانسان فيه، ويرى الدكتور علي الوردي ان التعددية القائمة على المبدئية وليس الشخصية من لوازم تقدم المجتمع اذ ان الجدل والتنافس حول القضايا يطور الناحية الفكرية فالفرد شديد الوعي واليقظة لمصالحه وان الجدل والحوار يبعد عنهم الركود الفكري، غير ان العراقي اثبت وجوده وجموده الفكري من خلال التمحور حول الجماعة الفرعية مع تبريرات لمجريات ما يحدث لكل جماعة وفقا لذاكرتها ومشاعرها وبالتالي لعبت دور منظم للاحداث ودفعت للاستسلام والاستكانة لها وبالتالي حافظت كل جماعة على عدم قدرتها على التحول واكدت استمراريتها وفقا لواقعها. اما القهر والفقر الذي عاناه الجميع فقد الغى الوعي بضرورة اتخاذ قرارات مستقلة

١ـ مقالة للدكتور متعب مناف جاسم، http://mcsr.net/manar/m_٢/٠٠٢.htm

للافراد واضطرتهم الحياة إلى الاستعانة بالفتوى الدينية وبالحكمة الشعبية وهي تمثل قوانين قدرية وفلسفة للحياة تنظم لكل امرئ حاجاته وطموحاته ليست الدنيوية فقط وانما الأخروية ايضا «فأن الله يحب الفقراء ويدخلهم جنته».

هذا الوضع ادى إلى تفكك البناء الاجتماعي متمثلا بمؤسساته بل اصبح منذرا بالانهيار بسبب التضاد بين المؤسسة السياسية والمجتمع إلى حد التقاطع والانفصال، حيث لم يعد هناك سلطة للدولة على الجميع بل تحولت إلى سلطة اسمية وصعود فئات اجتماعية جديدة لم تكن ذا تاثير، وحرصا على استمرار نظام السلطة، تم استغلال مذاهب وعشائر من اجل احتواء اوضاع معينة وتم تحويل بعضها إلى حركات اجتماعية تابعة لهذه الجماعة أو تلك كل منها يستخدم تاريخه للتسلط على وعي التابعين.

يعتبر العقل والتفكير هو الامل الذي سعت اليه الديمقراطية لانه الخاصية الوحيدة التي لازمت الانسان منذ بداية حياته وهي القادرة على تحويل مجرى الاحداث، فما دامت الاحداث متغيرة فان ثوابت العراقي لابد ان يكون لها شيء من المرونة لتساير المتغيرات أو كما قال ديكارت: «أنا أفكر إذن أنا موجود». فالذات والتفكير متلازمان. ولكن واقع العراقي اثبت انه يفكر ويتكلم بعقله وقيمه ولكن فعله يرتبط بغريزته لذا يمكن ان يكون تشبيه (وليم جيمس) للعقل البشري ينطبق على العقل العراقي الذي صاغ وعيه فهو يشبهه بخرطوم الفيل، أو مخلب الاسد، أو سم العقرب، أو قرن الخروف بمعنى ان العقل وسيلة يستعملها الانسان في صراع البقاء وبراعة العقل تتركز في ابتكار الوسائل أو جمع الادلة التي تساعد الانسان في التغلب على خصومه، وليس

للتغيير، وليس بعيدا عنا قول الوردي الذي تاثر بوليم جيمس وكثيرا ما يردد تشبيهه في تاكيد رأيه: «ان العراقي اكثر الناس هياما بالمثل العليا واكثرهم انحرافا عنها في واقع حياته»([1]).

تجسدت هذه الفكرة بوضوح في الانتخابات العراقية على مدى احد عشر عاما، وأثبتت كل فقرات التحول باتجاه الديمقراطية تمحور الوعي الفردي في الانتخابات حول الجماعة بدرجة تساوي درجة احساسها بهزيمتها الماضية والحفاظ على مكتسباتها الحالية، ورغم تفاقم اخطاء الجماعة السياسية الحاكمة في قدرتها على ادارة الحكم، واخفاقها في ارضاء الاخر، وعجزها عن حماية ناخبيها على الاقل من افات المجتمع من جهل، وامية، ومرض، وفقر، وبطالة، وعنف، وارهاب كانت عقيدة (الكمال بالثبات والتغيير نقص) هي الحاضرة يوم التغيير الموعود اقصد يوم الانتخابات بسبب سطوتها عليه ورغم شكواه ممن انتخبهم في المرة السابقة ووعيده لهم بعدم تكرار ما فعله اصبعه بمصيره، إلا أن الناخبين العراقيين المغلوبين على امرهم اعادوا إلى مقدمة المرشحين لكرسي الحكم مخلصهم الذي يعرفوه معتقدين بوجوب الابقاء على الجماعة من خلاله اما هم يكفيهم كفالة الله لهم بالجنة عن دنياهم.

حاولت هنا ان اتوصل إلى فكرة اجدها مهمة وهي ان العراقي يحاول الابقاء على اوضاعه ولا يغيرها، وذكرتني بهذه القاعدة العراقية رواية (جورج اورويل) التي كان عنوانها (١٩٨٤) وجاءت وكانه يتحدث عن العراق حيث يقول: «من يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي،

١ـ علي الوردي، شخصية الفرد العراقي ــ بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، منشورات دار ليلى ــلندن، ط٢، ٢٠٠١م، ص ٤٧.

والماضي من طبيعته قابل لاعادة النظر، ولكن لم يحدث ابدا اي تغير، ما هو صحيح اليوم هو صحيحا منذ الازل وسيبقى كذلك إلى الابد. والموضوع لا يحتاج الا لسلسلة لا تنتهي من الانتصارات على ذاكرتك أو ما يسمونها التفكير الازدواجي» وهنا يتطابق مع (بطاطو) عندما قال: ان سبب بقاء الصراع هو الفكر المزدوج وطول امده. ثم يكمل اورييل «ان الديمقراطية ضرب من المستحيل وان هناك حزب وصي عليها وعليك ان تنسى كل ما يتعين عليك نسيانه، وان عليك ان تفقد الوعي عن عمد ووعي ثم تصبح غير واع بعملية التنويم الذاتي التي مارستها على نفسك»([1]). هذا هو ما يحدث في العراق فعلا كما اراه.

ان بالامكان الابقاء على مايريد العراقي عن عمد ووعي أو بأحسن الاحوال ان يلجأ إلى تحوير الافكار مهما تغيرت الظروف وتحركت من حوله حتى لامست هذه الحالة الافكار السياسية وباتت تؤمن بالثبات على فكر شخص واشخاص بعينهم دون غيرهم كل ذلك مستعينا بفكر تقليدي راكد جعل الجماعة ارفع مكانة من المجتمع وان التمحور حولها هو المحقق لكل الطموحات. وليس ادل على هذه الفكرة الا ما قاله الدكتور علي الوردي([2]) حول عدم الايمان بالحركة، فالحركة لدى المتمسكين بفكر معين امر طارئ والسكون هو الاصل، ذلك يحقق لهم الطمأنينة والسعادة النفسية، وتلك صفات المجتمع الراكد حيث لا حركة اجتماعية تدفعه إلى الامام والذي يشبهه الوردي

١- جورج اورويل، رواية (١٩٨٤) رواية، ترجمة انور الشامي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦م، ص٤٢-٤٣.

٢- علي الوردي، مهزلة العقل البشري - محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطة، دار كوفان، لندن ١٩٩٤م، ط٢، ص٣٢.

بالانسان الذي يربط احدى قدميه إلى الاخرى فلا يقدر على السير، ورغم ان الحركة الاجتماعية تساعد على التغيير ولكنها تكلفه المجازفة والقلق من نتائج التغيير ولو كان جزئيا، ذلك لو كان راغبا به، وان لم يرغب فهو سعيد بحاله، والسعيد هنا هو الذي لا يملك قميصا ولا يريد ان يكون له قميص.

هزيمة الوعي

تقدم (شارل ديغول) وهو بطل قومي في فرنسا للترشح في الانتخابات الرئاسية لفرنسا ومعه خمسة من المرشحين، وقبل الانتخابات سمح للجميع بفرص متساوية للاعلان عن انفسهم في الصحف، والمجلات، والاساليب الاخرى، وكانت احدى الجرائد قد قامت باستفتاء أولي للبرامج الانتخابية، وهوعبارة عن اعداد خانات بعدد المرشحين وداخل كل خانة منها البرنامج الانتخابي لاحدهم مع ترقيم تلك الخانات دون ذكر اسم المرشح، وعلى ان يتم اختيار رقم الخانة، وكانت النتيجة بالطبع لصالح البرنامج الانتخابي الافضل وليس للأسم، وبعد المطابقة بين البرامج والمرشحين، تبين ان برنامج ديغول الانتخابي هو الفائز، دون ان يعرف الجمهور انه صوت لديغول قبل الانتخابات.

هكذا يبنى وعي الشعوب بادراك للصواب والخطأ وبالرأي الحر، وليس كما يُصنع وعي شعوبنا فيُرغم على التصويت للاشخاص وليس للبرامج، أو يوجه صوته بفتوى المراجع ورفع الشعارات المسبوكة وفرض قوالب فكرية، واستغلال للعقول المنغلقة، والمشاعر الحاقدة. وليس لذلك معنى الا هزيمة للوعي.

صندوق الاقتراع لوحده لايكفي لتحقيق الديمقراطية انه بحاجة إلى صندوق اخر الا وهو صندوق جمجمة الرأس ففيه العقل والوعي المشتمله على منظومة قيم متضامنة وثقافة أو نسيج العقليات الذي يستوجب لها ان تختمر اولا في صندوق الجمجمة، بل لابد من تضامن الصندوقين واتفاقهما

على راي للوصول إلى الهدف الديمقراطي، لكن وضع الحدود والعثرات أمام ثقافة الديمقراطية الفكرية وطرحها على بساط مباديء السياسة فقط هو اختزال للديمقراطية ومن الاختزال ما قتل([1]).

تكفلت الجماعة في العراق وليس المجتمع ولا الوطن باختزال الديمقراطية واحتكرت وعي الفرد العراقي بل اصبحت عينه وبصيرته ومشاعره، وهي التي تحدد رؤيته للعالم وان تلك الرؤية اصبحت معقدة فكريا، واجتماعيا، وتاريخيا. بل تكيفت الجماعات مع التحولات لصالح ايجاد وعي جديد مستند للهزائم مبتعدة عن زمام العقل لتصبح علامة بارزة للمرحلة بكل مشكلاتها وقضاياها.

وعي العراقي شَخص العلاقة بين الهزيمة المترسخة والفعل من اجل تحقيقها، أو بين الحاجات التي حرم منها العراقي طويلا والقدرات على تحقيقها عن طريق ديمقراطية صندوق الاقتراع. فكان الوعي الساكن في صندوق الجمجمة هو الوصلة التي تستخدم المفاهيم، والمعارف، والمشاعر المختمرة فيه وتربط بينها وبين الواقع المعاش؟ الوعي هو الذي ينظم ويستخدم تلك المعارف والمشاعر (ولا يقصد بالتنظيم اعادة ترتيب بل حذف والغاء واضافة). ليدرك بها وجوده ويدرك افكاره ومشاعره وحين تتحدد دائرة وعيه ويركز عليها، يصبح مدركا لمحيطه وزمانه، ومدركا للفرص والتحديات والامكانيات المتوفرة له في ذلك المحيط.([2])

١ـ جورج طرابيش، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقي، بيروت، ط٣، ٢٠١١م، ص١٧ـ١٨.
٢ـ عادل سعيد ال عواض، ايقاظ الوعي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١١م، ص١٥.

لذلك فأن الوعي ليس ما يراه بل ما يريد ان يراه ويركز عليه فالتركيز في امر ما لهدف ما باستخدام وسائل معينة يختارها الوعي هي التي تناسب ما يريد بلوغه([1])، فيصبح مذاق الوعي لذيذا عندما يتحقق الهدف ويتمثل بمقاربته المتميزة للدائرة التي تضم الموافقين والمخالفين على نحو يحفزه ليكون اوسع رؤية تجاه حاجاته واختياراته موسومة بمشاعره تجاه ذاته والاخر، فيختار نفسه ويستبعد المخالفين وفق منطق وعيه الجديد أو بالتحديد وفق ما يريد أن يراه فيهم، وهم مخالفين ألداء له؛ فيغريه وعيه بمذاق التفوق ليكرر الخيار ويتلذذ باقصاء الاخر ثأرا.

هنا تحولت الديمقراطية إلى ايديولوجيا خلاصية([2]) وتم الرهان بين الاطراف العراقية المتصارعة عليها، لعل فيها علاج لجرح كل منهم ذلك الذي ينزف عبر الماضي المكلوم بالهزائم مما جعل المخيال العربي يبحث عن معجزة غير مكلفة. فكانت الجماعة الفرعية باشكالها المتعددة في العراق هي مفتاح المفاتيح.

هذا الوعي المهزوم المتشكل لدى العراقي، هزمت الروح الحرة فيه وفقدت تماما القدرة على صناعة الحياة والوعي بالانسانية بعقله الفردي بلا مرجعية الجماعة، والوعي الفردي هو من سلامة الفطرة ونقاء العقل، فما الذى غير فطرة العراقى وما الذى لوث عقله، لعل السبب هو في الوعي الذي بدا يستعيد التاريخ كجزء من المواساة، وأصبح الوعي هو مشاريع طائفية سياسية كتعبير عن حالة الهزيمة في الواقع، ومحاولة العودة بالحاضر إلى الماضي

١ـ جورج طرابيش، مصدر سابق، ص٩.
٢ـ عادل سعيد ال عواض، مصدر سابق، ص١٨.

عبر تشكيلة بقوة صندوق الاقتراع مع تقهقر صندوق جمجمة الراس وكل مظاهر الحياة.

هنا تكمن الهزيمة، وهي العيش في دوامة الاخطاء المتكررة المتشابهة والبقاء في حالة الوقوع المستمر ولو ان تضع ثقتك في الشخص الخطأ ثانية وثالثة، وان لاتتعلم من التجربة من تنتقي ليحقق حاجتك، كل ذلك كي يحافظ الفرد على استمرار الجماعة في محاولة للإبقاء على مكتسباتها.

اما من نصب نفسه نموذجا للحق الذي يجب اتباعه يجد نفسه وحده المبصر بالادلة والموازين، يقابله نموذج اخر يحاول ان يسود صفحات الاخر ويبيض صفحاته ليثبت انه هو المبصر وعنده السفر الصحيح. هؤلاء هم الذين كرسوا جهودهم لتقديم الدين بأبئس واتعس صوره ويدخلون اليه من ابواب عصور الانحطاط ويسيرون الناس في ليله وظلمته الكالحة وحديثهم هو حديث المظلومين اوالسيافين فخلطوا بين الحقائق والاوهام والانفعالات([1]).

لكن الانسان العراقي لم يشعر بالهزيمة والغضب والإنكسار.. ولا بالثّانوية والهامشية وعدم الثقة بالوطن والنظام ولا بالخجل من هويّته وثقافته المترنحة، ولم يشعر انه غير قادرٌ على التفكير والإختيار والقبول والرفض، وان الاجيال المولودة الآن محرّرة من الاوهام التي أصابت وعينا وقيمنا.. إنّه جيل لا يعرف الهزيمة، لانه ببساطة لايعرف انه مهزوم ويعرف أن العالم الكبير أعجز من أن يساعده على بناء وطنه، وتحريره والإنتقال من السلطة إلى

١ـ فهمي هويدي، تزييف الوعي، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م، ص٣٦.

الدولة، أو من الأوهام إلى الأحلام ويعبرعن ذلك كله بيوم الانتخابات وهو يوم ذلك الوعي المهزوم.

اذن هل يسترد العراق وعيه المنتصر يوما، وهل سيخرج من حصار الوهم والغفلة، هل سيتابع اللجج والخصام بهزيمته شاقا عصا لحمة العراقيين، هل من ينهي الشقاق ويلم الشتات. ام ان الوعي وهزيمته أصبحت من مقومات الوجود والحياة فيه.

لاشك ان تلك الهزيمة شخّصت بشكلها الواضح في الانتخابات العراقية ولا نجرؤ على القول ان العراقيين كانوا ضحية وهم اسمه (الديمقراطية)، لانهم يعتقدون انهم منحوا حرية ممارسة حقهم في الخيار الانتخابي لمن يمثلهم، وفقا لنظم متعارف عليها، المشكلة ان هذا النظام الانتخابي اسهم بفقدان العراقي وعيه بالمواطنة وانتماءه للوطن والولاء له. بل ان الدولة اساسا لم تعترف به مواطنا عندما فرضت عليه صيغة اجتماعية للانتخاب وليست صيغة سياسية، فالقوائم الانتخابية اجتماعية بصيغتها الموضوعة وتمثل مذاهب واديان وعشائر وقوميات وجماعات اخرى، بلا برامج انتخابية حقيقية للنهوض بالوطن، بل هي تلامس مشاعرهم البدائية برموزها وموديلاتها بمعنى انها لا تمثل دعوة للوعي بالذات كمواطنين عراقيين، بل هي تكرس الوعي بالذات الطائفية، والدينية، والعشائرية، والقومية بكل هزائمها على مدى تاريخ العراق.

من ناحية اخرى الانتخابات اسست لنوع جديد من الوعي يمكن ان نسميه الوعي الموهوم فحقوق المواطنة تتعدى الحدود الدنيا للحاجات الاساسية ولا

تستدعي التصويت والانتخاب لاشخاص يمثلون طائفة أو عشيرة أو قومية من اجل توفير لقمة كريمة، وماء نظيف، وملبس، وسكن، وعلاج غير ان الابقاء على مشروع الحاجات وحرمان الناس من حقوقهم الاساسية لمدة ثمان سنوات والعزف عليه واضافته إلى مشروع الوصول إلى السلطة وفيما يحقق مصالح السياسي وهو احد فروع تأسيس وعي تجزيئي للمواطن فلم تعد حقوق المواطنة تمنح العراقي شيء، بل الخير يأتي من الاقربين الفائزين بالسلطة.

المعنى ان تنتخب طائفتك أو عشيرتك أو قوميتك يعني انك تختار وفق مفهوم العصبية ولا تثق بالاخر أو بالمعنى الاجتماعي لا تثق بالغريب، ويعني لوعي مهزوم تجاه مفهوم الوطنية والخوف من انفلات السلطة من ايدي الجماعة الفرعية التي تنتمي اليها، تلك الجماعة التي تخاف من خيانة الاخر لها وانهيار الاعتبار الذي تعيشه الان، لا سيما وان تضخم فكرة الاحتماء بالماضي والتراث هي فكرة وظيفية دفاعية وجودية تخدم اغراض الاستمرار للجماعة لكنها متعارضه مع مصالح الفرد العراقي المقهور وتحول دون التحول أي هو العمل على فرض الهزيمة على وعيه عن طريق ابقاءه متصلبا تجاه تمسكه بالتقليد دون النمو والانطلاق لا حرصا على الوطن بل بسبب الاحتراس من عودة الاخر المعارض ولكل من هذه الحالات ابعاد سياسية أو طائفية أو سايكولوجية مريضة([1]). المفكر الإيطالي (أومبيرتو إكو) تحدث عن اساليب لوضع الشعوب «تحت السيطرة» حيث يتم السيطرة علي المشاعر والأفكار والغاء الوعي الطامح للانتصار بطريقة ممنهجة واستخدام مفردات

١ـ مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي ـمدخل إلى سايكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١٠، ٢٠٠٧م، ص١٢٠.

لغوية معينه تساعدهم علي ذلك ويتم تكرارها، مثل (لن ننسى اصلنا، اعمل بلا تفكير لانك تعمل من اجل اهلك، المعارضة لراي الجماعة خيانة عظمى، المصالحة تحالف مع الاعداء....).

كل هذه العبارات وغيرها سمعها العراقي وشكلت وعيه وهو وعي هزم ارادته بالتغيير الحقيقي، فلا حيلة له وهو يجد نفسه امام ما لايريده وعيه بذاته الحر ولكن عليه ان يختار منه بوعيه المهزوم.

المواطنة والوعي بها لم تتطرح كاشكالية من الاشكاليات الاجتماعية أو السياسية، بل ان العراقي لم يستشعر نفسه الا وقد سقط في مطب الخلط بين الاجتماعي والسياسي، بل اصبح الحديث عن الوطن وجذوره وحضارته وتاريخه امرا غير واقعيا امام الحديث عن الفروع، والاغصان، والاوراق حتى الذابلة منها. بل تقطع البعد الجغرافي ليصغر ويختلط بالبعد الاجتماعي الضيق.

الحقيقة الاولى للمواطن تظهر في شكل علاقته بالارض وهي علاقة ثنائية وتتمثل في استمرارية وجوده عليها وتفاعله مع من يتواجد بمعيته عليها أو بمعنى اخر فكرة الانتساب للارض والجماعة معا، هذا التوطن يمكن تمييز نوعين منه:

النوع الاول: يصيب الفرد في علاقته الخاصة ببقعة الارض المعينة، يرى النور فيها وينشأ ويترعرع في مدارجها أو ينتقل اليها ويستقر فيها متفاعلا مع الساكنين مثله فيها.

النوع الثاني: يصيب الجماعة الشاملة المتميزة التي ينتمي اليها الفرد وتفاعله معها ويعرف بها عبر الاجيال([1]).

وخلال مرحلة الحروب التفكيكية للمجتمع العراقي التي ابتدأت منذ عام ١٩٨٠م ولحد الان وما تخللها من حصار واحتلال وعنف، فأن منطق المواطنة والوطن لم يستكمل التعبير عن شخصيته وارادته كدولة واحدة مستقلة. فتصبح المواطنة ظاهرة نفسية اجتماعية قوامها حب الوطن ارضا واهلا مع السعي لخدمة مصالحه. أو بعبارة اخرى ظاهرة نفسية فردية وجماعية، تدور على التعلق بالجماعة الوطنية كاملة وارضها كاملة ومصلحتها وتراثها والاندماج في مصيرها، وهنا يتطابق الوطن الجغرافي مع الوطن السياسي من خلال وحدة الجماعة الوطنية([2]) الذي يحدث الان هو ذلك الالتزام مع الجماعة الفرعية على حساب الارض (الوطن والوطنية) لا رفضا للارض التي تمثل المال والعرض، بل هو تحول الوعي إلى اختيار حاكما من الجماعة الفرعية الذي يمثل الحماية والامن والشعور بالهوية الذاتية ليكون محكوما منه وبالتالي يتحول الحاكم إلى سيدا، والناخب عبدا ولا يمتلك العبد عادة إلا الطاعة ولقمته المتبقية من فتات ما اكل سيده ليديم بها حياته.

تبرز هنا ظاهرة الانشطار العاطفي لان الحاكم هنا تحول من رمز الامان إلى متسلط ورمز الخطر والموقف منه يستوجب التجنب والحذر، فيهزم الوعي ويغترب ويخضع مؤمنا بالامر الواقع.

١ـ ناصيف نصار، في التربية والسياسة ـ متى يصير الفرد في الدول العربية مواطنا، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥.
٢ـ المصدر السابق، ص١٦ـ١٧.

خلال التفكيك، واللاستقرار، والضغط، والقهر، كانت جماعات الحكام من المؤمنين أو الادعاء بذلك بديلا ليشكلوا دولة الاتقياء المؤمنين وليس دولة المواطنين، حيث يعرف المواطن بانتمائه العقائدي مع انه ليس جميع افراد المجتمع يؤمنون بنفس العقيدة، فما هو المضمون الاخلاقي الذي يتم التعامل من خلاله، نحن نحتاج إلى تحليل نظري دقيق للتمييز هنا بين الفكرة والفعل. وكيف يتموضع الوعي بينهما، ودور الحاكم ودورالاتباع الاتقياء المؤمنين لاسيما خلال الاقتراع العام أو الانتخابات وواجبات الناخب تجاه جماعته الفرعية وغيرها في دولتهم.

يعد هذا الفعل نوع من انواع العمل الاجتماعي السياسي، يؤشر معنى العلاقة الجدلية بين فكرة الانتخابات والناخبين، وهؤلاء بكل العجز الذي هم فيه، كيف يتقبلون المتسلط؟ والحقيقة ان الفكرة الخام التي تتضمن الولاءات لاتكفي لوحدها حلا يشكل الوعي ويحتوي ماساته بل لابد من اوهام يعلل نفسه بها وتحمل عنه اعباء الحياة أو بالاصح يحتمل من خلالها عسر حياته، لاسيما اذا طال عهد القهر وضاقت فرص الخلاص، فيتحول الوعي بكل هزائمه إلى المادية الغيبية متمثلة بانتشار (الاسطورة) يغذيها تفشي الجهل والعوز ورفض التغيير مع استذئاب التسلط فيتضخم العجز وقلة الحيلة وانعدام الوسيلة، ويصبح التلاعب بالامل والخلاص، بوضع الاثنين ووعيه بكل هزيمته والفاعل الحاكم المتسلط داخل تلك الدائرة المغلقة بهالة من قوة الاسطورة وقدراتها، وهنا تصبح واجبات الناخب الحفاظ على تلك الدائرة الضيقة ومن فيها وليس الحفاظ على الوطن ومن فيه.

الـوعي العراقـي فـي رحلتـه السياسـية نـتج عـن مـا هـو نفسـي واجتمـاعي وروحي وهذه في تفاعل مستمر تديمها (الاسطورة والكلمـة) والاسـطورة يـتم تمثيلهـا بـالطقس والشـعيرة والكلمـة تعتمـد علـى سـرد الاسـطورة المقدسـة ولا تتضمن سرد لتاريخ المقدس ولا لافعاله اي انها لا تعرض صورة عن المقدس قـدر تصـوير الحـدث وتلحينـه، حـدث توقـف لـزمن فـي لحظـة معينـة وبالتـالي محاولة احياءه وتسيسه عبر السـرد الغنـائي الحـزين (بـالنواح). ويعكس التـاثر بقـراءة (اشـعار مقتـل الحسـين) درجـة مـن درجـات الـوعي فعبـر الكلمـة وهـي وسيلة انتاج حرفية تصنع الوعي، كما يصنع عبر سرد الاسطورة المقدسة عند تحويلها إلى شعيرة وطقس يرددون فيها نفس الكلمات، حيث الكلمـة هنـا تشـكل قيادة القوة البشرية فيحدث التطابق بين الروحي والفعلي([1]) وبين الفكرة والفعل يتشكل ويتعزز الوعي المهزوم.

في القرن (الواحد والعشرين) قرن المعلوماتيـة تـتم وبشـكل ممـنهج هزيمـة الوعي العراقـي أمـام العقل والمنطـق وحيـث لا يعـرف حـدود الزمـان والمكـان ويعطى للغيب قوة مطلقة تتعدى سطوتها الماضـي والحاضـر بـل إلـى المسـتقبل ومـا بعـد الحيـاة، عبـر طقـوس وظيفتهـا الاساسـية تعطيـل الفكـر وشـل المقاومـة والاستسلام للممارسة وهنا يسلب الوعي ويتحرك الامل فيصبح الاتبـاع اسـرى للفكرة ويحيطونـها بدائرة أو بهالة من قدسيتها تعزلـهم عن العـالم، وبالتـالي فـأن كل مـا هـو خـارج هـالتهم سـاذج ولامعنـى لـه، ومـا داخـل الـدائرة حق منتـزع، فيهزم الوعي أمام الحقيقة. ويبتعد إلى ان يتيه منزويا فيتمحور حول نفسه..

١ـ غيورغي غاتشف، الوعي والفن، ترجمة نوفل نيوف، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م، ص٣١.

انكفاء الوعي والقبول بالامر الواقع

الانكفاء على الذات وانكفاء الوعي، سمة دفاعية تسير في اتجاه التقوقع والانسحاب بدل مجابهة التحديات الحاضرة والمستقبلية، يصحبه احساس داخلي بالعجز وقلة الحيلة فيدير الانسان ظهره للعالم ويقمع رغباته حتى لايشعر بألم الاحباط ويتقبل مصيره ويوهم نفسه بتقبل المصير ويتخذ طابع ثقافة القدر والنصيب أو (القبول بالامر الواقع) وانهم كتب عليهم الشقاء والحزن ولن تتغير حياتهم واحوالهم. مع ميل للذوبان في الجماعة المرجعية لدرجة تزول معها الفردية بشكل شبه كامل حيث يمثل له هذا الذوبان حماية له وضمانة للغد وللذرية من الطبيعة ومن الاخر ويمثل هذا رد الفعل الاقصى لمراحل الفشل والقهر([1]).

تطبيقا لذلك على المجتمع العراقي فان هناك فكرة ثقافية تقول ان العراقي بطبعه الحزن والانقباض والخضوع، وانه عاجز عن التخلص من مجابهة هذا الحزن والأقدار التي تلم به فتجعله خاضعا. ويبرر الدكتور علي الوردي ذلك بالصراع الحضاري (clash of culture) الذي اثر في الشخصية العراقية فهو واقع تحت تاثير نظامين للقيم احدهما يؤمن بالقوة والتسلط والاخر يؤمن بالخضوع والتباكي، فهو مرة غالبا، ويئن من سوء حظه ويشتكي من ظلم الناس له مرة اخرى، وهما في صراع دائم، وبذلك اصطبغ وعيه بالمثالية الزاهدة الخاضعة، فالعراقي خاضعا مازوكيا عند مواجهة ما هو اقوى منه([2]).

١ـ مصطفى حجازي، مصدر سابق، ص١٠.
٢ـ علي الوردي، شخصية الفرد العراقي ــ بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، منشورات دار ليلى، لندن، ٢٠٠١م، ط٢، ص٥٢.

صراع الالهة

خضـوع العـراقيين صـاغرين لصـراع واحتـراب بـين السياسـيين يشـبه خضوعهم لصراع الالهة في الاساطيرالعراقية القديمـة التـي تمثل قوى الكون المختلفة وتمتاز هذه الالهة الحاكمـة بـالعنف، والقسوة، والبطش تماما كما هم الان،وهذا يشكل الصورة الصراعية الابدية المستمرة علـى هذه الارض ولعل اولها فكرة أو قصة الخلق في وادي الرافدين([1]).

تجسيدا للـوعي المنكفـيء علـى نفسـه، وقبولـه بـالامر الواقع والمعبر عن خضوعه للالهة السياسية، ظهرت عبر التـاريخ صـورها فـي الامثـال الشـعبية، والاغاني، والنواحات السنوية المتكررة والمتعددة فكلها تعج بالتألم وهي تعبير فصيح عن المعانـاة الوجوديـة والاحباطـات التـي غرق فيهـا الانسـان العراقـي. فتصبح روح الجماعة المتمثلة بالعصبية، هـي المـلاذ الامـن لـه ولكنهـا تشـترط الوفاء لها الذي لاحد له، وهذا تعبير عـن وعـي عصـائبي يؤمن بالتعاضـد فهو يحتمي من عجزه الفردي بالجماعة كقوة وحقيقة لن تتخلى عنه. مما يمكننا من اطلاق تسمية المجتمع العراقي بالمجتمع العصائبي.([2])

رجوعـا للتـاريخ القديم فـان حضـارة وادي الرافدين تتميز بالحـدة والتـوتر وتوقع المفاجئات والفواجع حيث خصـائصـه الجغرافية وانفتاح حـدوده عرضـته إلى هجرات الاقوام العنيفة وغزواتها المتكررة واختلاط السكان والحضـارات فيه إلى درجة كبيرة. اما البيئة الطبيعة التي نشأت فيها الحضارة تمتاز بالعنف

١ـ جورج كونتينو، الحياة اليوميـة فـي بـلاد بابل واشور، ترجمـة سليم طـه التكريتـي، دار الشؤون الثقافيـة، بغداد، ١٩٨٦م، ط٢، ص٤٧٤.

٢ـ منى العينه جي، التحضر في المجتمع العراقي، دار ميزوبوتاميا، بغداد ٢٠١٣م، ص٦٨.

والشدة من ناحية تبدل مواسمها وفيضان انهارها واختلاف مناخها فدجلة والفرات التي تعتبر من اعظم واعنف انهار الدنيا قد غيرا مجراهما عبر التاريخ فكان عاملا مسببا للهجرةوعدم الاستقرار، اما فيضانهما فيحدثا في الوقت الذي يتهيأ فيه الفلاح إلى الحصاد وجني الغلة، وكان لابد ان ينعكس عنف الطبيعة في النظم السياسية والشعائر والمعتقدات الدينية وجعلت العراقي لا يتصف بالثقة والاطمئنان([1])

الحزن كان رفيق الطبيعة المتقلبة العنيفة، فمن صيف حار بشمسه المحرقة، إلى انحراف النهرين وتشتت السكان وما يصاحبها من خوف من المجهول وحزن وقلق، وفيضانات النهرين([2]) كشفت الملاحم والاساطير القديمة على وجود هذا الحزن وترسخه في اللاوعي الجمعي العراقي، بدء من حزن (عشتار) على زوجها (دموزي) واقامة مراسيم العزاء السنوي. وقصة الوفاء للصداقة في ملحمة (كلكامش) الواضحة في حزنه على صديقه (انكيدو) الذي دفعه للبحث عن الخلود، ويمثل الحزن في الملحمة كما جاء في تحليلات الالواح الطينية جذور الثقافة العراقية الحزينة، فرثاء كلكامش الحزين يتمثل بكلماته:

عسى ألا يبطل النواح عليك مساء نهار

وليندبك شيوخ أوروك، ذات الأسوار([3])

١ـ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، حضارة وادي الرافدين، شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦م، ط٢، ص٧٧ـ٧٩.

٢ـ عدي الاعسم، الجانب العقلاني في اللامعقول، بغداد، مطبعة بابل، ط ٢، ١٩٨٦م، ص٩٦.

٣ـ فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣م، ص ١٦٨.

استمرار هذا الشعور بالحزن البشري وبانعدام الامن أمام قانون الطبيعة يؤدي إلى حالة من التوتر والقلق والعجز عن التحكم بالمصير أو هو هزيمة امام الطبيعة أو ما يسمى (باضطراب الديمومة) ويقصد به ان الزمان لا يسير باتجاه واحد ويذهب من الماضي إلى المستقبل مرورا بالحاضر بشكل جامد بل يعتمد على تجربة كل مرحلة واقصد تجربة تضخيم آلام الماضي وتأزم في معاناة الحاضر وانسداد افق المستقبل.تجعله يقدم مزيدا من الرضوخ والاستسلام طلبا للسلامة وهذا ما يفسر هزيمة وعيه وبحثه عن التمحور حول جماعته.

الانتماء للبيت المقدس

وكانت احدث واقعة (الحسين) ومأساة آل بيت الرسول على ارض العراق ذات بعد اكبر في الوعي الثقافي فتجويعهم ومنع الماء عنهم، يلامس مشاعر الفقراء المحزونين واستمرار الفقر هو استمرار للحزن وما يرافقه من طقوس رمزية هو تعبير عن حزنه هو وتمثله بلبس السواد واقامة المآتم بقراءة ملحنة حزينة للحدث واستبكاء المشاركين في العزاء حتى انكفأ الوعي العراقي على ذاته.

كان من نتائجه الانتماء بالوعي المهزوم وليس بوعي المنتصر إلى البيت المقدس، واولياءه، ومرجعياته، وقبوره، وطقوسه، وشعائره بل اسماؤه وكناه وهو ليس امرا معيبا إلى حدما ولكن ان يتحول إلى اهداف انتخابية فتلك هزيمة الوعي الحقة واختزال وتسطيح للوعي بالديمقراطية. ثم ان يمنحك انتمائك حق محاصرة الاخر ومحاسبته تاريخيا وثقافيا،يعني ان ذلك الوعي

مدفون تحت التراب وتحت القبب وليس فوق التاريخ والاسطورة، مما جعل التفوق على الاخر بموجبه في الموقع والموضع ويمنح المرتبة والمنصب. وفي ذلك مقتل الديمقراطية وتشويه لمعنى صندوق الاقتراع وهذيان في داخل صندوق الجمجمة.

ان هذا الشعور بالتفرد والثبات عليه هو تحديد للاختلاف عن الغير، والاخر يشعر هو ايضا بذلك اذا افترضنا انه يشعر بالذاتية والثبات ازاءه باعتباره اخر له الامر الذي يعني ان (الشعور والثبات والذاتية) قاسما مشتركا بين الجميع. ويعزى سبب ذلك إلى محصلة ميتافيزيقية لمجموع الاحداث التي عايشتها الجماعة والذكريات التي ميزتها وقعت لها، والا ماذا يميزك عن الاخر.؟([1])

الربابة ذات الوتر الواحد

كل هذه الاحداث واخرى غيرها، كانت عوامل لصناعة الوعي بالاخر وجعله سبب حزنه وانقباضه بل كانت مخيلته تلك التي استمرت عبر الاجيال تتناقلها الثقافة قد ترسخت فيها تلك البذرة حتى وصلت لدى الجماعة الحاكمة واتباعها إلى ما يشبه القداسة، بل ارتبطت باتجاهات مختلفة في الثقافة العراقية الشعبية ووصلت بفعل وقائع الحياة التي تزداد مرارتها إلى تخوم الثقافة النخبوية وتلك خطورتها.

العراقي الاخر ساكن المنطقة الغربية وصحراء العراق، حزين هو الاخر بحكم بيئته وتضاريسها الرملية وربابته ذات الوتر الواحد والتي لا تعزف الا

١ـ طه باقر، ملحمة كلكامش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م، ط٦، ص ١٢٩.

نغمة واحدة، ينتمي للسيف العربي وقوة الماضي ويحزنه التيه الذي يعيشه الان، ورؤاه بتقطيع الجسد الحضاري وتقسيم الارض هي بسبب عزلته واستبعاده واجتثاثه تدفعه لذلك هزيمة وعي المقابل بما يدور حوله مرتكزا بالاستعلاء البدوي على الاخر المكلوم كآلية ثقافية لتوكيد افضليته واحقيته في السلطة، مستشهدا بتعالي المتنبي «إلى العرب تنسب الفطن» كفكرة قومية وعصبية وعشائرية تتهم الاخر بالغربة عن الوطن والولاء لغير العرب.

هذا الاغراق في عزف الربابة العروبية والذي يعبر عن وعيا بالذات والاخر، تصارع مع الاخر على لحن طائفي احادي النغمة داخل الارض الواحدة التي تجمعهما منذ العصور الاولى، فكل يحاول هزيمة الاخر متكأ على وتره وحزنه مستمدا منه قوته مدعوما من حراس عقيدته وفكرهم الموهوم، هذا الوعي المقاوم والرافض عنيف وعنفه آلية ثقافية للبقاء والحفاظ على ما تبقى. ان الوعيين المتخالفين والمختلفين تحولا إلى نغمة موقوتة بالموت اليومي، ذلك بعد ان تحزبت الطوائف مع الجغرافيا وتحولت كل منطقة جغرافية إلى قلعة مذهبية والى مناطق طوائف ايديولوجية سياسية وليست طوائف دينية، ثم حكمت الوعي العراقي الجديد وسبحت باسم الاختلاف وتناحرت فكل يجد لحنه ووعيه هو الاسمى.

واصبح العراق منتجا حقيقيا لثقافة التناحر، والايمان بأن التغيير مستحيلا ووقائع ذلك تبدو في الانتخابات وفتاواها والناخبين واهدافهم ونتائجها المتشابهة المتكررة.

الوعي هنا اصبح ذلك المقدار الذي يمكن ادراكه من لحن الربابة ذات الوتر الواحد غير المتكامل مع الحان مجموعة المكونات الاخرى المختلفة والمتشابكة فنحن قد نسمع جزء من اللحن ونعتقد انه كل اللحن بينما اخرون يسمعون الحان مختلفة، أي تتكون مجموعة الحان مختلف تماما عن اللحن الذي يعرفه كل منهم. هذه الصور المختلفة التي يرصدها الوعي اصبحت ارث ثقافي تم تطبيقه في الانتخابات العراقية فظهر الوعي بعباءة التحضر متمثلا بمشاركات من ناخبين لا علاقة لها بالوطن أو الوطنية أو كانت جماعات اخذت جانب الرفض للمشاركة ولم يهمهم استنجاد الوطن.

صناعة الوعي المهزوم

النسق الثقافي الذي ادى إلى تصنيع الوعي الجنوبي الشيعي (الوعي المهزوم)، له بُعد تاريخي سوسيولوجي حيث يذكر (ماكس فيبر): ان تحليل الاحداث الاجتماعية يتطلب الاحاطة بالبعد التاريخي للمجتمع، ويذهب الدكتور علي الوردي في رؤيته للمجتمع العراقي إلى انه لا يمكن فهمه في وضعه الراهن ما لم يتم فهم الاحداث التي مرت في العهود الماضية فكل حدث لابد ان يكون له شيء من التاثير في سلوك الناس وفي تفكيرهم ولم يذهب بعيدا عندما وضع مقاربته بين المجتمع والشخصية فيقول ان الاحداث الماضية تخلف عقدا تؤثر في شخصية الانسان عندما تندفع بعض العادات والافكار الموروثة إلى السطح لتؤثر في السلوك، ويحلل نفسية الشعب العراقي تحليلا اجتماعيا قائلا لابد ان نفهم شخصية الفرد العراقي لكي نعرف كيف نسوسه. وتعد الاحداث التاريخية وتتابع الهزائم وسائل صناعة الوعي المهزوم.

هجمات على (كربلاء)

تاريخ المجتمع العراقي تخلله هجمات على مدينة (كربلاء)، نذكر منها ما كان يمثل انعكاسا على الوعي، ففي العصر العباسي وفي عصر الخليفة المتوكل العباسي الذي اظهر الميل إلى السنة ونصر اهلها ومنع محبّي أهل البيت من زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وجعل عقوبة الزائر قطع يده للمرة الأولى، ورجله للمرة الثانية، وهدم البناء الذي كان على القبر الشريف، وأرسل الثيران لتحرث الأرض فخرب وبقي صحراء([1]).

أما في التاريخ الحديث فقد تعرض (المرقد الحسيني) في كربلاء لهجمات عديدة:

١. حملة الوهابيين أو ما تسمى بمجزرة (كربلاء) وكانت يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦ هجرية في فترة (علي باشا)، وكان حاكم كربلاء عمر آغا، ودامت هذه الحملة ست ساعات. في يوم معروف لدى الشيعة بـ (يوم الغدير) حيث قتلوا كل من يلقونه في طريقهم ولم يستثنوا الشيوخ والاطفال والنساء أو لائذًا بالحرم الشريف حتى قدر القتلى بثمانية الاف وان الذين قتلوا عند ضريح الحسين بلغ خمسين شخصا وفي الصحن خمسمائة ونهبوا وغنموا الكثير من النفائس والتحف والاحجار الكريمة المخزونة في الضريح وحاولوا قلع صفائح الذهب وان عمر اغا حاكم (كربلاء) كان متواطئا مع الوهابيين وانه

١- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص٣٤٧.

كاتبهم ولم يقدم شيئا للدفاع عن كربلاء بل انه هرب إلى اقرب قرية.(١)

٢. حملة (نجيب باشا) وكانت يوم عيد الأضحى سنة ١٢٥٨ هجرية، حيث استباح هذا الوالي مدينة كربلاء عدة ساعات استباحة كاملة. ففي اليوم الثاني لعيد الاضحى سلطت القوات التركية مدافعها على سور كربلاء من ناحية باب النجف ففتحت فيه ثغرة واسعة وبعد معركة طاحنة استطاعت القوات التركية من التغلغل في البلدة فسيطرت وبدأت بالتقتيل والنهب وابيحت للجنود اربع ساعات ففعلوا ما يشاؤون بلذة عارمة.(٢)

٣. حملة نظام حزب البعث يوم الخامس عشر من شعبان سنة ١٤١١ هجرية خلال الزيارة الشعبانية حيث هدمت بالمدفعية المراقد واستبيحت المدينة واهلها بعنف. فقد قُصف مرقدي الامام الحسين بن علي والامام العباس بن علي فضربت قبّة العتبة العباسية والروضة الحسينية بالصواريخ وقذائف المدفعية وقصف في ١١ /٣ /١٩٩١م مقام كف العباس الايمن والدور السكنية التي حوله ثم اتجه الجيش إلى قصف الصحن الحسيني ونسف باب القبلة ثم اتجه النظام لاستخدام القصف المدفعي والصواريخ وقذائف الهاون من قبل الجنود الذين

١- ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط٦، ١٩٨٥م، ص٢٦١.
انظر كذلك عبد الله فلبي، تاريخ نجد، ترجمة عمر الديراوي، بيروت ص٦٦.
كذلك جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ط٢، ٢٠١١م. ص٦١.
٢- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد ٢٠٠٩م، ص١٢٩-١٣٠.

يختبئون في البساتين المجاورة لمركز مدينة كربلاء فكان القصف يشمل السكان اللاجئين في المرقدين واصيب العشرات من اللاجئين بسقوف الروضتين([1])

أن الحملات الثلاث كانت في مناسبات أعياد دينية يعتز بها أتباع آل البيت.

ولم تكن الحملة الثانية قضية عابرة، بل راح بعض الحاقدين من الشعراء يسجلها في مقطوعة شعرية، كما فعل (عبد الغفار الأخرس) في قصيدة بالمناسبة. إذ لم يكن قد مضى على غزو الوهابيين غير ٤٢ سنة حتى هاجم نجيب باشا مدينة كربلاء لقمع المتمردين وفتك بهم نجيب باشا فتكاً ذريعاً، حيث نهبت البيوت وهتكت أعراض النساء.

يقول فيها الشاعر:

لقد خفقت في النحر ألوية النصر وكان انمحاق الشر في ذلك النحر

علت كلمات الله وهي علية بحد العوالي والمهندة البتر

وكرّ البلا في (كربلاء) فأصبحت مواقف للبلوى ووقفاً على الضر

تلاطم فيها الموج والموج من دم تلاطم موج البحر في لجة البحر فلاذوا بقبر ابن النبي محمد فهل سُر في تدميرهم صاحب القبر

ثم يختم بقوله:

ولازال في عيد جديد مؤرخاً (فقد جاء يوم العيد بالفتح والنصر)

١ -http://ar.wikipedia.org

ويظهر بهذه القصيدة اكثر ألوان التشفي والوحشية والأحقاد الكامنة في النفوس.([1])

سقوط بغداد:

أكد الوعي العراقي بالاجماع هزيمته فالافراز التاريخي لواقع الهزائم التي صنفت الوعي لم تستطع ان تقدم تسوية للعلاقات بين اطراف النزاع القائم والدائم في العراق ولم تستطع ان تضع حدا للاشكاليات القائمة بينهما، فعلى الرغم من مرور مدينة (بغداد) عبر التاريخ بهزائم عدة، وسميت (سقوط بغداد)، كون سقوطها كان مؤشرا لسقوط دول كثيرة أخرى؛ كانت هي رمز القوة عندها الا ان ذلك لم يستطع توحيدهم للدفاع عنها ولكن تلك الهزائم وحدت وعيهم المهزوم ليزداد الخلاف عمقا والصراع حدة، ومن هذه الهزائم:

١. سقوط بغداد (١٢٥٨): سقطت (بغداد) عاصمة العباسيين في يوم الأحد ٤ صفر ٦٥٦ هجرية الموافق ١٠ فبراير ١٢٥٨ ميلادية على يد (هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان). يرويها ابن كثير بما لا يؤرخ ابشع منه منذ بنيت بغداد، فلما قدم هولاكو وطوق بغداد بمئتي الف من عساكره مدعومين بامداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وخرج إليه الخليفة العباسي مع شيئ كثير من الذهب والحلي والاشياء النفيسة يريد بها المصالحة مع ملك التتار فأبى هولاكو وامر بقتل الخليفة فقتله عساكره رفسا بالاقدام ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال، والنساء، والولدان،

١ -http://qadatona.org

والمشايخ، والكهول، والشبان حتى قيل ان القتلى بلغوا ٨٠٠ الف وقيل الف الف ولم ينج احد سوى اهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ اليهم. فاصبحت بغداد في خوف وجوع وذلة وقلة.([1])

٢. سقوط بغداد (١٨٣١): سقطت (بغداد) بأيدي الجيش العثماني، بعد سلسلة معارك مدمرة واعمال غوغاء واضطرابات وعصيان وارتكاب المنكرات ونهب النفائس، والنقود، والذهب، والفضة، والتعرض للنساء مما شدد الحصار عليها فجرت معارك غير قليلة بين المماليك واهل بغداد، وفي ليلة الرابع عشر من الشهر التاسع من سنة ١٨٣١م وبعد ان اصبحت الحالة لا تطاق من شدة الحصار، فقد شح الطعام وصارت المنهوبات تعرض للبيع دون خوف أو خجل، بادر رجل من التجار ومعه جماعة تؤيده ففتحوا باب السور الجنوبية لبغداد وسمحوا للجيش السلطاني بالدخول منه، وتم بذلك احتلال بغداد، ووضعت خطة للتخلص من المماليك.([2])

٣. سقوط بغداد (١٩١٧م) سقطت بغداد العاصمة أو ما كانت تسمى (ولاية بغداد) العثمانية، بعد سلسلة من الانتصارات، في يد الجيش البريطاني، خلال القتال مع الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. لم يغادرها الاتراك الا بعد ان نسفوا مخازن الذخيرة واللاسلكي وباب (الطلسم) وهي من ابواب بغداد الاثرية وكنوزها

---

١ ـ جورج طرابيشي، هرطقات ٢ـ عن العلمانية كاشكالية اسلامية ـ اسلامية، دار الساقي، ط٢، ٢٠١١م، ص٣٠ـ٣١.

٢ـ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، مصدر سابق، ص٢٨٩.

كذلك انظر: لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ص٣٢١.

وقد هز نسفه مدينة بغداد هزا عنيفا واحرقوا جسر بغداد وظلت النار مشتعلة فيه طيلة الليل والنهار ونتيجة للفراغ الذي احدثه غياب الحكومة كسر السجناء ابواب السجون وهربوا وانطلقوا ينهبون الاسواق والخانات وانضم اليهم الغوغاء وشارك الاطفال والنساء فيه، وطال النهب دور الحكومة ودوائرها، وتم الانسحاب في ١٠ اذار ودخل الانكليز في ١١ منه. ورفع العلم البريطاني(***) على برج الساعة في ساحة القشلة، واستغل الناس الوضع واصبحوا ينفسون عن احقادهم بالوشاية واعتبر الانكليز سقوط بغداد غير تاريخ العالم.([١])

٤. سقوط بغداد (٢٠٠٣): في الأربعاء ٩ نيسان ٢٠٠٣م سقطت بغداد عاصمة جمهورية العراق، ودخلت قوات التحالف اليها وبدأت بتدمير ما تبقى من مقومات العراق الحضارية. وقد دمروا الحضارتين القديمة والحديثة في العراق ودمروا مراكز العلم والتطور التكنولوجي ومراكز البحث العلمي والبنى التحتية وَالإِعْمَار حتى بعد ان أَعْلَنَ رسميا عن توقف عملياتهم العسكرية، دخلوا إلى الجامعات، والمعاهد، والمدارس واعتقلوا واستجوبوا آلاف العراقيين من مختلف الشرائح والمهن والمستويات من القيادة العليا للدولة إلى المواطنين البسطاء والموظفين العاديين ولا يزال القتل والتدمير سياسة موروثة عن جيش الاحتلال فضلا عن سياسة التهجير،

***** العلم العراقي الذي رفعه ضابط بريطاني على ساعة القشلة بمحفوظ الان في كاتدرائية كانتبري بلندن.**
١ـ علي الوردي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٢ـ ٣٨٤.

وتدمير المدن والقرى الذي مازال مسلسلا مستمرا منذ ١١ عاما. اما استخدام مصطلح (سقوط) هو لترسيخ فكرة في ذهنية وعقلية هذا المجتمع، بل نسج جديد لوعي بالهزيمة المستمرة، وإدخاله إلى مربع البؤس والشؤم واليأس التاريخي، وإعادته إلى الوراء ثمانية قرون (زمن الآثار النفسية التي تركها سقوط بغداد على يد المغول) جراء ما حدث له بعد الهجمة التترية الشرسة، ويمكننا ملامسة الوضع وآثار المصطلح على واقعنا، فبعد مرور احد عشر سنة من هذا السقوط نرى بصمات مخططي وواضعي هذا المصطلح، وكيف تم تفتيت البنية التحتية لدولة العراق، وتفتيت أواصر الارتباط بين مكونات هذا المجتمع.([١])، فهزم الوعي تماما، فان تخريب بغداد، وتراثها، وثقافتها، وقصورها، ومتاحفها، ومكتباتها كان مَقْصُودًا عام ١٢٥٨م وكان مَقصودًا كذلك في عام ٢٠٠٣م. ومن عاد لكتب التاريخ لن يجد فَارِقًا بين ما فعله هولاكو وما فعله (بوش) سوى الفارق في وسائل الحرب ومدتها.لكن الصورة تكاد تكون متطابقة في كثير من الشواهد والمعطيات. ومن نتائجها تدمير هوية العراق وفرض الهزيمة على وعيه.

اما الخطاب الديني الذي استحوذ على المشهد السياسي فبدلا من أن يساهم في التغيير اصبح أحد أهم أصوات هزيمة الوعي عبر تخدير المجتمع وإقناعه بنظرية الانتظار وهي إنتظار معجزة دينية للخلاص.

١- http://alhiwarmagazine.blogspot.com

مشهد يثير الريبة

المشـهد السياسـي فـي العـراق قبـل انتخابـات ٢٠١٤م علـت فيـه الاصـوات المتنافرة والمتناشزة وتزاحمت به الاوهام التي يعيشها الجميع، فمنهم من اصر على اعادة انتخاب نفس الوجوه ومنهم من حلم بالتغيير فاتجه إلى قوائم مدنيـة، وربما كان اخطر الاصوات واكثرها وهما هو صـوت الـذين لـم ينتخبوا أو مـا يسمون انفسهم بالرافضين للعمليـة السياسية وذلـك مشـهد يثيـر الريبـة حقـا. ولا اقصد بالمشاركين المستقلين الـذين لا ينتمـون لاحـزاب أو جماعـات، بـل اقصـد الذين رفضوا المشاركة فـي الانتخابـات ممـن كـانوا مـرتبطين بحـزب مـا سـابقا ويسعون لعودته بكل الطرق، أو انهـم غيـر مـرتبطين سياسـيا ولكـنهم رافضـين للعملية السياسية لاسباب طائفية. فالذين مازالوا يعيشون اوهام القوة والحـروب والسياسات الهوجاء، ولاسباب عديدة قاطعوا الانتخابات فمنهم من يجدها غيـر شـرعية لانهـا صـناعة امريكيـة ومـنهم مـن يعتقـد بعـدم جـدواها، ومـنهم وهـم الاخطر الذي يعتقد ان التغيير لا يحدث بهذه الممارسة السلمية بل ان مـا يجـب ان يحـدث هـوتغيير بقـوة السـيف العربـي المسـلول. وهـو مـا يهـدد بأشـعال نـار جديدة قد لا تطفأ سريعا. وهذا ما حدث فعـلا بظهـور جماعـة سميت داعـش أو (دولـة العـراق والشـام الاسـلامية) وتـواجـدت فـي منـاطق معارضـة للسـلطة الحاكمة.

هذا اللحن الجديد الذي بدأت تعزفه اوركسترا المقاطعين للعمليـة السياسـية، تمثـل ثقافتهـا ووعيهـا بـالقوة كـأرث اجتمـاعي لـه دلالات عميقـة فـي المجتمـع العراقـي، يتضـمن الوسـائل الثقافيـة ومـا يـرتبط بالـذاكرة الجماعيـة باحـداث تاريخيـة، وأن وعـيهم بـالاخر الحـاكم الان هـو المحصـورسـابقا ومتمثـل بـنفس

الجماعات المتهمة بالخيانة والمستبعدة عن المناصب والمستصغرة حينها،وان الدولة الاقليمية التي كانت قبل سنوات تمثل الريح الصفراء الهابة من الشرق تقرر الان ما كان ويكون في العراق، بينما هم كانوا العراق المدافع عن البوابة الشرقية للعرب.

من ناحية اخرى فأن هذه الجماعات هي ممثلة حقيقية للفكر المستند للعصبية الاجتماعية والسياسية المؤمنة بتسديد فاتورة حقوقها عن طريق القوة، وهم يمثلون في غالبيتهم فئات اكثر استعدادا لممارسة القوة للحصول على السلطة وفقا للتأثيرات والوسائل الثقافية التي تعارفوا عليها، ومارسوها فعلا ضمن زمان قوتهم السابقة سواء كانت قوة السياسة العامة للدولة تجاه المجتمع اوقوة السياسات الفاعلة بين تدرجات اعضاء الحزب الحاكم حينها أو على المستوى الشخصي.

يبدو ان فقدان المصالح التي امتلكتها سابقا هذه الجماعة الرافضة للمشاركة في الانتخابات الان لها تاثير واضح على وعيهم بذواتهم المجروحة لخسارة مصالحها، الذي اسس لحالة الصراع السياسي التي يعيشها المجتمع الذي اتخذ من الطائفية ستارا له، لذلك فان العلاقة بين المصالح والممارسة الانتخابية تبدو هنا واضحة فهذه العلاقة من شأنها ان تستبعد بعض المفاهيم التي تحدد بموجبها المصالح منها مفهوم الانتخاب وسلميته واللجوء إلى مفهوم اخر هو مفهوم القوة كعامل بنائي لتحقيق المصالح أو بمعنى اخر هي الربط بين التوقعات والاحتمالات كمصالح والممارسة كفعل فتكون مصالح هذه الجماعة لا ترتكز على التنظيم السياسي (الانتخابات) قدر ارتباطها بواقعها

الاجتماعي الحالي المتشظي بين (البطالة والتهجير والتهميش)، وما سيؤثر مستقبلا على اوضاعها.

واذا كانت المصلحة هي الاستعداد للتصرف من اجل تحقيق غاية معينة كما يوضحها مختصون، فانها مرتبطة بالنفع الخاص لهذه المجموعة وهنا تمثل حالة اشباع لحرمان معين هو الحرمان من مواقعهم ونفوذهم الذي عاشوا فيه ثم جردوا منه، عليه يتحقق الرضى عند امتلاكهم لذلك النفوذ ولتلك المواقع([١]). ان هذه الجماعة التي تربطها المصلحة باشكالها المختلفة هو في حقيقته ارتباط بقضية ويرافقها احتمالات الخوف من الفشل، حينها لا قيمة لحصولها على مصالح انية ضئيلة في حالة مشاركتها في الانتخابات، لان اهدافها ابعد من ذلك، كما ان طموحها هو بلوغ السلطة.

استمرار فشل النظام السياسي الحاكم والقائم منذ اول انتخابات عام ٢٠٠٥م في احداث التقارب بل ادى تقادم الزمن إلى استمرار ترسخ الخلاف بين الطرفين، مما انتهى إلى اقامة حواجز بين هذه الجماعات وبين الواقع المفروض على الجميع فكل اصبح له اساطيره السياسية ورموزه و(موديلاته) السياسية، وبالتالي كان انكفاء هذه الجماعة على ذاتها، قد شكل وعيها بذاتها وحرماناتها وهذا ما تسبب استبعاد افرادها من الانتخابات وهم يكبرون حجما لانهم يتغذون على خيبات النظام السياسي وفشله.

الديمقراطية فكرة سلمية، والحل الاخر لغير المصوتين الرافضين لسلمية الديمقراطية تفوح منه رائحة اللاسلمية كقوة حاسمة للخيارات ويتسم خطابهم

١- عبد الرضا حسين الطعان، البعد الاجتماعي للاحزاب السياسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠م، ص٤١٣.

بالقدرة على اجتذاب الجماهير عن طريق نشر وابراز فضائح النظام الذي لم يعد من شيء يستر سوءته، ولا تطاق رائحة افساده، مما منحهم الاداة للتشهير بهم، وخطابهم السياسي يحثهم على عدم الانتخاب والتصويت لاي جهة، وان طبيعة الحياة السياسية في العراق واختلاط الخطاب السياسي، بالخطاب الطائفي، والعشائري، والمناطقي جعل من الصعب التفرقة بين توجهات الاحزاب السياسية لاسيما وان هناك مرجعية دينية وعشائرية ينتظر اتباعها ما توجهم به، وبعبارة اخرى اصبح الوعي محكوما بمصالح الاعلى وليس بمصلحة الجميع.

بسبب عدم وجود معارضة ديمقراطية حقيقية ومشروعة من الجماعات المتضررة، تدخلت جماعات مسلحة باسماء وعناوين غريبة، تعالت الاصوات المشجعة للفوضى التخريبية التي لم تحقق الا التهجير والدمار وتعميق الفكر الطائفي المقابل.

ان ازمة غير المشاركين في الانتخابات هي ازمة وهزيمة مضافة لما يعيشه المجتمع حيث يصعب تفسير اسلوبهم بتغيير الواقع، دعوني اسال اصحاب هذه الدعوة (اللاسلمية)، الداعين إلى استخدام القوة، والعنف، والاستجارة بالجماعات الغريبة عن الوطن، هل يمكن اعلامنا عن شكل النظام السياسي الذي يريدون احلاله بديلا للنظام الموجود حاليا؟

هل يريدون مثلا اعادة النظام الدكتاتوري ذي الحزب الواحد الأوحد وهو حزب الدولة والاقتصاد والتسلط على المقدرات، يحيي ويميت من يشاء بغير حساب، الا حساباته ومصالحه واتباعه؟

هل يريدون دولة اسلامية وخلافة وامراء مؤمنين؟

ام يريدون الفوضى العارمة ولا يهم ما يحدث للوطن والمواطن، وبعدها لكل حادث حديث؟

هذه الاسئلة المشروعة تدفعنا لتسبيب كل ما يحث، حيث ان قصور النظام الحالي عن التركيز على قيم المواطنة بتضخيم الهزائم والسعي لعدم تحقيق تكافؤ الفرص واهمال التنمية لصالح المجتمع وافراده سواسية والعدالة الاجتماعية فضلا عن تهميش الطبقات الوسطى والدنيا وسحقهما بالعنف المتعدد الاتجاهات. كانت وراء هزيمة الوعي وانكفاءه على الذات عند هؤلاء جميعا بديلا عن دفع خطوات التحول الديمقراطي إلى الامام.

نحن بحاجة إلى علاجات للخلافات المتعددة حول توجهات الاصلاح السياسي ومستوياته بعيدا عن لغة الفوضى والعنف، مع وجوب مراجعة السياسة الاقتصادية ورسم سياسات اجتماعية وثقافية تعيد للوعي امكاناته وقدراته في الربط بين قيمه وما يجب ان يضفيه على حياته من دلالات يكسبها نوعية جديدة تتلائم مع خارطة المتغيرات الجديدة التي يعيشها العالم متضمنة احتياجاته الفعلية المستقبلية. فأن درجة الوعي وارتقاءه هي التي تشكل وتحدد شكل النظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، اذا اردناها ديمقراطية شفافة. والعكس فان تدني الوعي أو هزيمته كما اسميناها تؤدي إلى ان يتدنى الفكر ويهزم وبالتالي تتدنى الانظمة المختلفة في مؤسسات الدولة والمجتمع.

نحن بحاجة الآن إلى رسم سياسات ثقافية واجتماعية لان المشكلة ليست سياسية فقط وان تغيير الاسماء والوجوه لن تغير شيئا بل هو تحور وفقا للمصالح، لذلك فان وضع الخطط لتحويل واقع حال المجتمع هو السبيل لتحويل وقائع كثيرة تدفع للأمام منها الانتخابات.

هونديت وسانت ليغو

نمط اخر من التحور عزز ايجاد وعي مهزوم، حيث لا قانون إنتخاب ثابت ومستقر، ولا شفافية في عرض طرقة وتطبيقات ما يقرر الكبار، فنحن نعتمد في كل مرة على قوانين انتخابات مختلفة، دون وعي وادراك لطبيعتها وطريقة عملها، وفي كل مرة يكون القانون هو الابن الشرعي للوضع السياسي السائد حينها، مما يؤدي إلى النتيجة التي تريدها القوى السياسية الاكثر تسلطا وليس ما يريده الناخب.

الانتخابات تجرى فى ظل قوانين موجودة لكنها تحورت لتفقد قدرتها على الفعل. بمعنى اخر ان للتحور أكثر من سبيل فقد يكمن القانون ثم يتحور كالفيروس ليصبح أكثر شراسة بحيث لا يستطيع منطوق النص أن يتحكم فيه، فهو إذ يتحور شرسا يأتى تحوله عبر شراسة أساليب الحكم التى تتحور هى أيضًا لتجهض أى قدرة دستورية له.

النظام الانتخابي هو مجموعة القواعد التي تنظّم عملية إنتخاب ممثلي الشعب، أي مجموعة القواعد التي يتم على أساسها تقسيم الدوائر الانتخابية والترشح للانتخابات وإجراؤها وفرز أصوات الناخبين وتحديد الفائزين وكل ما له علاقة بالعملية الانتخابية. وبذلك يكون النظام الانتخابي في العراق هو القوانين المعمول بها لانتخاب ممثلي للشعب، أو البرلمان. وهناك عدة أنظمة انتخابية لكن أهم ما يميز أي نظام انتخابي رصين هو قدرته على تمثيل الشرائح والطبقات والاتجاهات السياسية، فكلما كان تمثيله أوسع كان هذا النظام أكثر قوة وقدرة.

في ثلاث انتخابات مرت على العراق تم استخدام ثلاثة انواع من القوانين في احتساب عدد المقاعد البرلمانية، وهي قوانين موسمية يتم صوغها وتحويرها لتتلاءم مع كل مرحلة وبما يخدم القوى التي تتكفل بتكييفها مما جعلها غير قادرة على الارتفاع إلى مستوى الديمقراطيات الرصينة.

فنظام التمثيل النسبي ذي الدائرة المغلقة استخدم في انتخابات (٢٠٠٥) وهو يصلح لمرحلة اتسمت بالجهل بأهمية الانتخابات، والجهل بهوية المرشحين، وصعود العنف السياسي، ومقاطعة السنَّة للانتخابات، والاستقطاب الطائفي والقومي.

نظام «هونديت» في انتخابات (٢٠١٠) الذي رفضته المحكمة الدستورية لانه يِزور ارادة الناخب دون علمه ويمنح صوته لاخر. في مخالفة دستورية واضحة.

ونظام «سانت ليغو» الذي تم تعديله في انتخابات (٢٠١٤) بما يضمن الابقاء على الكتل الكبيرة والتي وصفت بالحيتان. الاخير الذي يمنح الفرصة للكيانات المختلفة باحجامها وتنوعاتها الحصول على مقعد على الاقل تم اجراء تعديلات عليه اضعفت فرص الكيانات المدنية والشبابية العابرة للطائفية، سانت ليغو الذي يؤدي إلى ازدياد عدد الكيانات المشاركة في البرلمان ويعني ايضا زيادة الاختلافات داخل البرلمان، فالبرلمان السابق الذي كان يتشكل من نحو ١٠ كتل سياسية، وشهد خلافات ومشاكل وتجاذبات لا حد لها... فكيف سيكون الحال في برلمان يتشكل من ٤٢ كيان؟

الانتخابات العراقية تتم منذ العام ٢٠٠٥م من دون وجود قاعدة بيانات دقيقة ورصينة للناخبين، بسبب غياب الإحصاء السكاني، ويتم الاستعانة ب البطاقة التموينية التي اعدتها وزارة لتجارة وهي كما هو معروف تفتقر إلى الدقة وفيها من الفساد ما يتيح اضافة آلاف الأصوات بالقوائم الانتخابية.

والغريب هو التحوير بأضافة غريبة هي مشاركة نحو مليون عنصر من عناصر الجيش والشرطة في التصويت في حالة نادرة بنوعها. تلك الظروف تتطلب صوغ قانون انتخابي يلائمها.

أن الفلسفة الحقيقية لقوانين الانتخاب تختلف بين الدول فهناك الدول المتجانسة اجتماعيًا وتلك التي تشهد انقسامات اجتماعية حادة مثل نموذج العراق، وفقهاء القانون في المجتمعات المنقسمة عادة ما يسعون إلى ايجاد قوانين انتخابية تساهم في معالجة الانقسامات. الواضح ان قوانين الانتخابات العراقية التي حورت صياغتها لتكرس وتعزز الانقسام المحلي وتسهم في تعميق التمحورات على أسس إثنية ومذهبية عبر توسيع مساحة الاحزاب والائتلافات والكتل الممثلة للطوائف وإضعاف التيارات الليبرالية والمدنية. اما أليات الانتخابات في المشروع العراقي فقد اسهمت بعرقلة نجاح الكفاءات المستقلة والمهنية التي يحتاجها العراق أكثر بكثير من حاجتها إلى سياسيين وأعضاء أحزاب.

المشكلة يتجاذبها طرفين:

الأول: هو الوعي الفردي الذي لابد من ظهوره، والادراك بأهمية اعطاء الاصوات لمن يمثل الافراد سياسيا وليس تصويت متمحور حول جماعات على اسس ثقافية مهزومة.

الثاني: هو الوعي بخطورة التحويرات التي تجرى على النظم الانتخابية ودستوريتها.

وعي العراقي لم يعد قادر على إدراك وجود تحور في قوانين الانتخابات ولا مدرك اوعلى تواصل مباشر مع صوته والبحث عن كيفية التعامل معه لانه متمحور اصلا حول ذاته التي تساوي عنده الجماعة نفسها.

وهذا يرتبط بالحالة الوظيفية للعقل وعادة تتمثل بالتمحور حول فكر الجماعة والحكمة التقليدية التي يعتنقها وليس العقلانية والقدرة على الادراك للعلاقة بين كيانه الشخصي والمحيط الوطني له. وهذه الحالة فعلا لم تتوفر في الناخب العراقي.

النظم الانتخابية

خدعةهوندت

طريقة فيكتور هونديت (Victor D.Hondut) وهو القانون أو الطريقة لتوزيع المقاعد في البرلمان العراقي لعام ٢٠١٠

يتم بموجب هذه الطريقة بقسمة عدد الأصوات الصحيحة التي حصلت عليها كل قائمة انتخابية على ١ و٢ و٣ و٤ و٥ والى حد عدد القوائم المتنافسة، فينتج عن تلك العملية عدة نواتج قسمة، ثم نأخذ عددا من خوارج

القسمة يساوي عدد المقاعد المخصصة للمنطقة وترتيبها بصورة تنازلية، ونطلق اسم خارج القسمة الانتخابي التقريبي على آخر ناتج قسمة.ثم نقوم بقسمة عدد الأصوات الصحيحة التي حصلت عليها كل قائمة انتخابية على خارج القسمة الانتخابي التقريبي فنحصل على عدد المقاعد التي ستفوز بها كل قائمة.

ونظام «هوندت» يختلف عن «سانت ليغو»، وسانت ليغو (المعدل) بوجود قاسم انتخابي، مبينًا ان نظام «هوندت» يقوم على تقسيم الأصوات الصحيحة للكتل الفائزة على عدد المقاعد للدائرة الواحدة، ثم يتم اخذ ناتج اعلى قسمة من عدد المقاعد ومن ثم يأخذ اقل ناتج قسمة من (أعلى النتائج)، ويعتبر اقل ناتج هو القاسم الانتخابي، ثم يعاد تقسيم الأصوات الصحيحة لكل كيان على القاسم الانتخابي.

ومن نتائج تطبيق هذا القانون، أنه منح رؤساء القوائم الانتخابية صلاحية إدخال مرشحين مقرّبين منهم، لم يحصلوا على أصوات كافية في الانتخابات، وذلك بمنح الاصوات الزائدة التي حصلوا عليها إلى هؤلاء المقربين، ما زاد من نفوذ رؤساء الكتل على هؤلاء البرلمانيين، الذين دخلوا البرلمان بهذه الطريقة.

طريقة «هوندت» البلجيكي، تؤدي إلى تحويل صوت الناخب من المرشح الذي انتخبه إلى مرشح اخر من قائمة اخرى لم تتجه ارادته إلى انتخابه، وبذلك فانها تؤدي إلى حرمان المواطنين رجالا ونساء من حق التصويت والانتخاب لمن يريدونه. هذه الطريقة «هوندت» في احتساب الأصوات

الأقرب إلى تحويل الأصوات إلى الكتل الكبيرة. وهي مشابهة للفقرة التي طعنت بها المحكمة الاتحادية في الدورة السابقة، مبينا أنها «محاولة جديدة لاستحواذ الكتل الكبيرة على الأصوات».. اي هناك رغبة كبيرة من قبل الكتل الكبيرة بالتحور إلى دكتاتورية جديدة في إطار ديمقراطي، مشيرًا إلى أن هذه الكتل لا تعطي الفرصة لصعود الكتل الجديدة والصغيرة.

لعبة سانت ليغو

سانت ليغو (Sante Lague) نسبة لعالم الرياضيات الفرنسي أندريه سانت ليغو ابتكر هذا النظام أو الطريقة عام ١٩١٢م، لتوزيع الأصوات على المقاعد الانتخابية في الدوائر متعددة المقاعد، هو القانون أو الطريقة الجديدة التي اعتمدت لتوزيع المقاعد في البرلمان العراقي لعام ٢٠١٤م، وقد طبقت صورتها الأولى في النرويج والسويد سنة ١٩٥١م.

أهم ما في هذا النظام عدم وجود لما يسمى (بالقاسم الانتخابي) بصيغة «هير» حيث جميع القوائم المشاركة بالانتخابات مشمولة ويجرى عليها عملية القسمة مما يعطي فرصة اكبر للقوائم الصغيرة بالحصول على مقعد واحد على الاقل.

بموجب هذه الطريقة يتم تقسيم عدد أصوات كل حزب أو كيان سياسي على الأرقام الفردية (١,٣، ٥، ٧، ٩,١١،....الخ) بحيث يكون عدد الأرقام الفردية المقسوم عليها مساويًا لعدد المقاعد في مجلس المحافظة المنتخب.

وفي انتخابات مجالس المحافظات الذي جرى في (٢٠١٣م)، كان ائتلاف دولة القانون قد اعتبر نفسه، اكبر المتضررين من نظام «سانت ليغو» الذي

طبق في الانتخابات المحلية، ودعا لتحوير نظام احتساب الأصوات في الانتخابات البرلمانية (٢٠١٤م).

لعبة دولة القانون كان باصرارها على تحوير صيغة «سانت ليغو»، ونجحت في جعل العدد الأول يقسم على ١.٦ بدلا من العدد ١، هو لزيادة حصتها من المقاعد وحتى هذا العدد هو أعلى من العدد ١.٤ والمعتمد من ثلاثة برلمانات في العالم فقط.

بمعنى ان تحوير الرقم (١) إلى (١.٦) كان لعبة لصالح القوائم الكبرى وزيادة عدد مقاعدها وليس لصالح التمثيل الافضل والحقيقي.

ان «سانت ليغو المعدل استخدم في الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الأولى والثانية من قبل أحزاب دكتاتورية، كانت ترفع شعار الديموقراطية وتنظم انتخابات ديمقراطية ولكن تعتمد طريقة لاحتساب الأصوات تجعلها المسيطرة على الحكم»، فنظام (هوندت) هو اقل تأثيراً على حظوظ الكتل الصغيرة من سانت ليغو (المعدل).

لذلك عملت الكتل المسيطرة على تحوير طريقة اعداد قوائمها بان اقتطعت بعض الاسماء التي لها اتباع لترأس قوائم صغيرة يمكن ان تزيد من عدد مقاعدها بعد الانتخابات عن طريق الائتلاف، أو تمحورها حول القائمة الام. وبذلك لعب «سانت ليغو المعدل» دورا باعطاء فرصة لعدد من الكتل الصغيرة للمشاركة في البرلمان المقبل، وانه افضل من نظام «الباقي الاقوى» الذي اعتمد في انتخابات ٢٠١٠م (هونديت)، لكن أي الكتل الصغيرة سترتفع وما هو المقصود في لعبته، ان تعديل قسمة الاصوات على (١.٦)، جعل الكتل

الكبيرة تقصي عدد من الكتل الصغيرة غير المعروفة وتقرب الكتل الصغيرة المقتطعة من القائمة الكبرى.

لذلك يجد البعض من السياسيين ان تحوير نظام «سانت ليغو» إلى سانت ليغو المعدل قد منع ما اسموها بالقوى «القزمية» من الصعود ويقصد القوائم الصغيرة غير المعروفة، وابقى الفرصة لتياراتهم المقتطعة من القائمة الكبرى، بما فيها المبعثرة والصغيرة، شرط التوحد. أو الائتلاف بعد الانتخابات.

ان لعبة تحوير النظام الانتخابي سانت ليغو خفف اثار التزوير للكتل الكبيرة المتسلطة، لا حبا في ان تكون الانتخابات نزيهة ولكن القوى الكبيرة هنا استفادت من التحوير وهو القسمة على (١.٦) لانها هنا لن تضطر إلى استخدام طرق غير مشروعة لتحصل على مقاعدها فهي ستنالها ببساطة نسبية. فهل بعد ذلك من هزيمة اكبر للديمقراطية وللوعي

إن (مجلس النواب العراقي) صوت على الفقرة (١٤) من قانون الانتخابات. وتتضمن الفقرة توزيع المقاعد على القوائم المتنافسة وفق نظام سانت ليغو المعدل بدلا من نظام «هونديت» الذي تم توزيع المقاعد على أساسه في انتخابات ٢٠١٠م.

كما تم التصويت على ان يكون تسلسل المرأة بعد ثلاثة رجال عند تقديم قوائم الترشيح للانتخابات.

وكانت هناك ثلاثة خيارات مطروحة في جلسات مجلس النواب لطريقة احتساب وتوزيع أصوات الفائزين في الانتخابات النيابية، وهي: تقسيم العراق

إلى ٢٥ دائرة انتخابية، أو اعتماد نظام «هوندت»، أو تعديل نظام سانت ليغو الذي جرت على اساسه الانتخابات المحلية.

ان كتلة (المواطن، والاحرار، والعراقية)، اصرت على تعديل قانون سانت ليغو بدلا من اعتماد نظام (هوندت) الذي يقول ان «دولة القانون كان الأشد تمسكا به».

وعلى أساس ذلك تم التعديل الذي اجري على فقرات قانون سانت ليغو وصوت عليها البرلمان بشكل منفرد لذلك فان الانتخابات في ٢٠١٤ اعتمدت نظام «سانت ليغو المعدل» بعد جدل كبير حول اختياره أو الاستناد إلى نظام هونديت. واعتماد القائمة المفتوحة والدوائر المتعددة، ومنح المكون المسيحي ٥ مقاعد، ومقعد للازيديين، ومثله لكل من الشبك والصابئة. وفي تحديد سجل الناخبين على بيان وزارة التجارية الخاصة بالبطاقة التموينية. كما صوت المجلس على الفقرة الخاصة بان يكون عمر المرشح ٣٠ عاما وحاصل على الشهادة الاعدادية على الاقل.

نظام «سانت ليغو المعدّل»، في طريقة احتساب الأصوات هو واحد من اهم اسباب تعطيل تشكيل الحكومة، لعدم وجود قانون ينظم عمل الأحزاب السياسية في العراق. بعد ان ارتأت الكتل الكبيرة تأجيل تحالفاتها مع الكتل الصغيرة إلى مرحلة ما بعد الانتخابات، من أجل الحصول على أكبر عدد ممكن من المقاعد في البرلمان المقبل. وبطبيعة الحال، سيعطي هذا النظام الكتل الصغيرة المنفصلة عن الأم نفوذًا أقوى في البرلمان. أي ان هذا النظام سيزيد من إمكانية حصول الكيانات الصغيرة المعروفة على أصوات إضافية

لغرض التحالفات، أو بمعنى اخر سيتم اعادة نفس البرلمانيين ولكن بقوائم منفصلة من القائمة الاصلية الأم وتزيد من عدد الفائزين من اتجاه واحد.

واعتمد هذا النظام في انتخابات ٢٠١٤م العراقية على احتساب الأصوات بتقسيمها على نسبة (١.٦) و(٣.٦) صعودًا إلى الرقم الفردي.

لعبة اخرى وخدعة دستورية

الواضح انه يتم استخدام طرق رياضية احصائية في حساب عدد الاصوات الانتخابية وبالتالي تحديد عدد المقاعد في البرلمان.

في طريقة «سانت ليغو» تم فسح المجال امام اصوات القوائم الصغيرة المعروفة للحصول على كراسٍ انتخابية وبلعبة احصائية، ولكن لو تم استخدام «هوندت» لوجد الفائزون انفسهم الباب مسدودة امامهم.

فما هي لعبة الوسائل الاحصائية؟. طرق الاحصاء لها دلالاتها اكثر مما هي مفردة يتم ترديدها وتسمعها جموع الناخبين دون أن تعي ما يقصد منها وما هي النتائج المترتبة على تطبيقها وتعديلها وطرق استخراج نتائجها، كما لا تعي معنى دستورية النظام هذا أو ذاك ونتائجه. ان تلك الجموع المنشغلة دون وعي الا بذاتها المهزومة يعيش معظمها تحت خط الفقر، واكثر من ذلك تستلب عقولهم الامية المتغذية على الطائفية والعشائرية ومنشغلة طوال الوقت بتوفير لقمة العيش. هذه الجموع لا يهمها معنى نظام (سانت ليغو المعدل) ولا معنى زيادة هذا الرقم ونقصان الاخر أو ما يعني قسمة هذا الرقم ومن أين استخرج على الرقم (١.٦) بدلا من (١) فتعطي حظوظا لمن لا يريدوهم وتحرم من صوتوا لهم.

كان حكم المحكمة الفدرالية في نظام «هونديت» الانتخابي المطبق عام ٢٠١٠م يقر بان توزيع المقاعد باستعمال مبدأ الباقي الاكبر أو (الباقي الاقوى) في النظام النسبي بالنسبة للدوائر الانتخابية ال ١٨ عضو كانت (غير دستورية) حيث وجدت المحكمة العليا فيه تضاد لواحدة من الحقائق الاساسية للدستور العراقي، والتي تقضي بان اي قانون يخالف اي مبدأ ديمقراطي لايمكن تبنيه وبانه لابد من المزيد من التنظيم التناسبي. وانا أجزم بأن الكثير من الناس لم تسمع «بهونديت» ولا بعدم دستوريتها ولم تترجم المصطلحات بدلالتها الاحصائية التي تتضمن بعدا سياسيًا وثقافيًا لا يدركه الا اصحاب العلاقة من المستفيدين أو المتضررين. ويغدو هذا التجاوز مبررًا لدى النخب السياسية عند النظر إليه من زاوية القانون، الذي تم على أساسه خوض انتخابات المحافظات عام ٢٠٠٩م ومن ثم الانتخابات العامة عام ٢٠١٠م. فالقانون يحوّل كل محافظة عراقية من بين المحافظات ال١٨ إلى دائرة انتخابية واحدة، ومن ثم يستخدم القائمة الحزبية شبه المغلقة، وكان هناك نوعين من المقترحات أو الحلول لأصوات المرشحين الخاسرين، يتمثل الأول بإقرار مفهوم «الخاسر الأقوى» الذي يسمح بخفض العتبة الانتخابية بعد احتساب الفائزين لتشمل المرشحين الأقرب من سواهم لهذه العتبة بصرف النظر عن القوائم التي ينتمون إليها، فيما يميل المقترح الثاني إلى تنظيم جولة إعادة بين الخاسرين الأقوى، عبر السماح للناخب باختيار مرشح واحد فقط من داخل القائمة الانتخابية التي اختارها بالأساس، قبل أن يقر معادلة حسابية تضيف أصوات المرشحين الذين لم يتجاوزوا «العتبة الانتخابية» إلى القوائم التي نجحت في تجاوزها وفق النسب التي حصلت عليها، ما يسمح بنجاح

مرشحين عن القوائم الكبيرة لم يحصلوا على ٥٠ صوتا على سبيل المثال بعد حصولهم على أصوات مرشحين آخرين حصلوا على ٢٤ ألف صوت.

أي من المقترحين لم يؤخذ بهما بل كان التوجه إلى ايجاد (ثغرة) في قرار المحكمة الدستورية وان مجرد البحث من هذا النوع واستثماره يعني محاولة استبعاد الاخر لغرض بقاؤهم في مواقعهم والحفاظ على المكتسبات.

ان مؤشر عدم وجود موقف واضح من المحكمة الدستورية العليا وقراراتها وفتواها، مؤشر خطير فإما أن تكون فتاوى المحكمة حاسمة وملزمة وتخضع لها كل السلطات، وإما أن تكون غير ملزمة، لكن أن يتم التعامل مع تلك القرارات بانتقائية، فتصبح ملزمة عندما تخدم مصالح طرف ما، وغير ملزمة عندما تتعارض مع مصالح هذا الطرف فإن ذلك يشكل طعنًا حقيقيًا بمسارات العملية السياسية منذ تشكيلها أو هو لا يمثل ادنى من فكرة الاصرار على تزوير إرادة الناخبين وتعميق الانقسام الاجتماعي الذي اعتمد على التمحورات حول الجماعات.

المشكلةالحقيقية

أن المشكلة الحقيقية هنا هي مشكلة الوعي بثقافة الانتخاب، فالناخبين البسطاء لا يبحثون عن قانون الاحزاب ولا النظام الانتخابي ولا الطرق الاحصائية في احتساب الاصوات ولا تعتقد بوجود اساليب مختلفة لتتويج المرشح ومنحه الاصوات ولا المشكلة في طريقة إحصاء الاصوات أن الوعي المهزوم هو الذي دفع الناس إلى التصويت دون معرفة بدستورية القوانين أو بقبول أو رفض قرارات المحكمة الاتحادية العليا أو ما يجري خلف الكواليس،

وأن عدم إدراك كيفية احتساب صوته ولو بشكل مبسط، يجعل الناخب مغيبا فاقدا لإرادته دون ان يعرف. وان السياسيين يستغلون هذا الجهل لصالحهم ويعملون على الإبقاء عليه لان فيه استمرارهم، ومن ناحية اخرى صوتت جماعات بكثافة للكتل الكبيرة التي يعرفوها. ايضا بوعي يعادل ما يرونه انتصارا بعد هزيمة والسبب هو أن السياسيين وزبائنيتهم نجحوا في اختيار لغة الحوار التي تناسب مدارك ناخبيهم، وأن الاخرين فشلوا في ذلك.

القوائم الانتخابية... وكيف اسست ثقافة الانتخاب؟

نموذج انتخابات(٢٠٠٥م)

العلاقة بين الثقافة، والسياسة، والمجتمع علاقة وثيقة وتبدو واضحة في المواقف (الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية) أو غيرها حيث يصعب الفصل بين الحاجة ومحققاتها الثقافية.

الانتخابات العراقية التي جرت في [٣٠-١-٢٠٠٥م] اظهرت عمليات اجتماعية وتفاعل من نوع خاص ولد سلوكا ننسبه لثقافة جديدة على المجتمع العراقي ويمكن ان نسميه ثقافة الانتخاب التي انتظمت حول اشباع حاجات الجماعات المختلفة وجوهر ثقافتها، فتأريخ كل جماعة يمثل تعميماتها الثقافية التي تفسر الوقائع التي حدثت في المجتمع اثناء الانتخابات وهي اولا واخيرا تمثل (ميكانزمات) يتكيف بواسطتها الفرد مع واقعه ويتوافق مما يزيد من فرصة بقائة وبقاء الجماعة واستمرارها، وفي مجتمع مثل المجتمع العراقي الذي لم يقرب بعد من الحضرية الفكرية والسياسية متمثلة بالمعرفة الديمقراطية بثوابتها القيمية الواضحة في تحقيق الحرية والمساواة والعدل والتسامح لحفظ الحقوق داخل المجتمع المتنوع الثقافات بطريقة ادت إلى تشويه الديمقراطية وتحويرها واضفاء صورة قيمية مستمدة من ثقافة المجتمع، حيث كون العرف الاجتماعي والفقه الديني وسيلة سياسية لحفظ حاجات وحقوق الجماعات داخل المجتمع الاكبر، واصبح من النادر ان يجرؤ فرد ينتمي لجماعة يحكمها عرف أو شرع أو فقه معين على مخالفة قواعده تلك، مما

يؤكد ان الواقع الاجتماعي العراقي قد تداعى من الداخل وتمحور النظام الاجتماعي حول نواة من الجماعات الفرعية، فغيب الديمقراطية والوطن والمجتمع على حد سواء وسحق الشخصية السياسية العراقية وشوهها. وانطلاقا من هذه النظرة فأن المجتمع العراقي هو مجموعة من الجماعات التي تزداد تكتلا خاصة في الازمات من خلال تأكيدها على هوياتها فيصبح مفهوم الهوية العراقية مفهوما اجتماعيا بسبب تعدد الهويات وكل منها لا يقبل الاخر بل يعمل على محاولة الغائه مما افقد المجتمع التوازن المطلوب لتحقيق الديمقراطية وافرز ثقافة انتخاب تقوم على ثقافة النوع الفرعية الخاصة لا على الثقافة الوطنية العامة.

ان في العراق معضلة سياسية يتجاذبها الماضي والحاضر ورؤيتها تتجاوز المطلق الالهي إلى المقدس البشري وهي في النهاية تنزع إلى الخاص الفرعي وتتنازل عن العام الوطني. وبذلك تصبح الثقافة بتنوعاتها وبالذات الثقافة السياسية تتعلق بالتغيير المرحلي وتسعى إلى تحقيق حاجات اجتماعية مما افرز ثقافة انتخاب مبنية على العصبية لا على الديمقراطية، كما انها تسلك في اسلوبها الاعلامي سلوكا استبداديا يمثل صفة العصبية التي تنتمي لها ولا تسلك السلوك الديمقراطي الذي يقوم على الخيار المجرد، مما استبعد عفوية التعبير القائم على المساواة في المواطنة وهو جوهر الديمقراطية وجوهر التغيير المطلوب.

لقد وضحت العصبية في الثقافة السياسية من خلال القوائم المعدة للانتخاب والتي مثلت ثقافة النظام السياسي فتعددت وفقا للجماعات الاجتماعية بصيغة

اغلبية واقليات مقدمة برامج تعويضية عن الماضي وحرماناته ووعود بتحقيق الحاجات وبذلك اصبح هناك تسييس للدين وتحزب بداخله وتسييس للقومية وتحزب بداخلها وتراجعت الوطنية امام العصبية واصبح هناك ثقافة عصبيات سياسية – اجتماعية أو ثقافة انتخاب مؤكدة على الاغلبية الطائفية والعرقية وهنا برز وبفعل العصبية والولاء ما يسمى بالزبائنية السياسية دينية وطائفية وعرقية وغيرها تمثل الاكثرية والاقلية على حد سواء في الانتخاب، وهي لا تمثل ثقافة انتخاب سياسية وطنية.

ان المشاهد السياسية المتشعبة والمتداخلة اثناء الانتخابات والطروحات العاطفية والانفعالية المتناقضة للجماعات الانتخابية وضعت المجتمع امام اشكالية (الوطنية والانتخابات) مع عدم الاطمئنان إلى تغليب مشاعر الانتماء إلى القوائم غير المنتمية إلى جماعة اكثر من الانتماء إلى القوائم الممثلة للجماعات التقليدية مما افرز ثقافة انتخاب مقيدة بحاجات الجماعات وثقافاتها الفرعية المميزة لها، فعندما اقتربت عناصر الثقافة للنظام الديني مع الثقافة السياسية كشفت عن وجود ثقافة انتخاب مقيدة بالفقه الديني وليس بالدين أي بالجماعة الممثلة لفقه معين دون الاخر لانها انقسمت وفقا لفكرة الاغلبية ووفقا للماضي وتاريخ كل جماعة، مما يعني وجود انشطار وتحزب داخل الدين والاخطر انه يتمثل بقوائم انتخابية، كما كان تقارب عناصر الثقافة العرقية من نفس الثقافة السياسية مؤكدا لنفس النتيجة في الانتخابات.

ان المشكلة الحقيقية الان تتمثل في ان موضوع الانتخابات اصبح يمثل معضلة تؤثر في الثقافة السياسية وفهم ثقافة الديمقراطية وفي طبيعة ثقافة

التعددية السياسية وفي ثقافة الانتخاب تحديدا وفي السلوك الانتخابي على مستوى الفرد والجماعة اثناء الانتخابات، وللناخب والقوائم الانتخابية مما يؤثر في مستقبل المجتمع والثقافة الوطنية للفرد العراقي.

لذلك تبدو اهمية الموضوع من خلال التكرار لطبيعة قوائم الانتخاب المعبرة عن الجماعات الاجتماعية الامر الذي ابرز تكتلات سياسية – اجتماعية أو (زبائنية سياسية)، تؤكد على الثقافة الفرعية وليس على الثقافة الوطنية، وان اهمية اختيار انتخابات (٢٠٠٥م) كنموذج يأتي من كونه بداية لترسيخ هذا النمط من اعداد القوائم رغم اختلاف الائتلافات في انتخابات (٢٠٠٩م) فيما بعد أو انقسامها مما يؤكد وجود مشكلة حقيقية تؤدي إلى استمكان ثقافة مشوهة للانتخابات البعيدة عن مفهوم الديمقراطية الضامنة للحريات وللحقوق ومفهوم الوطنية.

لذلك احاول اعتماد نتائج انتخابات (٢٠٠٥م) للكشف عن الطبيعة الاجتماعية لثقافة الانتخاب وتمحور الناخبين حول الجماعات التقليدية بشكل يوضح ان لكل حزب جماعة أو زبائنية اجتماعية – سياسية تروج لهم، مما تؤثر سلبا في عملية التحول الديمقراطي وتشكل ثقافة انتخاب مشوهة لمفهوم الديمقراطية والوطنية. كما ان استخدام الرموز والشعارات الاعلامية المختلفة كانت معبرة عن نفس الفكرة الاجتماعية وداعمة لتشكيل ثقافة الانتخاب في العراق.

مفهوم الثقافة

يمكن ان نوضح معنى الثقافة بانها المحصلة للتراث الانساني سواء كان هذا التراث ماديا أو غير مادي. ويمكن ان تدرس الثقافة اما من خلال سماتها أو من خلال انساقها فالسمات الثقافية هي امتزاج الافعال والافكار لحاجة أو موقف معين. اما الانساق فهي نوعين اولهاالانساق الثقافية الكبرى التي تختلف من مجتمع لاخر واطلق عليها اسم (روح المجتمع) وعرفها «سمنر»: بانها مجموعة من الخصائص أو السمات التي تتصف فيها الجماعة أو المجتمع مما يميزها عن غيرها من المجتمعات أو الجماعات.([١]) ثاني الانساق هي الانساق الفرعية حيث للثقافة مكانة في حياة الفرد أو الجماعة لذلك تظهر اختلافات في درجة المشاركة الثقافية وميزها «رالف لنتون» بثلاث مستويات:

* العموميات: وهي الخصائص الجوهرية في الثقافة مثل الانساق الدينية والاثنية وغيرها.
* البدائل: هي الانشطة التي يكون فيها الفرد امام خيارات مسموح بها.
* الخصوصيات: تمثل النسق القيمي الخاص الذي يجعل الفرد يختلف عن الاخرين.([٢])

ان الجانب المعنوي من الثقافة المتمثل بالنتاج الاجتماعي من عرف ونتاج فكري وعلاقتها بالمواقف واختلافات درجة المشاركة الثقافية واوجه الاختلاف والمشابهه مع الاخرين يجعلنا نُعرف الثقافة بانها طموح افراد المجتمع. ويمكن ان نرتبط بهذا المعنى مع مفهوم الثقافة السياسية التي تمثل جزء من

١ -**sumner.folkways.boston: gin and company.١٩٠٧.p٧٠**
٢ -**linton R the study of man Newyork Appleton century-crafts ١٩٣٦ p٢٧٢-٢٧٤**

الثقافة السائدة في المجتمع غير انها بمجموع عناصرها تمثل تركيبا منظما ينطوي على طبيعة سياسية، أو بمعنى اخر طموح سياسي. ورغم الجذور البعيدة لهذا المفهوم الممتدة إلى فلاسفة الاغريق واسموها بالفضيلة المدنية، وهي ماخوذة من زاوية التمسك بالقيم الديمقراطية في هذا العصر لذا يمكن تعريفها حسب المستوى المراد دراسته وكما يلي:

مستوى الفرد: فيها يكون التركيز على الفرد وينصب الاهتمام على الطرق التي يتوجه بها الفرد ذاتيا نحو العناصر الاساسية في نظامه السياسي كما ان لها بعدا يختص بشعور الفرد وطريقة تفكيره بالرموز والقواعد التي تكون النظام السياسي في مجتمعه وكيف يستجيب لها وبالتالي طبيعة الروابط بينه وبين مقومات نظامه السياسي وكيف تؤثر في سلوكه.

مستوى النظام : يمثل موقف الجماهير من النظام السياسي القائم والعناصر المكونة له، وهنا تؤخذ الثقافة السياسية على محمل كونها وسائل متماسكة على نطاق واسع، حيث يوجد لدى معظم الناس داخل النظام توجهات سياسية متماثلة أو منسجمة ملائمة للمؤسسات السياسية التي يتعاملون معها. اذن الثقافة السياسية هنا لا تتعلق بالبنى السياسية الشكلية أو غير الشكلية أو بالنمط الراهن للسلوك السياسي الملاحظ في مجتمع معين بقدر تعلقها بما يعتقده الافراد ازاء تلك البنى والمؤسسات([١]).

يذكر الدكتور (ناظم جاسور) في موسوعته السياسية: ان هناك الثقافة السياسية الشاملة في المجتمع والسائدة بصورة عامة وهي الثقافة المسيطرة،

١- صادق الاسود علم الاجتماع السياسى اسسه وابعادة وزارة التعليم العالى والبحث العلمى- جامعة بغداد ١٩٨٦ص ٢٤١.

والثقافة الفرعية وهي (العشائرية، والدينية، والطائفية، والاقليمية)، وانها ظاهرة عامة في اغلبية دول العالم اذ يؤكد (لوسياني باي) و (سيدني فيربا) بأنه لا يوجد أي مجتمع له ثقافة سياسية واحدة موحدة وفي كل الامور السياسية، هناك تمييز بين ثقافة الحكام والذين يمسكون بالسلطة وبين ثقافة الجماهير سواء كانوا مجرد رعايا في مجتمعهم القديم أو مواطنين مساهمين وقد يحدث التعارض بين الثقافة السياسية السائدة والثقافة السياسية الفرعية إلى حد التصادم وقد تهدد استقرار المجتمع واحيانا تتم المشارطة السياسية وارساء الديمقراطية. وهناك من ربط الثقافة السياسية بالمذهب السلوكي خصوصا ما طرحه (غابرييل الموند) و (سيدني فيربا) حيث ركزا على النظام السياسي والتوجهات نحو الاخرين في النظام السياسي اي نظرته في الاختلاف السياسي في الراي وفي الصراع والتنافس وفي الاحزاب والتوجهات واخيرًا نحو النشاط السياسي الذي يقوم به الفرد ذاته وينطوي ذلك على نظرته في السياسة وفي اسهامه فيها([١]) اذن تتضمن الثقافة السياسية العديد من الثقافات السياسية الفرعية الاخرى التي تختلف باختلاف الاجيال والبيئات والمهن ويمكن ان نصنفها إلى ثلاثة انواع رئيسية:

١. الثقافة السياسية الضيقة وهي تسود محتمع ما اذا كان افراده لا يملكون حدًا ادنى من المعرفة أو القدرة أو الرغبة في اصدار احكام تجاه اربعة مسائل رئيسية هي: النظام السياسي والنشاط السياسي للمواطنين مثل

١- ناظم عبد الواحد جاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت ٢٠٠٨م ص٢٢٦.

الترشيح والانتخاب... والنشاط الحكومي واخيرا تصور الافراد عن ذواتهم كمشاركين في العملية السياسية.

٢. الثقافة السياسية التابعة ويكون للأفراد معرفة تامة بالنظام السياسي وبقواعد اللعبة السياسية وينبع عزوفهم عن المشاركة السياسية من ادراكهم عدم جدواها.

٣. الثقافة السياسية المشاركة ويسود هذا النمط في المجتمعات الديمقراطية التي يكون للرأي العام دور مؤثر سواء من خلال المؤسسات التي تعبر عنه مثل الاحزاب وجماعات الضغط أو من خلال التصويت واستطلاعات الرأي.

إن المجتمع المتعدد الثقافات كما المجتمع العراقي تبرز فيه الثقافات السياسية المتعددة باشكالها وهي مهمة من ناحية انتاج الاستقرار في النظام الاجتماعي ولكنها قد تتعرض للاهتزاز تحت ضغوط ومتطلبات الثقافة الوطنية فالثقافة السياسية بالنسبة للفرد هي سلوك سياسي اما بالنسبة للمجتمع فهي بنية قيم(١).

لذلك تظهر فكرة التعددية السياسية في المجال الاجتماعي والفكري ويمارس الناس فيه الحرب بواسطة السياسة اي بواسطة الحوار، والنقد، والاعتراض، والاخذ، والعطاء وبالتالي التعايش في اطار السلم القائم على

١ـ صادق الاسود، المصدر السابق ص٢٤٨.

الحلول الوسط (وان هانز كيلسن) يقول: «حقا لوهم أو مكر أو رياء بأن التعددية ممكنة دون احزاب سياسية»([1]).

ان عملية تنظيم ممارسة هذه التعددية السياسية ارتبط بمفهوم الديمقراطية التي تعرف بالمعنى المتداول حكم الشعب أو (حكم الناس) وبذلك فأنه تربط السياسي بالاجتماعي والديمقراطية التقليدية أو ديمقراطية (ارسطو) تضع الجميع في حالة من المساواة أمام القانون كاحدى قيمها المتمثلة بالحرية والعدالة والتسامح وقبول الاخر([2]). الكتاب المعاصرين مثل (بادفر) يشيرون إلى ان الديمقراطية هي ثقافة سياسية يقتسم فيها المواطنون السلطة ويختارون حكامهم بحرية ويحتفظون لانفسهم بحق الرقابة عليهم([3]). اما (روبرت دال) فقد ذكر انها نظام حكم الكثرة.([4]) بينما وجد الكتاب العرب ان الديمقراطية ليست مجرد ضمانات للافراد ومجرد كفالة للحريات الفردية انما هي اسلوب التنظيم السياسي الذي يكفل حكم الشعب نفسه بنفسه أو مشاركته بدرجة من درجات الفاعلية.([5])

ان مشتركات الافكار الواردة ترتبط باختيار الحكام وفقا لارادة الافراد في المجتمع والتي تتم عن طريق الديمقراطية بوسيلة سميت الانتخابات والتي تعني اختيار من يمارس السلطة نيابة عن الافراد وبذلك تقدم الضمانات

١- ناظم جاسور، المصدر السابق ص ١٩٦.
٢- عبد الوهاب المسيري، الحداثة ما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٣م، ص٢٢.
٣- محمد سليم محمد غزوي، نظرات حول الديمقراطية، دار وائل للطباعة، الاردن٢٠٠٠م، ص١٢.
٤- عبد الاله بالقزيز، المسالة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٠م، ص١٦.
٥- نقلا عن عبد الجبار احمد عبد الله، الديمقراطية والامن القومي العربي، مجلة العلوم السياسية ع٢٧، بغداد ٢٠٠٣م، ص٥٧.

للجماعات المختلفة المتعددة بثقافاتها وفق الحريات التي يمارسونها في الانتخاب.([1])

الانظمة الانتخابية مختلفة منها نظام الاغلبية الذي افرز مفهوما جديدا هو مفهوم الاغلبية الطائفية التي برزت في لغة الخطاب السياسي والعملية الانتخابية بعد الغزو الامريكي للعراق حيث الاغلبية الشيعية تحولت إلى طائفة سياسية لها احزابها وتمثل اغلبية انتخابية([2]). بمقابل ذلك تشكلت داخل الجماعة الطائفية السياسية نظام يضمن استمرار تبعية الزعامة السياسية لكل طائفة وهذه تشكل تبعية علاقة شخصية لا علاقة لها بالقربى وترتكز على تبادل المنافع بين موقعين غير متوازيين من حيث الموارد وتشبه (بالمعلم والزبون) وسميت بالزبائنية السياسية([3]) وهي كمصطلح ترادف في مجتمعنا العربي مصطلح الولائية والانخراطية، وتستعمل الزبائنية لانشاء روح التضامن ودعمه وادامته بأثارة نزعات قبلية، واثنية، وطائفية، ولغوية، وسياسية، ومهنية، واستمالة قادة الرأي اقتصاديا واعلاميا.([4])

عليه فان ثقافة الانتخاب في المجتمع العراقي هي مجموعة الخصائص التي تتصف بها الجماعات والتي تظهر في درجة المشاركة الثقافية وفق الانساق المختلفة للافراد منها الدينية والاثنية والعشائرية... وغيرها، اما التفضيلات الثقافية فتتوضح من خلال العلاقة بين الفرد والجماعة وبين المجتمع والانساق

١ـ منذر الشاوي، القانون الدستوري (نظرية الدولة)، دار القادسية للطباعة بغداد ١٩٨١م، ص١٠٠.
٢ـ ناظم جاسور، المصدر السابق ص ١٠٨.
٣- ashahed.blogspot.com عن موقع شبكة الانترنت.
٤ ـحنا بطاطوالعراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية فى العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية ج ١ ترجمة عفيف الرزاز ط٢بيروت ١٩٩٩م.

الفكرية والاخلاقية التي تتصل بحاجات مختلفة وقناعات سائدة والتوقعات المشتركة في اطار نمط الحياة التي تصبح جزء حقيقي من الجماعة وتظهر بشكل تفضيلات.

ازمات المجتمع العراقي...

يمكن ان نصف المجتمع العراقي بانه مجتمع متنوع في بيئته وتنظيمه الاجتماعي وفي انتماءاته الطائفية والاثنية فمع العرب هناك الاكراد، والتركمان، والاشورين، والارمن، والكلدانين، واليهود، والصابئة، والايزيديين... واخرين غيرهم وهذه تمثل مجتمعات متمايزة مختلفة فيما بينها وبعضها منغلق إلى حدما على ذاته، هذا عدا تنوعه في الجانب الاخر فهناك انتماءات وولاءات متعددة منها العشيرة، والمدينة، والقرية، والمنطقة... وغيرها. ان هذه التركيبة المتنوعة يتبعها تنوع في الثقافة وتنوع في مشكلاته المستحكمة بسبب هذا التنوع([1]) رغم وجود اراء تعتقد ان المجتمع العراقي كان موحد الهوية رغم التعدد في تنويعاته مستندين إلى فكرة عدم وجود نزاعات واضحة ومستحكمة بين فئاته المختلفة وانه متعايش ومستقر داخليا ويؤكد افراده على ثقافة الوحدة الوطنية.غير أن الوضع الحالي افرز تغليبا للهويات الفرعية على الهوية العامة وانه يعاني من عدم القدرة على الاتفاق حول الاسس العامة حيث تنوعت الاحزاب والكيانات السياسية الطائفية والدينية، والعرقية، والعشائرية الممثلة للتنويعة الاجتماعية مما يؤكد عدم صحة الفكرة السابقة، كما ظهر توجه فكري وسياسي مختلف تجاه اوضاع

١ـ منى العينة جى التحضر فى المجتمع العراقى، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٣م، ص١٠٠.

الاحتلال والانتخابات مقابل احزاب وكيانات تحمل اوصاف معينة غير ان توجهاتها السياسية اختلفت في السلوك السياسي.

كما يمكن ان نصف المجتمع العراقي بأنه مجتمع انتقالي فهو مازال يشهد صراعا ثقافيا بين تعميماته التقليدية ومظاهر التجدد الداخلة([1]) إليه من فكر ديمقراطي أو مؤثرات تكنولوجية لم تكن قد تعامل معها وهو مازال يناقش في تاثيرها وفقا لثقافته الماضوية وهو انتقالي لانه يعيش صراعا بين حاجاته وارتباطاته السياسية الجديدة واخيرا هو انتقالي لانه محتل ويسعى لفكرة وطنية في ظل الاحتلال مما يشكل فجوة في معرفته واختراقا لها.بقبوله التبعية تحت شعار الوطنية وبهذا اصبح المجتمع العراقي مغتربا شأنه شأن المجتمعات العربية([2]) مغتربا عن واقعه فهو منهزم سياسيا ومنهزم اجتماعيا ومنهزم اقتصاديا فكل هذه الاحزاب والحركات السياسية والاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني ودعواتها لم تثبت قدرتها على تحقيق اهداف المجتمع لذلك فانه بلا محور يستند إليه بل ازدادت الفجوة التي بينه وبين العالم على كل المستويات ويتعامل كمحتل فضلا عن الفجوات الكثيرة التي اصيب بها، منها الاقتصادية فالنظام الجديد لم يحقق له التغيير في اوضاعه الاقتصادية ان لم تزدد سوءًا، فضلا عن فقدانه السيطرة على موارده ولم يعد منتجا بل مستهلكا من الطراز الاول. اما مؤسسات الدولة فهي تعمل وفقا لاجندات الاحزاب التي تراسها والتي تمارس مهامها وفق مبدا استغلال المؤسسة لصاحبها واصبحت

١- حليم بركات المجتمع العربى المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٤م، ص٤٨.
٢- رند رحيم فرانكى مراقبة الديمقراطية فى العراق تقرير رقم١ عن الوضع فى العراق ايلول ٢٠٠٣م مجلة المستقبل العربى مركز دراسات الوحدة العربية بيروتص٧١.

العلاقات اكثر شخصانية داخل المؤسسة واصبح المقربين اكثر تاثيرًا من المسؤلين.

ان هذه الحالة ورؤية الفرد بعدم جدوى التغيير الحاصل دفعه إلى العودة إلى الروحانيات وإلى التمسك بالطائفة والعرق والعشيرة لتحقيق ما لم يستطع تحقيقه في توفير الحاجات ومنها حاجاته الاساسية. بذلك اصبحت الثقافة الفرعية التي تعتمد على الاغلبية سواء طائفية، أو اغلبية قومية، أو اغلبية عشائرية وهكذا هي السائدة. اي انه يمكن للاغلبية الناخبة ان تهتم بالشخص وليس بالمواطنة أو الوطن بما يحقق للطرفين الناخب والمنتخب ضمانات الزعامة للأول وتعويض الحرمانات للطرف الثاني كسلطة ومراكز قوى وليست خدمات للافراد، وبذلك يتم احتكار الطوائف والقوميات والعشائركناخبين على اساس نظام الاغلبية والاقلية ويتم احتكار التزعم الزبائني باليات النظام الزبائني بالوعود ومن ثم بمنح حقوق للمقربين ووساطات وغير ذلك. وبذلك يتم اختزال اندماج المواطن في عملية التحول الديمقراطي وتحديد انتمائه لموطنه وبالتالي خياراته الانتخابية وفقا لانتمائه الاجتماعي فتتشكل ثقافة الانتخاب وفقا لذلك.

ازمات المجتمع العراقي:

بما ان المجتمع العراقي هو مجتمع متنوع كما اسلفنا فأن تأثيرات انهزامه السياسي بدت واضحة على ولاءات افراده لاسيما بعد قيام سلطة التحالف المؤقتة بتعيين مجلس حكم عراقي في تموز (٢٠٠٣م) مؤسس على المحاصصة والتمثيل النسبي الطائفي والعرقي بدلا من التمثيل السياسي، تبعه

تعيين مجلس وزراء في ايلول (٢٠٠٣م) المبدا عينه فكان لذلك اعتبارات اجتماعية([١])

الاعداد ادناه تمثل توزيع سكان العراق (نسب مئوية) الذي اعتمد عند تشكيل مجلس الحكم ومجلس الوزراء - المعلومات منقولة عن ندوة احتلال العراق مركز دراسات الوحدة العربية.

الشيعة العرب	٥٦	**السنة العرب**	١٦		
الاكراد	٢٤	**التركمان**	٤	**الاشوريون**	٠,٠٤
المجموع الكلي ٩٦.٠٨					

الواضح ان هناك جماعات لم تمثل وهي جزء غير قليل من المجتمع العراقي ويمثل نسبة [٣,٩٢%] حسب تقديرات غير معروفة المصدر، ومن هؤلاء الصابئة، واليزيدية، والشبك، والمسيحيين الكاثوليك والبروتستانت والارمن (١٠) وان لكل من هؤلاء احزابه السياسية ومنظماته المدنية. لقد اعقب تشكيل مجلس الحكم ومجلس الوزراء اعمال عنف بأشكالها المختلفة من خطف، وسلب، ونهب، وتخريب وتهديد عدا القتل باساليب عنيفة، كل هذه مثلت صراعات واضطرابات وانحرافات اجتماعية كان استمرارها وتنوعها وتطور أساليبها العنيفة يؤشر ضعفا في التنسيق بين الحكومة المؤقتة وقوات الاحتلال في حماية المجتمع وجماعاته المختلفة كما اشرت عدم تطبيق القانون أو ضعفا في تطبيقه.

١ـ صادق الاسود، مصدر سابق، ص٢٤٨.

ان هذه الحالات اضعفت الروح المعنويه لافراد المجتمع وافقدهم الثقة بالقيادة وقدرتها على ادارة الازمات وحلها وحماية المجتمع. كما ان حل الازمات الاساسية لم تستطع الحكومة المشكلة ايجاد حلول لها فهي لم تستطع توفير فرص عمل للعاطلين ومضافا لكل ذلك انعدمت الخدمات من كهرباء، وماء، ووقود، وخدمات الاتصالات والمواصلات.

وبما ان الدولة هي التي تفرض القيم والافكار السياسية ذات الابعاد الوطنية لا سيما في المجتمعات ذات التعددية الثقافية وان التطور السياسي يكون عادة مصحوبا بتطور في ميدان الثقافة السياسية فان القوة السياسية الافضل هي التي تستطيع فرض ثقافة سياسية وطنية لا ان تفرض ثقافة سياسية من نفس طبيعتها واهدافها([1]).

ان الواقع كان غير ذلك وتحول الانتماء الوطني المبني على التعاقد بين الدولة والمجتمع إلى تعاقد بين الافراد والجماعات وبدأت تظهر بوضوح سمات الانحياز إلى الجماعات التقليدية واصبحت الولاءات الكامنة يعبر عنها صراحة.

وهنا بدأت ازمات المجتمع العراقي. لعل اهم تلك الازمات هي ما يمكن تحديده بما يلي:-

١- الاحزاب السياسية وطبيعتها.

٢- الولاءات أو الزبائنية السياسية.

١- عبدالرضا الطعان البعد الاجتماعى للاحزاب السياسية دار الشئون الثقافية العامة بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ١٣٢.

١- **الاحزاب السياسية وطبيعتها**

يمكن ان نميز بين نوعين من الاحزاب وفقا للعَالم (دوفرجيه) هي احزاب الجماهير، واحزاب الاطر.([1])

احزاب الجماهير: وهي تسعى إلى زيادة حجم سندها الشعبي لذلك هي تبدو غير متماثلة من حيث هذا السند الذي بموجبه يتم التمييز تماما الحزب عن باقي الاحزاب وظهر هذا النوع من الاحزاب بعد (٢٠٠٣م) أي بعد الاحتلال على اسس تعتمد على التقسيمة الاجتماعية للعراق، وحتى الاحزاب الايديولوجية التي يعتبر هذا التقسيم ضد ايديولوجيتها لم تتجاوز هذه التقسيمة فظهر على سبيل المثال الحزب «الشيوعي العربي» وحزب «اسلامي كردستاني» وحزب «اسلامي عربي» حيث يمثل السند الشعبي لكل منهم الجماعة الاجتماعية التي يمثلها الحزب. ومن الواضح انها اعتمدت على فكرة الاغلبية والاقلية.ومنها الاحزاب الدينية الطائفية منها المجلس الاسلامي الاعلى (المجلس الاعلى للثورة الاسلامية سابقا) وحزب الدعوة الاسلامية والحزب الاسلامي والاحزاب القومية مثل الحزبين الكرديين المعروفين.

احزاب الاطر – وهي لا تسعى إلى السند الجماهيري بل انها تهتم بالنوعية وجمع الوجهاء ومن لهم هيبة وتأثير ويستخدمون كضمان للمرشح وكسب الاصوات ويعرفون تحريك الناخبين وتنظيم الحملات الانتخابية ولهم قوة ونفوذ. ومنها حركة الوفاق الوطني العراقي.

١- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع : شبكة العلاقات الاجتماعية، ط٣ (دمشق، بيروت دار الفكر) ١٩٨٦م، ص٥٧-١١٣.

ويمكن اعتبار النوع الاول هو الاكثر تاثيرا في الانتخابات لما له من جاذبية للجماعات التي تستند إلى ثقافتها الاجتماعية الساندة للقوائم المرشحة، وكما يعدهذا النوع من عوامل بناء ثقافة انتخاب في المجتمع العراقي. بحكم الاعتماد على الاغلبيات الاجتماعية.

٢- **الولاءات أو الزبائنية السياسية**

ازمة الولاءات تفجر عنها فيما بعد انواعا من الازمات المرتبطة بها كأزمة العنف والإرهاب وتغييب الاخر والفساد وغيرها. كما ظهر مفهوم (الزبائنية) الذي يمثل شكل من اشكال الفساد السياسي الذي ينخر جسم الديمقراطية المعاصرة وهو مرادف (للولائية) ويعتبر ظاهرة اجتماعية مرضية تتزايد طرديا مع درجة الفراغ الاجتماعي وضعف العلاقة الدينية منذ دخلت الحضارة منعطف العقل ثم الغريزة، وترتكز الزبائنية على تبادل المنافع بين موقعين غير متوازيين من حيث الموارد وتشبه (بالمعلم والزبون)([١]) أو (الحزب والناخب).

من ابرز تلك الزبائنيات أو الولاءات الحزبية:

١- الولاء الديني ان سبب هذا الولاء ليس جديدا وظهر منذ المواجهة الأولى مع إيران التي اطلقت على النظام السابق اسم (النظام المرتد)([٢])، وفي تسعينات القرن العشرين بدأ المد الديني وتبنى النظام رموز وشعارات دينية فتوضحت ملامح التدين ولكن بمظاهر شكلية اثرت فيما بعد في

١- رند رحيم فرانكى، مصدرسابق، ص٧٢.
٢- حليم بركات مصدر سابق، ص٥٠.

المجتمع([1]) كانت المظاهر التي غض النظر عنها النظام السابق قد شجعت على ظهور السلفية الدينية فيما بعد، مقابل ذلك تم تغييب فئات من المجتمع كانت لها توجهات دينية. وبعد اسقاط النظام غيبت الفئات التي كانت مستفيدة من النظام وحلت الاجهزة الامنية والاعلامية والتي كانت تمثل نمط طائفي سياسي غير معلن، ومع استحداث فكرة المحاصصة السياسية وارتفاع اصوات الغالبية من الطائفة المغيبة التي عانت من الاستبعاد القسري والظلم الاجتماعي أدى لان ينقسم الولاء الديني إلى احزاب طائفية وتحول إلى صراع سلطة ونفوذ بعد ان تجاوزه الوعي الثقافي باعمال العنف الطائفية رغم رفع شعارات سياسية ووطنية.

٢- الولاء العشائري والعائلي: يقوم التنظيم الاجتماعي في العراق على العشيرة وان النظام السابق شجع هذا النوع من الولاء لاسباب وانها ترسخت واستخدمت كأداة تقليدية (العصبية) لم يستطع مجلس الحكم وما تلاه من الفصل بينهما وبين سلطة العائلات حيث برز عدد غير قليل من الوزراء نزولا إلى الوكلاء والمُديرون العاملين من اقارب اعضاء مجلس الحكم، وبذلك ابتعدت الحكومة عن المجتمع بسبب العلاقات التقليدية وبقيت مهمتها فض النزاعات بين الفئات الموالية لجماعاتها المتنازعة فيما بينها والتي كانت من خلال صراعها تحاول ان تثبت وطنيتها بينما اثبت الواقع انها عائقًا امام التوحيد السياسي في المجتمع.

١- جوناثان راندل امة فى شقاق دار النهار للنشر ط١، ١٩٧٧م، بيروتص٢٩٦.

٣- الولاء الاثني: يمثل (الاكراد) نسبة غير قليلة من المجتمع هذا عدا التركمان والاشوريين وباقي الاقليات العرقية الصغيرة، ويمثل التفتيت العرقي الذي تعرضت له الاقليات من حرمان في حقوق المواطنة، عدا استباحة حقوقهم والمشكلات السياسية التي طالتهم وتعرض فئات منهم للتهجير أو تعريب مناطقهم([1]) لذلك، فأن منهج العنف الذي شملهم كان وراء تكتلهم وولائهم لجماعاتهم الذي هو رد فعل طبيعي للواقع الاجتماعي والسياسي الذي اعاق الوحدة الوطنية والذي كان اكثر بروزا في ظهور احزاب وحركات سياسية واجتماعية تختص بهمومهم تحقيقا لمعادلة ضعف الدولة يقوي الولاءات، فأن الفوضى السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والامنية، وغياب قوة القانون ادت إلى تنامي الحس الديني واصبحت العشيرة والجماعات العرقية تمثل الملاذات الامنة في مواجهة الانفلات الامني واصبح واضحا الخوف من الانتماء إلى الاحزاب ذات البرامج السياسية التي لاتمثل جماعة معينة وربما كان لذلك اسباب:

أ- الخوف من ضياع اخر ملاذ لهم والمتمثلة بالمصالح الفرعية (دينية، وطائفية، وعرقية، وعشائرية)

ب- الخوف من صراعات جديدة بين الاحزاب حيث سبق لمجلس الحكم ان اصدر قرارا بأستخدام المليشيات للحفاظ على الامن وكان المقصود مناطق السنة([2])

١- مشعان الجبورى ميليشيات الفتنة صحيفة الاتجاة الاخر الصادرة فى١٣-١٢-٢٠٠٣م.
٢- عبدالرضا الطعان، مصدر سابق، ص٢٩٤.

وبهذا بدات القيادات السياسية تتراجع امام المراجع الدينية (السادة) والقيادات العشائرية «الشيوخ» والقيادات الممثلة للجماعات العرقية. ويظهر مما تقدم أن الولاءات التقليدية اصبحت اداة المحافظة على الامتيازات أو هي محاولة للحصول على حقوق مسلوبة، مضافا لذلك التنشئة الاجتماعية ومستجدات النظام الحالي المحبطة والرؤية الغيبية للاحداث جعل افراد هذه الجماعات في موضع غير متوازن حيث الترتيب الهرمي للجماعات الاثنية والطائفية تمنح البعض على حساب البعض الاخر السلطة والنفوذ والمال. لذلك كان الوعي الفردي تابعا لنموذج جماعي كما يقول (دوركايم): وانه لابد أن يكون هناك تجميع للوعي الفردي وتركيب من نوع خاص وأن من نتاج تركيبهم الاستنتاجي تتكون حياة نفسية ذات نوعية جديدة.([١])

اما ثقافة المجتمع العراقي في الانتخابات، قبل (٢٠٠٣/٤/٩م) غير واضحة وتعتمد الاستفتاء وكان افراد المجتمع جميعا زبائن رجل واحد يتمتع بسلطة مطلقة تحت شعار ايديولوجي (البعث) أو بالاصح هم (زبائن القائد) وشكلت الممارسة ثقافة خضوع وثقافة تغليب لفئة على حساب الفئات الاخرى. أما بعد (٢٠٠٣/٤/٩م) اصبحت هناك ثقافة المشاركة الفعلية وثقافة ارتداد معلنة عن ولاءاتها التقليدية بصراحة وهي بذلك تعبر عن ثقافة تغييرية اجتماعية وليست ثقافة سياسية. ان فعل الانتخاب هو فعل طارئ على المجتمع العراقي والوعي الفردي بذاته لم يستطع تلمسه لانه لا قدرة له كما يقول «دوركايم»: فأذا اندفع إلى الخارج في اعقاب عملية التركيب يجد الوعي

١ـ اولفيه رواه: الزبائنية والمجموعات المتضامنة: هل هم بقايا الماضي ام يشهدون نشأة جديدة: من بحوث الندوة الفكرية التي نظمها المعهد الايطالي (فوندا سيوني، انريكو مايتي) اعداد غسان سلامة، ط٢ (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٠م) ص ٣٦٥ـ٣٦٦.

الفردي نفسه قد تجاوز حدوده الخاصة واصبح شيئا اخر متأتيا من الاصول الاجتماعية([1]) فيعبر عن اساسه الاجتماعي وهذا بالتاكيد مناقض للديمقراطية. وافرز ثقافة انتخاب يمكن نسميها ثقافة الزبائنية السياسية حيث الطائفة، والعرق، والعشيرة تحزبت واصبح انتخابها فعلا سياسيا في حين انه ينتخب الجماعة وليس المجتمع. وبذلك تم الانتقال من زبائنية رجل سلطة ايديولوجي إلى زبائنية (طائفة وعرق وعشيرة). الاخطر في الامر ان هذا النمط العلائقي الزبوني يتحول إلى سلوك عام داخل مختلف مؤسسات المجتمع السياسية، والاقتصادية، والثقافية والدينية حيث يتم استزلام المجتمع من طرف الدولة وهو الاخطر في مسار الشرعية([2]) وربما بدا ذلك واضحا في مؤسسات الحكومة وفي الانتخابات التالية ٢٠٠٩م.

ثقافة الانتخاب في المجتمع العراقي

ان الفرق بين المجتمعات التي مارست الديمقراطية وعرفتها وبين المجتمعات التي ما زالت تناقش في اهميتها وامكانية ممارستها لا تتعدى التأخر التاريخي، وان التباينات في تطبيقها جاءت من الخلفيات الثقافية والتراثية والسلطوية سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو دينية وهي مستمدة من العرف والشرع أو التقليد. فكان انتشار الاحزاب المتنوعة في الساحة السياسية جعلت حالة الافق السياسي للفرد العراقي في حالة من حيرة وعدم

١ـ عبدالرضا الطعان، ص٢٩٤.
٢ـ حافظ عبد الرحيم، الزبونية السياسية في المجتمع العربي، قراءة اجتماعية- سياسية في تجربة البناء في تونس، سلسلة اطروحات الدكتوراه (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٦م)، ص٤٢٥.

الاتزان النفسي لابداء ميوله([1]) لذلك فان فكرة (كارل مانهايم) من ان الفرد يفكر بالاسلوب الذي تفكر به الفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها([2]) كانت هي السائدة، كما ظهر ما يسمى (وعي المصلحة) الذي يرتبط بالحاجات المادية الانية للاشخاص وهو يدفع لترابط الافراد الاجتماعي فيما بينهم ويبقى حبيسها ولا يستطيع ان يربط بينها وبين أي عنصر آخر لاسيما ما هو سياسي([3]). ويمكن مناقشة ثقافة الانتخاب من خلال التفضيلات للاحزاب السياسية ومن خلال تحليل نتائج الانتخابات التي بينت التفضيلات الثقافية التي تتصل بحاجات المجتمع وجماعاته المختلفة.

كانت نتائج الانتخابات تؤشر فوز القوائم الاتية وحسب التسلسل:

- قائمة الائتلاف العراقي الموحدة التي كانت مسندة من المرجع الشيعي الاعلى في العراق رقمها (١٦٩)
- قائمة التحالف الكردستاني وهي قائمة تجمع بين الحزبين الكرديين العريقين في العراق مع الاحزاب الكردية الصغيرة ورقمها(١٣٠)
- القائمة العراقية وهي قائمة تجمع طيفا غير محدود بطائفة أو عرق ولها اتجاه ليبرالي علماني غير مؤدلج رقمها (٢٨٥)

١ـ جاسم يونس الحريرى الوحدة العربية من بحوث ندوة احتلال العراق مركزدراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤م، ص٦٣٨.
٢ـ عبدالرضا الطعان المصدر السابق ص٢٩٩.
٣ـ المصدر السابق ص٢٩١.

التفضيلات السياسية وفقا للوسائل المستخدمة من الاحزاب

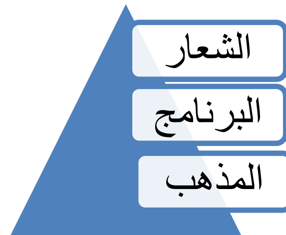
ان التفضيلات أو الخيارات المرغوبة تتم من خلال أكثر الرغبات أساسية في حياة الانسان وتشتق من خلال سلسلة من العلاقة السببية بين الوسيلة والغاية، بمعنى أن الافراد يستنبطونها (تفضيلاتهم) من نمط حياتهم لذلك فأن علماء السياسة يهتمون بكيفية حصول الناس على ما يريدونه من خلال النشاط السياسي بينما يؤكد صانعو القرار على الوسائل المستخدمة لتحقيق الغاية، اما كيف يفضل الناس تلك الغاية على غيرها فذلك لا يهتمون به.(١)

ويمكن بناء تحليلنا النظري من خلال نتائج الانتخابات ونفسر تأثير الجماعات الانتخابية (الاحزاب) على افراد المجتمع وفق الوسائل التي يستخدمها كل حزب مثل الشعار والرمز وبما يناسب الافكار التي يحملها الافراد ثقافيا (الناخبين الذين يتوجه اليهم) وكما جاء بها تشاكوتين.

فكرة (تشاكوتين) ورموزه

لقد مثل (تشاكوتين) العلاقة بين الافكار والاشكال الرمزية التي تتبناها الاحزاب في حملاتها الانتخابية بمخطط كالاتي:

الرمز



١ ـ مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ت د.علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٧م، ص١٠٤.

المستوى الاول- قاعدة الهرم- تتضمن المذهب ليبرالي أو ديني أو غير ذلك.

المستوى الثاني- يمثل البرنامج وهو تلخيص للمذهب المعتمد.

المستوى الثالث- يمثل تلخيص اوسع ويعبر عنه بشعارات وهذه لابد من ان تثير الحماس السياسي للناخبين الذين يتم التوجه لهم.

المستوى الرابع- يمثل الرمز الذي يمثل مجمل البرنامج ومذهب الحزب حيث يؤدي وظيفتين هما التواصل والمشاركة، والمشاركة الاولى تعني تبليغات ما بين ذاتين أو أكثر، المشاركة الثانية تفيد أو تدعو إلى عاطفة الانتساب والانفعالات المشتركة.

من هنا نعرف ان الرمز في الميدان السياسي لا يستخدم لذاته كرمز انما يستخدم بسبب ما يوحي اليه من معان وافكار سياسية وقد عرفه (تشاكوتين): «على ان اشكال بسيطة تمثل افكار وربما منتظما من الافكار والمذاهب في غاية من التعقيد والتجريد»([1])

اما (كاسيرر) فقد اكد على القيمة الوظيفية للرمز فهي تسهم في الاندماج الاجتماعي قدر ما تدفع باتجاه المجتمع من اجل المجتمع.([2])

قائمة الائتلاف العراقي الموحد

هي قائمة ضمت احزاب اسلامية شيعية مع المؤتمر الوطني العراقي وشخصيات مدعومة من المرجع الشيعي الاعلى في العراق «اية الله العظمى

١- عبد الرضا الطعان، المصدر السابق ص٤٠١.
٢- ارنست كاسيرر مدخل إلى فلسفة الحضارة الانسانية ترجمة احسان عباس دار الاندلس بيروت١٩٦١م، ص٧٨.

السيد علي السيستاني»، تميزت بأنها كانت الاكثر تنظيما على صعيد التمثيل السياسي وضمت الشخصيات ذات الجاذبية الاجتماعية مع ملاحظة وجود نسبة من المستقلين ولكن بنفس توجه القائمة وظهرت المشاركة للاحزاب والقوى المؤتلفة المتفق عليها سلفا مع ملاحظة انها كانت الاكثر دقة بالموازنة في ترتيب الاسماء.

وقد كانت وسائل القائمة ممثلة لتوجهاتها للطائفة ومتناسقة مع افكار الناخبين الثقافية ووفقا لتطبيق تشاكوتين كانت:-

المستوى الاول: وهو المذهب الذي يقصد به الاتجاه الديني للقائمة وهو محدد بالفقه الشيعي.

المستوى الثاني: وهو برنامج القائمة الذي لخص بالتوجه الديني تجاه المجتمع حيث يربط فكرة الحقوق والواجبات وفقا للشرع والفقه المذكور.

المستوى الثالث: الشعار الذي يمثل تلخيص اوسع للمذهب حيث استخدمت القائمة مجموعة شعارات تثير الحماس السياسي للجماعات التي توجهت لها القائمة معتمدة على الظلم الاجتماعي الذي تعرضوا له وكان من تلك الشعارات (انتخبوا قائمة ابناء الشهداء... نعم لاجتثاث البعث... قائمة المظلومين.... قائمة المرجعية... قائمة الشمعة)

والمستوى الرابع: وهو المستوى الذي يمثل الرمز حيث لم تستخدم القائمة رمزا واحدا بل تم الاعتماد على الرمز الرسمي الموضوع على استمارة الانتخاب، وكذلك على بعض الملصقات وكان الرمز عبارة عن (شمعة) كونه رمز سهل الفكرة ويسهل التعرف عليه ولان الرمز هو منتظم افكار تجريدية

كل يفسرها حسب احساسه بها.لذلك فأن الجماعة تقبلت الفكرة واستطاعت ان تفهمها حيث ان معظم الذين توجهت لهم هذه القائمة هم ممن عاشوا في ظلمات الحياة، ان وظيفة ذلك الرمز كانت التوصيل اي نقل تبليغات القائمة إلى ناخبيها.

اما (الرمز الثاني) فكان لغرض التأثير على الوعي الجماعي بأستخدام اسم المرجعية المقدس لدى الجماعة وصورته وفتواه في دعم القائمة والدفع بأتجاهها، وان هذا الاستخدام بأعتباره رمز شخصي يعتبر منتظما مرجعيا كان بقصد الاندماج الاجتماعي كما قال (كاسيرر)([1])، وان هذا المرجع من المحتمل انه لم يكن ذا اهمية بحد ذاته في الانتخابات، ولكن اهميته كانت فيما يمثله من المعتقدات الثقافية الواضحة لدى الجماعة المتوجه اليها. ان هذا الاستخدام يشبه استخدام الايديولوجيا لدى الاحزاب المؤدلجة وان كان اقل تحضرا منها ولكنه بنفس الوقت اكثر تأثير أو فعالية([2]) عدا هذين الرمزين كانت هناك رموز اخرى تسمى رموزا تسويغية استهدفت الفرز الاجتماعي منها نوع الملبس فمثلا (العمامة للرجال ولونها وشكلها وكذلك العباءة للمرأة وطريقة لبسها) ليست لتوسيع مساحة السلطة ولكنها كانت مستخدمة لفرز شخصيات تقود القائمة وتوجهها وهي ذات معنى ثقافي مؤثر في الجماعة([3]) وبذلك استفادت هذه القائمة المتخصصة دينيا وطائفيا من الربط بين الوصول إلى السلطة بأستخدام المقدس ثقافيا ومن خلال تحويله إلى وسيلة أو اسطورة

١ـ عبد الرضا الطعان، المصدر السابق ص٧٩.

٢ـ المصدر السابق نفسه، ص٤٠٢.

٣ -c wright mills thesociological imagination penguin Books company ١٩٧٠ p٤٦

تعويضية عن الحرمانات السابقة التي وضعت حلولها كوعود في برنامجهم وشعاراتهم وبذلك اصبحت وسيلة ثورية تدعو لتحقيق الديمقراطية.

اما الاعلام في حينه فقد استخدم اسلوب تضخيم الماضي المؤلم والذي يشكل ثقافة الجماعة السياسية مع تقديم صور غير مفصلة ولا واضحة عن المستقبل مستغلا اعادة تشكيل الوعي بأتجاه ديني أو طائفي للجماعة التي توجهوا إليها مما دفع إلى الحماس والاندفاع لانتخابها معتبرين اياها تفضيلات سياسية، وثقافية، واجتماعية تتصل بحاجاتهم في توفيرها وتوفير الحماية الامنية وايجاد مكانة محترمة لهم.

ان الرجوع إلى البناء المعياري المستمد من القوة المعنوية للمجتمع نجد ان الازمات الاجتماعية تجدد ذلك البناء ويتجه الناس إلى التقارب فيما بينهم وتنشأ قيم ومعايير جديدة تعكس نوعا جديدا من العلاقة([1]) ويمكن ان تكون تلك القيم هي قيم الانتخابات الجديدة التي اوجدت علاقات ثقة فيما بين افراد المجتمع وشخصيات القائمة الذين سيحققون ما في السماء من عدل على الارض.ومن هنا يظهر ان التفضيل لم يكن سياسيا انما تفضيل ثقافي معبرا عن انتخاب طائفة دينية وليس حزبا سياسيا أو ائتلاف سياسي أو هي طائفة عملت على ايجاد حزب سياسي أو ائتلاف سياسي لها وتوجهت لنفس الجماعة التي تمثل الطائفة.

١ـ محمد عاطف عيث واخرين، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢١٢.

قائمة التحالف الكردستاني

هي قائمة ضمت تحالف الحزبين الكبيرين الكرديين العريقين (الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الوطني) فضلا عن مجموعة احزاب كردية نقطة القوة في هذه القائمة انها استطاعت تمثيل جميع التيارات السياسية والفكرية الكردستانية وان العناصر والشخصيات التي تضمنتها القائمة عناصر قوية ولها جاذبية سياسية واجتماعية في كردستان.

وعند تطبيق افكار القائمة وفقا (لتشاكوتين) وكما يلي:-

المستوى الاول: وهو المذهب والذي يعني المذهب السياسي الليبرالي والمعروف ان المذهب السياسي يرتبط بالنضال السياسي عليه فأن المذهب الذي عرضته القائمة الكردستانية يرتبط بنضالها الطويل من اجل الحصول على مطالبها والتي تعتبرها حقوقا.

المستوى الثاني: البرنامج الذي اعد لغرض القيام بنشاط سياسي ولعل أهم ما جاء في برنامج القائمة هو موضوع الفدرالية وهي ليست عملية اقامة دولة عرقية غير ان المطالبة بمدينة (كركوك) دفعت الاكثرية إلى كشف النوايا من وراء تلك المطالب.

ان مركزية النظام السابق وشموليته مع تغييب الحريات والمشاركة السياسية الحقيقية للاكراد كان قاسيا، غير انه منع ولادة دويلات عرقية أو طائفية سواء في الشمال أو في الجنوب([1]) وذلك ما ابقى الولاء التقليدي

١ـ ثناء فؤاد عبدالله آليات التغير الديمقراطى فى الوطن العربى بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧م، ص٢١٠

اجتماعيا، اما سياسيا فأن النظام لم يكن له سلطة على كردستان وبقي معارضا بأنتظار فرصة للحماية القانونية والدستورية.

المستوى الثالث: الشعار وهو كما ذكرنا افكار عامة واساسية للبرنامج والاهداف التي ينبغي بلوغها وكان شعار القائمة المركزي هو (العراق الاتحادي الديمقراطي التعددي) هذا عدا الشعارات الاخرى المرفوعة على الملصقات والتي تدعو لنفس الهدف، والواضح ان تقديم كلمة (الاتحادي) في الشعار الرئيسي على باقي الصفات هو تعبير عن الهدف الرئيس للقائمة.

المستوى الرابع: الرمز الذي تمثل بخارطة العراق الذي استخدمته معظم الاحزاب المشاركة وتحت مسميات مختلفة غير انه تميز بكتابة الشعار باللغتين (العربية) بداخل خارطة العراق و(الكردية) في اعلاه ويعتبر ربط الشعار بالرمز بهذه الطريقة وسيلة لتكوين اسطورة سياسية معزولة تمثل اسطورة الدم واسطورة العرق.

ان الجماعات التي توجهت اليها قائمة التحالف الكردستاني هي الجماعات التي عانت من عدم العدالة الاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي مما يشكل انتخابها بالنسبة اليهم رد فعل ضامن لاستمرار اوضاعها المستقرة وقت اجراء الانتخاب وذلك من خلال تحقيق الفدرالية. ان اسطورة العرق يمثل ميثاق اجتماعي يخص الشكل القائم من المجتمع بمنتظمه الخاص بتوزيع السلطة والاعتبار والملكية([1]) ان مشاركة الاكراد في الانتخابات تغلفت بعناصر ثقافية لان المعروف ان الاحزاب الكردية اصلا متصارعة فيما بينها لذلك فأنها

١-عبد الرضا الطعان، مصدر سابق، ص٣٨٦.

عندما تعمد إلى التزاوج أو التماثل فأنها تمثل نوع من التعاون المفروض لتحقيق مكانتها في سلم الحقوق والامتيازات وبهذا يؤشر هذا التفضيل الانتخابي تعبير عن انتخاب ولاء تقليدي لجماعة تمثل قومية مختلفة عن سابقتها من القوائم وان درجة المشاركة الانتخابية تعبير عن انتخاب جماعة اجتماعية وليست خيارا سياسيا.

القائمة العراقية

هي القائمة الثالثة بتسلسل الفوز في الانتخابات وقد ضمت مع حركة الوفاق الوطني العراقي مجموعة احزاب صغيرة واسماء وشخصيات مستقلة تمثل توجه القائمة مع عدد من رؤساء العشائر بلغ عددهم (٢٤) شيخا واسماء من الحكومة السابقة من وزراء وغيرهم بلغ عددهم (٩) وتعتبر هذه نقطة الضعف الاساسية في القائمة مع ملاحظة غياب عناصر سنية وفاقية وكذلك غياب عناصر مسيحية وصابئية وغيرها. وسنذكر فيما بعد عناصر الضعف الاخرى. وعند تطبيق افكار القائمة وفقا (لتشاكوتين) وكما يلي:-

المستوى الاول: المذهب هو الليبرالية العلمانية غير المرتبطة بفئة أو شريحة معينة وهي غير مؤدلجة لا دينيا كقائمة الائتلاف العراقي الموحد ولا عرقيا كقائمة التحالف الكردستاني، غير ان وجود عدد غير قليل من رؤساء العشائر يؤشر وجود توجه عشائري وهو يمثل اسناد تقليدي لدعم القائمة من قبلهم.

المستوى الثاني: البرنامج وقد تضمن البرنامج السياسي الذي كان معلنا ولم يكن ملتزما بفئة، أو جهة، أو جماعة معينة. وبدا واضحا من خلال التطبيقات

العملية التي انتهجها رئيس القائمة خلال تسلمه رئاسة الحكومة في المرحلة الانتقالية. غير ان ثغرات القائمة تتمثل بما يلي:

كان هناك تأكيد على وجود شخصيات معروفة في المرحلة الاخيرة من الحكومة السابقة مثل عضوة مجلس حكم، ووكلاء وزارات، اعضاء في الجمعية الوطنية السابقة، مما كان سببا لتوجيه الاتهام لها بكونها قائمة حكومية تحاول الحفاظ على امتيازات جماعات معينة لاستمرار تواجدها على الساحة السياسية على حساب جماعات ربما تكون اكثر كفاءة وقدرة، وفي نظرة إلى تاريخ العراق القريب حيث كان العراقيين ينظرون إلى بدايات تأسيس الدولة العراقية أوائل العشرينات بنوع من الريبة والقلق لانها ولدت بكنف الاحتلال البريطاني([1]) ونفس الوضع تكرر بتأسيس الحكومة الانتقالية المؤقتة لذلك كان تكرار الصورة والاسماء قد استدعى فكرة كونها قائمة مصالح مشتركة أي بين القائمة والاحتلال.

كما اشرت القائمة وجود اسماء ووجوه محسوبة على النظام السابق وذلك يوضح في شكلها المعلن توجه القائمة للمصالحة الوطنية غير ان الراي الذي ساد كان اتهامها بانها قائمة بعثية.

المستوى الثالث: الشعار المرفوع كان شعارا مركزيا موحدا هو (قيادة قوية.. وطن آمن). وجاء مبنيا على عدد من البحوث واستطلاعات الرأي التي اكدت حاجة المجتمع إلى توفير الامن من خلال القيادة القوية الديمقراطية العقلانية المتوازنة.

١- مجيد خدوري، العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت١٩٧٤م، ص١٠.

المستوى الرابع: (الرمز) استخدمت القائمة اكثر من رمز شانها شان القوائم السابقة وكان المركزي الرسمي يمثل خارطة العراق ملتفة بالعلم العراقي حيث لم يكن فيه اي تعبير عن فكر أو توجه لفئة محددة. اما الرمز الثاني الذي انتشر اكثر من الرمز المركزي فكان صورة لعيني (رئيس القائمة) في محاولة لتحويله إلى اسطورة وهي صيغة كان قد رفضها المجتمع لانها تذكر بالماضي والتاكيد على شخص دون الاخرين كما كان هناك تناوب لصور رئيس القائمة مع المرشحين حيث كان المقصود تكرار لشخص رئيس القائمة باعتباره أول رئيس لحكومة العراق بعد سقوط النظام.كما شكل التركيز على الوزراء والمسؤلين السابقين رفضا ثقافيا حيث لم تلتفت القائمة لدرجة قبولهم من المجتمع أما (رؤساء العشائر) وهم الاهم في موضوعنا فقد اكدوا على لباسهم العربي اثناء المقابلات الصحفية والتلفزيونية رغم ان معظمهم لم يكن ذلك الزي المعتاد له غير انه يشكل للقائمة صيغة ثقافية واجتماعية لجذب الناخبين التقليديين.

ان الخيارات والتفضيلات الانتخابية للقائمة العراقية كانت مبنية على ما يلي:

خيار لشخص رئيس القائمة وهذه تمثل صيغة ثقافية متداولة لدى المجتمع العراقي باعتباره كان رئيسا للحكومة قبل الانتخابات مباشرة، ومعروف من قبل الناخبين ووفق مبدا (شين الي تعرفه احسن من زين الي ما تعرفه). خيار عشائري حيث معظم شيوخ العشائر في القائمة من عشائر الجنوب الشيعية التي تعرضت للاستبعاد القسري السياسي.

اذن نجد ان الخيارات والتفضيلات السياسية كانت ضمنا ثقافية ولم تكن سياسية، بمعنى اخر ان القائمة رغم توجهها المعروف اضطرت ان تستعين بجماعات تقليدية للحصول على عدد اكثر من الاصوات وبذلك فأنها لم تستطع ان تتنازل عن هذا النمط من الولاءات وبهذا اضيفت القائمة إلى قائمة الولاءات التقليدية وان ناخبيها كانوا يحملون نفس ثقافة الانتخاب التي يحملها ناخبي القائمتين الاولى والثانية.

التفضيلات السياسية وثقافة الناخب

في البدء نسأل من اين جاءت هذه التفضيلات للاحزاب السياسية في العراق؟ ولابد للاجابة ان نعرف ان الاجتماعيين والانثروبولوجيين قد وجدوا مجموعة مسوغات يعتمدون عليها في التفسير وهي اهمية الثقافات في التفضيلات([1]) بناء على ذلك يمكن تحديد مجموعة منها نعتقد انها توفرت في انتخابات العراق:

١. حاجات اساسية وحاجات اشتقاقية.

٢. كمون التفضيلات وتكاملها.

٣. تنظيم الحياة الاجتماعية مع الاخر.

٤. المخططات والمستجدات.

٥. النوايا والاثار.

١ـ مجموعة باحثين، نظرية الثقافة، مصدر سابق، ص١٠١.

١- **الحاجات الاساسية والحاجات الاشتقاقية**

تعتبر (الحاجات) من اساسيات التفضيلات لذلك عمل الاجتماعيون على جدولة الحاجات ابتدءًامن الحاجات الاساسية وانتهاء بالحاجات الاشتقاقية مثل تحقيق الذات والتعبير عن الذات روحيا وافترضوا ان المكافحة من اجل الحصول على الحاجات الاشتقاقية يتم بعد تحقيق الحاجات الاساسية ولكن هذه الفكرة النظرية البراقة قد تنهار عندما يستطيع الانثروبولوجيون اثبات ان الحاجات الاشتقاقية قد تتقدم على الحاجات الاساسية* لاسيما عندما تكون داخل دائرة الثقافات المتعددة([١])، وما حدث في انتخابات العراق هو تعبير عن ذلك حيث كانت التفضيلات للحاجات الروحية للاغلبية الشيعية متقدمة على حاجاتهم الاساسية رغم حرمانهم خلال فترة حكم النظام السابق من الاثنين وتقدمت حاجات جماعة الكرد الاشتقاقية بتفضيل العرق وتحقيق الذات على الحاجات الاساسية.

٢- **كمون التفضيلات وتكاملها**

عادة تكون التفضيلات كامنة داخل الفرد،فالكل يعرف ما يحب وما يريد، وبمجرد وجود الفرصة الملائمة لطرفي علاقة ما يتم التكامل بينهما في عملية تاسيس لعلاقة جديدة بما يعود بالنفع على الطرفين لذلك يهتم الافراد بتفضيلاتهم المرغوبة لما لها من اثار على العلاقة

***يقدم الغربيون المساعدات المالية للنيبال لتحسين مزارع الرز ولكنها تصرف لتجديد معبد المدينة لاعتقادهم ان لا شيء يستطيع تحسين مصدر غذائهم دون تحسين العلاقة الروحية مع المعبود.**

١- المصدر السابق نفسه، ص١٠٢.

الاجتماعيـة. لـذلك فـأن التفضـيل علـى اسـاس التجمعـات الكبيـرة (الطوائف، العشائر، القوميات، الطبقات) لا توضح التنوع داخل هذه الانواع([1]) فداخل كل طائفة تفضيلات ثقافية من نفس النوع حيث داخل الطائفة الشيعية مجموعة تحزبات وداخل القوميه الكردية كـذلك وهكـذا بالنسـبة للاخرين.عليـه فـأن الفـرد باعتبـاره مقيـدا بالعلاقات الاجتماعية التي تشكله توضح القابلية الاجتماعية والثقافية لنمو هذه العلاقة وبالتالي تحولها إلى تفضيل.

٣- **تنظيم الحياة الاجتماعية مع الاخر**

يعتبر الخوف من تسرب عوامل الشر من خارج الجماعة إلى داخلها غير الحصين كما ذكرنا فيما سبق من العوامل المهمة ويظهر ذلك خـلال وجـود حـدود واضـحة للجماعـة تميـز الاعضـاء عـن غيـر الاعضـاء وهـو الامـر الجـوهري للابقـاء علـى التـزام الاعضـاء بالجماعة بمعنى وجود النظرية التآمرية للغير (فكرة التقسيم الفكري والعقائدي فالفكر يطرد الفكر والعرق يطرد العرق)([2]) بهذا تكون التفضـيلات رد فعل غيـر مـدرك تفرضـه علاقاتنـا الاجتماعيـة كمـا يقـول «دوركـايم» وليسـت هـي عمليـة عقلانيـة لكيفيـة الرقـي بـنمط الحياة([3]).

---

١ ـ المصدر السابق نفسه، ص١٠٣.

٢ـ ويـل كيميليكـا، اوديسـا التعدديـة الثقافيـة، ت امـام عبـد الفتـاح امـام، عـالم المعرفـة، الكويـت،٢٠١١م، ص١٧٧.

٣ـ نظرية الثقافة، المصدر السابق، ص١٠٥.

ان وجود انماط ثقافية متعددة في العراق وتنوع الجماعات وتسلط احدى الجماعات على الاخرين جميعا خلال سنوات النظام السابق أدت إلى تفضيلات بطريقة ردود افعال للخوف من عودة تسلط جماعة واحدة، لذلك كانت التفضيلات ثقافية لتنظم علاقتها بالاخر من خلال تثبيت علاقتها بجماعتها الاجتماعية وحماية انفسهم اكثر من اهتمامها بتغيير ورقي الحياة الجديدة. بمعنى آخر كانت التفضيلات علائقية اكثر مما هي عقلانية هدفها الوطنية.

٤- **المخططات والمستجدات**

ترتبط الانحيازات الثقافية أو التفضيلات بمفهوم المخططات وهي نظريات وافكار ضمنية حيث يتمسك الافراد بما يمكنهم من تفهم قدر هائل من المعلومات التي تساعدهم على فهم ما يفضلونه من خلال تفسير الاحداث المستجدة على أساس المعرفة القديمة، وهذا ما تقدمه المؤسسات الاجتماعية بأفراز تفضيلات على حد تعبير (ماركس) من خلف ظهر الافراد.([1])

ان كل المستجدات السياسية تم ربطها بالمعرفة القديمة وبذلك ترتبط التفضيلات بمعرفة الجماعات الثقافية لماضيها المؤلم وفقا لما تقدمه الاحزاب من مخططات لضمان تزعمها بتجاوز وعي الجماعة وربطها باللاوعي.

١- المصدر السابق نفسه،ص١٠٦.

٥- **النوايا والاثار**

استمرار الوجود الاجتماعي للجماعة بالاسلوب الذاتي غير القهري بالتفضيل السياسي (الانتخابات) يعتمد على عدم اسدال ستار النسيان على مواقف ومواضيع معينة بذاتها (استبعاد سياسي، ظلم اجتماعي، حرمانات من ممارسات عقائدية، تشتيت عرقي، عنف موقف حزب البعث من العشائر من الطوائف من الاعراق وغيرها).

بمعنى أن المستقبل يعتمد على اثبات الماضي كمسببات في اثبات الامتيازات والحقوق وهذا هو المنطق السببي لاتباع اسلوب عدم النسيان وهو لا يحتم على الجماعة الافصاح عنه صراحة كأطار اخلاقي لها.([1])

ان ما يفترض قوله هنا ان الحياة بمعظمها تسير بالضبط الاوتوماتيكي تماما كفكرة (بمجرد تعلم المشي فسوف نسير تلقائيا) وهو نفس الامر في قرارات الحياة اليومية المختلفة غير ان دعم علاقات معينة يؤدي إلى ضعف علاقات اخرى (دعم العلاقة بالجماعة يضعف العلاقة بالوطن) والكتاب السياسيين يسمون الضوابط الاوتوماتيكية بالموجهين والاجتماعيين يسمونها بالانحيازات الثقافية([2]) بمعنى انها تمثل القناعات السائدة لكل جماعة ومحدداتهم الثقافية في الخيارات فليس من الاخلاقيات التقليدية ان تختار جماعة غير التي تنتمي اليها وهي ايضا توقعاتهم المشتركة

١- المصدر السابق نفسه، ص١٠٦.
٢- المصدر السابق نفسه،ص١٠٧.

في نمط الحياة المرغوبة (علاقات، حريات، ممارسات) وبذلك ليس غريبا ان تتكرر نفس الانماط في القوائم الانتخابية في ٢٠٠٩ واستمرت التفضيلات السياسية من الناخبين بنفس الطريقة الثقافية.

مما تقدم نخلص إلى مايلي:-

١- اعتمد المجتمع العراقي في انتخابه لممثليه على رؤية وحلول معروفة مسبقا دون الرجوع إلى البرنامج السياسي، حيث النتائج مثلت طبيعة القائمة.

٢- اظهرت النتائج وجود هوة بين المتطلبات الثقافية والمواقف السياسية فبرز الفعل السياسي (الانتخابات) غير معبر عن ثقافة وطنية.

٣- لم تكن التفضيلات الثقافية معبرة عن تفضيلات سياسية في وقت نحتاج به إلى ترسيخ نمط من المعتقدات السياسية الوطنية ومحاربة الفئوية، مما سهل على السياسيين تكرار التشكيل نفسه في الانتخابات التي تلتها في ٢٠٠٩.

٤- التصويت لم يتم على اسس برنامجية بل كان لاسباب دينية طائفية، أو عرقية، أوعشائرية، أو شخصية.

٥- كان انتخاب الجماعات الفرعية تعبير عن ثقافة انتخاب امتصت الاصوات الاكثر احباطا وذعرا منها الطائفية، والعرقية، والعشائرية.

٦- اثبتت التفضيلات الانتخابية معالجات يائسة سياسيا.

٧- في النتائج تغليب للثقافة الدينية على الثقافة العلمانية.

لكل ذلك نحن ندعو لتغيير انماط القوائم الانتخابية والسلوك الانتخابي الذي ترسخت ثقافته في المجتمع العراقي واصبحت تمثل ظاهرة اجتماعية وسياسية والاهم ثقافية تمثل ثقافة المجتمع السياسية. التي لا تحقق التحول الديمقراطي الحقيقي أو على الاقل تؤخر تحقيقه.

عليه لابد من محاولة تغيير الخطاب الديني إلى خطاب سياسي لبعض الجماعات الاسلامية والعمل على ايجاد خطاب اعلامي معاصر يعيد تعريف الهوية الوطنية ومعنى المواطن بعيدا عن الولاءات التقليدية، مع تجذير مفهوم الانتماء الوطني وايجاد اليات للتحول من الشعارات إلى الواقع العملي وفق مقاييس التبادلات الثقافية داخل المجتمع. مع تعويد المجتمع من خلال ايجاد تمرين ذهني ووجداني لاحترام قيم المواطنة بعيدا عن صراعات البحث عن السلطة.

القوة الناعمة والزبائنية الاجتماعية

كيف اعيد أنتاج الناخب التقليدي في انتخابات (٢٠١٤)؟

القوة الناعمة والزبائنية مصطلحان حديثان لهما مسلك تقدم على السلوك السياسي في المجتمع العراقي وذلك بتكوين شبكة من الاستبدالات والتعويضات الاجتماعية اتسمت بالانزلاق نحو الفطرة والعرف والسائد من المعرفة، ودفعة باتجاه العجز عن احداث تغيير فكري، وثقافي، وسياسي في المجتمع العراقي.

(القوة الناعمة) هي الامكانيات والادوات الفائقة للشبكات الاعلامية الفضائية والعنكبوتية والوقائع الافتراضية التي تغير الواقع وتديره وتعيد بناءه سياسيا، سواء ما يتعلق بالانسان وهويته أو الثقافة أو السلطة والقوة. بمعنى اخر جعل الجمهور متضامنا معك دون قوة أو الزام من خلال الترويج الاعلامي لنموذج رمز أو بقيم واخلاقيات وحقوق وحريات تعد لهدف محدد وتنتهي بنهاية تحقيق الهدف.

(الزبائنية) يعني الوسطاء الفاعلين أو المنفذين المستفيدين من ترشيح الاخرين ويرتكز على الولاءات الشخصية وتبادل المنافع بين المرشح والوسيط والنفاذ من خلاله إلى مواقع السلطة.

التواطؤ بين هاتين الجهتين وضعت المجتمع العراقي داخل سجنه الفكري وابقت على لغة الفهم القاصرة لمعرفة الواقع وعدم الاحساس به، والاهم انها ابقت خارطة العلاقات والتبادلات بين افراد المجتمع مبنية على استمرار

الصراعات العقائدية فأنتجت وقائع الثأر، والانتقام، والتخريب، والاقصاء، والاستئصال، والقمع، واقامة المتاريس أمام المختلف، فظهرت اشكال جديدة للمواطنة المتعددة النوى وتم اعادة انتاج افراد المجتمع كناخبين تقليديين واقعين تحت تاثير المسوقين للفكر التقليدي المستهلك والمتداعي.

ابرز محاور النظام الانتخابي في العراق هو التركيز على قوى حزبية تتسم بطابع الضمانات الاجتماعية للفوز، مع الاعتماد على المجموعات الاولية أو ما يطلق عليهم العصبيات المحلية من ابناء الطوائف، والعشائر، والاثنيات، والعوائل الممتدة، فدور الوسيط بين الدولة والجماعة وممارسته حشد الناخبين وتنظيم الحملات والاتصالات المباشرة مع ذوي العزوة والمكانة داخل الانساق القرابية والعصبيات المحلية هو تعبير عن المصالح والدفاع عنها ورمزا لثقلها وحضورها وتأثيرها فتحول النظام الانتخابي والياته إلى عملية انتاج واعادة انتاج للناخب مما اثر على الطابع التنافسي بين الاتجاهات السياسية والايديولوجية المختلفة وتحول إلى سوق انتخابي فيه العرض والطلب لنفس السلعة الفكرية، وهو استمرار لنفس الظواهرالسلبية في التأثير على المسار الانتخابي كي يعاد انتاج نفس النظام ومؤسساته واختياراته البرلمانية.

اما الاعلام فأنه يعمل على تعزيز الوعي داخل المجتمع وله الاهمية في التأثير على توجهات افراد المجتمع ونمط تفكيرهم، فدوره الاساسي تنوير وتثقيف الراي العام، أو العكس تجهيله وتعزيز الفكر التقليدي. لذلك فان الوسائل الاعلامية (فضائيات وانترنت) تخوض المعارك الانتخابية اثناء الفترة التي تفصل بين بدايات اعداد القوائم الانتخابية للمرشحين واعلان النتائج.

واخذت تدخل السوق الانتخابية بالدعم المادي غير المحدود من الاحزاب والشخصيات واصحاب السطوة والنفوذ بممارسة اعمال الدعاية.

ان ملامح سيناريو اكبر واوسع جاء متناغما ومنسجما مع توجهات الابقاء على المشروع العراقي للحاجات الذي لم يعتمد الخطاب السياسي الحداثي بل خطاب (المعارف الميتة وفبركة الاوهام ولبس العباءة المقدسة) في انتاج القيم والقوى التي ارتبطت بهما معا ومن ثم قادت الدولة والقيادات السياسية والفكرية بنفس المسافة من البعد عن نفس المنطق والحاجات، مما ادى إلى تآكل مظاهر الحداثة في الدولة وبروز وهيمنة ابنية القوى التقليدية بل تمأسسها، فوهنت الروابط السياسية لصالح الانتماءات الاولية، والاساطير ومواريثها، وتضامناتها، وتعاضداتها، وقد اسهم جهاز الدولة البيروقراطي، والاعلامي، والامني في دعم المشروع ورموزه وتعامل معهم كوسطاء بين النظام والجماعات الأولية.

ان مشكلتنا الان تتحدد بتزايد تأثير القوة الناعمة (فضائيات، وانترنت، ومنظمات، وجمعيات ممولة) وتزايد وتنوع اعداد الزبائنيات كوسطاء للمرشحين للانتخابات على اختلاف توجهاتهم، وان هاتين القوتين تهدر جهدا، وزمنا، وثروات وتستخدمان نفس التأثير في اللغة الفائتة القاصرة وتعويد المجتمع على طرق تفكير عقيمة وان ذلك شكل فكر الناخب العراقي وختم عليه بختم التقليدية واعاد انتاجه حفاظا على استدراك جماعة لما فاتها، وبالتالي يعني ذلك استمرار نفس النظام مما جعل المجتمع في عزلة عن العالم المتحضر، وجعل النظام هشا وهامشيا في ايجاد الحلول للمشكلات المزمنة في

المجتمع. وقد تمثلت اهمية هذا الموضوع بشيوع ادراك سياسي سلبي لدى غالبية افراد المجتمع العراقي تجاه الانتخابات والياتها الاعلامية والزبائنية حيث لم تعد قادرة على احداث التغيير في الواقع الاجتماعي وتشكلت اجيال وفئات من اللامبالاة بتطلعات التغيير، كما ان فجوة الصدقية والثقة اخذت تتسع بين العراقيين ونظامهم السياسي والجماعة الحاكمة، مما يهدد بانتاج ناخب صوري أو باحسن الاحوال انتاج ناخب تقليدي لا يستطيع الخروج من المنظومة المرسومة له وبالتالي الابقاء على نفس واقع حال المجتمع المتردي.

انوصف وتحليل ونقد واقع استخدام القوة الناعمة والزبائنية السياسية والاجتماعية في الانتخابات العراقية وفاعليتها في اعادة انتاج ناخب عراقي تقليدي في فكره السياسي وفي المواقف، والمشاعر، والصراعات المرتبطة بها. ولعل أهمها تتجلى باعتبار الخيار السياسي اخفاق اخلاقي، مما يعد من الموضوعات التي تحتاج إلى رؤية عملية لانتاج عقلانية جديدة تعيد النظر في ثقل الانتماءات والتبعية الاجتماعية عند تطبيقها في انتاج الناخب، وانتشاله من الاضرار بمواطنته ووطنه دون وعي منه، كما يمثل في اهميته دفعا بأتجاه اعادة النظر في اعداد القوائم الانتخابية والحملات الاعلامية الانتخابية، حيث تعد هذه القوة حرب ناعمة زرعها الاحتلال لضمان استمرار الصراعات،لذا فهي من مهددات المجتمع وتفتيته وان الابتعاد عنها هو تلافيا للإساءة للمجتمع ووصمه بالتخلف.

أولا: القوة الناعمة والقوة الدينية

«القوة الناعمة» من المصطلحات الحديثة، ابتكره في الولايات المتحدة الامريكية، (جوزيف س. ناي) المفكر الاستراتيجي عام١٩٩٠م، حيث يعرفها «هي القدرة على كسب العقول والقلوب لتحقيق الأهداف السياسية المطلوبة»، وهو يعني ان يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ثقافتها ما تجسده من افكار، ومبادئ، واخلاق ومن خلال الدعم فى مجلات حقوق الانسان والبنية التحتية والفن، مما يؤدى للاخرين إلى احترام هذا الاسلوب والاعجاب به ثم اتباع مصادره.

يطلق مصطلح القوة الناعمة على وسائل الاعلام الموجهة أو ما يسمى بالاعلام الموجه لخدمة فكر ما، يتمثل الاعلام المقصود (بالثورة المعلوماتية والاتصالات)، وتعتبر القوة الناعمة اعلاميا من افضل الاسلحة الناعمة اذ يمكن السيطرة على الاخرين من خلاله وان تجعلهم يتضامنوا معك.([١])

ويعرفها (علي حرب) بانها: «القوة الرقمية والتقنية بمعلوماتها ورموزها وصورها وهواتفها وشبكاتها وكتبها، وكلها وسائل اتاحت خلق مساحات وميادين ومنظمات افتراضية للتواصل والتبادل والتجمع امكن ترجمتها إلى قوة خارقة، هي بمثابة تسونامي سياسية. أي ان لها القدرة على تغيير الواقع واعادة بناءه سواء ما يتعلق بالهوية والثقافة والسلطة والقوة»([٢])

١- جوزيف س.ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد البيجرمي، مكتبة العبيكان ٢٠٠٧م، ص ١٨.
٢- علي حرب، ثورات الحرب الناعمة في العالم العربي – من المنظومة إلى الشبكة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط٢، ٢٠١٢م، ص١٣.

المؤسسات غير الحكومية أو ما تسمى بالمدنية أو الاهلية، تتمتع بقوة ناعمة كبيرة مثل المنظمات الحقوقية، حقوق الانسان، والمرأة، والطفل... وغيرها من المنظمات التي تصنف نفسها كمؤيدة للديمقراطية،ومعظمها تقدم النصح، والارشاد، والتمويل، خاصة وأنها تستفيد الآن من الثورة المعلوماتية والاتصالات.([1])

لهذا تعرف القوة الناعمة بأنها «القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام»([2]) وهكذا فهي تختلف عن القوة الصلبة أو الخشنة المكونة من العتاد العسكري والثراء الاقتصادي واستعمالهما بالتهديد بالعقوبات أو الاستمالة بالمساعدات. أي أن تمتلك قوة ناعمة يعني أن تجعل الآخرين يعجبون بك ويتطلعون إلى ما تقوم به فيتخذون موقفًا إيجابيًا من قِيَمك وأفكارك وبالتالي تتفق رغباتهم مع رغباتك.

يعتبر استخدام القوة الناعمة في منطقة «الشرق الاوسط» من قبل أي قوة اجنبية بالغ الصعوبة لأسباب عديدة منها الفوارق الثقافية الكبيرة بين أميركا والشرق الأوسط ونزعة العداء لأميركا. وهي حين ارادت زيادة قوتها الناعمة في البلاد العربية الإسلامية فكرت بإنشاء المكتبات وترجمة الكتب الغربية إلى العربية وزيادة المنح الدراسية والزيارات الأكاديمية([3]). فالطلبة يعودون لاوطانهم في العادة بتقدير اكبر للقيم والمؤسسات الامريكية فهم يشكلون خزانا رائعا للنوايا الحسنة تجاه البلد الذي درسوا فيه، لذلك اصبح للثقافة النخبوية

١- مقالة جورج جحا www.arabnett٥.com
٢- جوزيف س، ناي، المصدر السابق، ص١٢.
٣- المصدر السابق، ص٨٢.

دورفي إنتاج القوة الناعمة،([1]) كما ان الثقافة الشعبية المتمثلة في الاعلام المرئي والمسموع من الأفلام والأغاني والرياضة وما إلى ذلك دور مثبت للقيم. حيث تأثيرالصور التي تنقل القيم بصورة أقوى مما تفعل الكلمات، ويقصد بذلك الاعلام وتكنولوجيا الفضائيات والمعلومات([2]). أنّ هذه الثقافة الشعبية هي التي تغلبت فأنتجت لنا قيم الحرية، والديمقراطية، والليبرالية، والشبابية الامريكية. وبذلك يكون الاكاديميون والمثقفون يدعمهم الاعلاميون افراد ومؤسسات هم من القوى الناعمة المستخدمة في استغلال المجتمعات العربية للترويج للثقافات، ومنها ثقافة الانتخاب.

جذور الحرب الناعمة على العالم الإسلامي بدأت فكرتها في مطلع القرن الثاني عشر، في عهد ملك فرنسا «لويس التاسع»، الذي أوصى الصليبيين أن يغيِّروا خططهم لغزو البلاد العربية والإسلامية، وأن يتحوَّلوا من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، فكانت بداية الحركة الاستشراقية([3])

بدأت القوة الناعمة مع المسيحية التي تدعوا إلى الفعل الحسن بواسطة المغريات، والجاذبية، والقدوة الحسنة ومن خلال مدارات الآخرين، وفي المنطقة العربية كانت بداياتها مع بدء التبشير بالمسيحية([4]) وفي الدين الاسلامي دعوة لهذه القوة الناعمة {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}([5]) {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلى اللَّهِ

١- محمد حمدان، الحرب الناعمة –رمزية اوباما الجديدة، مجلة حمورابي، العدد٤، ٢٠١٢م، ص١٩.
٢ -www.soso.com
٣- محمد حمدان، القوى الناعمة وادارة الصراع عن بعد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٣م، ص ٢٣.
٤- خالد البسام، ثرثرة فوق دجلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٥.
٥- سورة النحل، الاية ١٢٥.

وَعَمِلَ صَالِحًا}([1]) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» هذا العمل بالحكمة والموعظة هو عمل خير ينطوي على علاقة جذابة ناعمة تجذب الآخرين ويتم ذلك ايضا بايجاد نموذج اخلاقي صادق وفتح متنفس عقلي وعاطفي يغريهم بالانخراط في ذلك العمل الخير وتلك هي اخلاق المجتمع الاسلامي لو احسن اعتمادها. في حقبة قديمة قال (ميكافلي) للامراء في ايطاليا: «بأن يكون المرء مخوفا اهم بكثير من ان يكون محبوبا».([2]) لكن الامر في عالم اليوم ان يكون المرء مالكا لهاتين الصفتين معا، فكسب القلوب والعقول مهما على الدوام وتكمن الاهمية القصوى في عصر المعلومات الحديثة الآخذة بنشر المعلومات بشكل واسع اكثر مما كانت عليه طوال العصور الماضية.

كانت الخطوة الاولى لاستخدام هذه القوة الناعمة كحرب ضد المنطقة العربية والاسلامية لتحقيق اهداف تهشيم المجتمعات وتفتيتها إلى فرق وجماعات. باستخدام استراتيجية جديدة من خلال (اوباما) كقائد للحرب العالمية الناعمة، مستخدما عبارات مثل السلام، ومحو الظلام، ونشر التعليم، وتحقيق الديمقراطية، اي جملة الاساليب التي ترجح الحرب الناعمة، فعمل على تأسيس غرفة عمليات «الحروب الناعمة عبر الانترنت» نشرتها صحيفة (نيويورك تايمز) في ٢٣ديسمبر٢٠٠٩م. وكان (اوباما) كتب مذكرة احتوت

١- سورة فصلت، الاية ٣٣.
٢- ميكافيللي، الامير، ترجمة اكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٨.

تعليمات طالبا الاستعداد لتغيير مقبل في دول عربية مشيرا إلى ان العصر المعلوماتي الحالي يمكن ان يصبح احدى نقاط القوة الهامة.([1])

أما الخطوة الاولى في استخدام الحرب الناعمة ضد العراق كانت مع تقسيمات (بول بريمر) الحاكم العسكري الامريكي بعد احتلال العراق في عام ٢٠٠٣م وتأسيس مجلس الحكم على اساس تمثيل الجماعات والقوى السياسية الممثلة للجماعة وليس للفكر السياسي، واعدت قوائم الانتخابات على اساس احزاب وائتلافات تمثل الجماعات المكونة للمجتمع العراقي فظهرت القنوات الفضائية المتحدثة بأسم كل جماعة أو شخصية تنتمي لمكون معين كما انتشرت المواقع الالكترونية بنفس الهدف. والهدف الاساسي تهشيم المجتمع العراقي وتفتيته باستخدام الاستراتيجية الناعمة.

ان فكرة استخدام الانتخابات للقوة الناعمة كحرب بين مكونات المجتمع العراقي يعني اننا في (عصر الديمقراطية الثالثة)، وهو عصرنخب الاتصالات القادرة على توصيل رسائل إلى الناس بوسائل الاتصال الحديثة المختلفة وجعلهم يقبلونها بالشكل الذي يرغب به الناقل.([2])

يعتبر الباحثون ان العالم الان يعيش (عصر الجاهلية الثالثة) بعد الجاهلية العربية والجاهلية الاوربية في القرون الوسطى وهو أن هذا العالم يعيش تحت سيادة القوة الجديدة الناعمة الامريكية. واذا تركت الساحة الاعلامية، والفكرية،

١ـ محمد حمدان، الحرب الناعمة ـ رمزية اوباما الجديدة، مصدر سابق، ص ٦.
٢ـ سارة بن نفيسة، علاء الدين عرفات،الانتخابات والزبائنية السياسية في مصر ـ تجديد الوسطاء وعودة الناخب، ترجمة سامية رزق، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٢٧٠.

والثقافية، والاجتماعية فارغة في مواجهة البرامج الناعمة فأن المستقبل العربي والاسلامي سيكون قاتما([1]).

ثانيا : الزبائنية والزبانية

الزبانية في القرآن الكريم : (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى {١٤} كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ {١٥} نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {١٦}فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ {١٨} كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ{١٩})([2]) ورد في تفسير (الطبري) ان ابن عباس فسره «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» لو دعا ناديه، اخذته زبانية العذاب من ساعته.([3]) وفي تفسير (ابن كثير) «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» اي قومه وعشيرته ويستنصر بهم «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» وهم ملائكة العذاب.([4]) اما تفسير (السعدي) فقد جاء: «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» اي خزنة جهنم.([5])

المعنى المفهوم من لفظ (الزبانية) في التفاسير انهم «ادوات التعذيب»، وعند التجريد من المعنى الديني لنصل إلى المعنى الاجتماعي والسياسي فيبدو معناها انهم «ادوات التفتيت» والافساد، يستخدمهم القادة (قادة سياسيون، قادة عشائر، قادة طوائف.. وغيرها)، واصحاب النفوذ في اعادة انتاج مصالحهم المختلفة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية مقابل النفع المادي.

والزبائنية مشتقة من كلمة «الزبن» التي تعني حسب لسان العرب (لابن منظور): الدفع والصرف وبيع الثمر على الشجر أو بيع المجازفة، ويقال

١- محمد حمدان، الحرب الناعمة – رمزية اوباما الجديدة، مصدر سابق، ص٢٠.
٢- سورة العلق، الاية ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩
٣- تفسير الطبري www.quran.al_islam.com
٤ - تفسير ابن كثير، المصدر السابق.
٥- تفسير السعدي www.aleman.com

اخذت زبني من الطعام اي اخذت حاجتي. فالزبائنية اذا هي عملية الدفع والصرف والمجازفة لاخذ الحاجة وهذا مقارب للاصطلاح بأبعاده الاجتماعية والسياسية بمعنى انها تعني المنفعة المتبادلة وتتضمن قضاء الحاجة.([1])

بهذا تصبح الزبائنية مرادفة في مجتمعنا لمصطلح الولائية، والتعزيب، والاستزلام.

غير ان الزبائنية (clientelisme) وهو مفهوم متخصص مترجم عن الكلمة الانكليزية (client) وهي تعني التابع: بمعنى شخص يحيا بحماية شخص اخر.([2])

(اوليفيه روا) قدم الزبائنية على انها الشبكة التي تتشكل حول شخص بيده سلطات ما، والتي تنقطع خيوطها حتى تنقضي سلطته، ونجد مثالا لها بمجموعة المنتفعين التي تلتصق باصحاب المناصب أو المجموعات المتضامنة التي تتشكل تحت مظلة المنافع والحماية المتبادلة والمحسوبيات وزواج الاقارب والشلل الحاكمة، التي تدير الدولة لمصلحتها وحدها، وتعمق ثقافة الفساد حتى يصير واقعا كابوسيا.([3])

١- ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر (١٩٥٥-١٩٥٦م)، ج٨٣، ص ١٩٥.

٢- منير البعلبكي، المورد، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ص ١٨٤.

٣- مقالة اوليفييه روا www. Yasser_best.blogspot.com

فريتشارد بانيجاس بعد دراسته لانتخابات (١٩٩٠م) في«جمهورية بنين» الديمقراطية يشير إلى انها تمت في بوتقة صور من منطق الزبائنية واسماها (سياسة ملء البطون).([١])

لذلك يمكن ان تعرف الزبائنية في المجتمع العراقي بشكل عام: توزيع الموارد والنفاذ عن طريقها إلى مصادر السلطة الرمزية (الدولة والدين) من خلال آلية مستندة إلى الولاءات الشخصية التي يتم نسجها عبر المؤسسات القائمة، وهذه الالية ليست بمؤسسية بحد ذاتها، كما انها ليست حكرا على ابناء عشيرة أو طائفة بعينها وبتعبير مختصر فأفضل ما يقال للتعبير عن الزبونية هو (خذ من هناك واعط هنا)([٢])

(مالك بن نبي) اعتبرها ظاهرة مرضية في المجتمعات تزداد طرديا مع تزايد درجة الفراغ الاجتماعي الناتج عن ضعف العلاقة الدينية حيث اصبح المسلم لا يجد نفسه وبمجرد خروجه من المسجد إلى الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ولا يجد الاطار الضروري الذي ينقذ استقلاله الاخلاقي، اي ان المثل الاعلى المشترك غائبا عمليا.([٣])

واعتبرها كتاب عرب فسادا ينخر جسم الديمقراطيات المعاصرة لاسيما الديمقراطية في عصر العولمة، فاليمين يعتبرها امرا طبيعيا يجب ان يوظف لحسن تسيير المجتمع واليسار يحاربها برنامجيا ويتعايش معها محليا([٤]).

١- سارة بن نفيسة، مصدر سابق، ص٢٩.
٢- مقالة صلاح حسن الموسوي، الزبونية السياسية والاجتماعية في العراق، www.annabaa.org
٣- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع- شبكة العلاقات الاجتماعية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ط٣، ص٥٧.
٤- احمد عبد الله ناهي، المشهد الديمقراطي بعد التغيير، جدل التأصيل والممارسة، مجلة قضايا سياسية،ع ١٢، ص١٦.

ونتوصل إلى انها من سمات السياسة والسياسيين في المجتمعات النامية، فهي تبعية شخص قد لاتكون لها علاقة بالقربى احيانا، ولكنها ترتكز على تبادل المنافع بين موقعين غير متوازيين من حيث الموارد وتشبه علاقة (صاحب العمل بالزبون)

وترجع اصول هذا المفهوم إلى الفكر السياسي النظري الفرنسي المقارن ويدور حول اداء بعض المصالح الشخصية أو الجماعية، ففي فرنسا خلال الفترة من (١٨٧١-١٩٤٠م) لوحظ انتشار الزبائنية وانها جاءت موازية لامتداد حق التصويت. ويرى اخرون أن الزبائنية مرتبطة بظواهر مصاحبة لها مثل تسويق الانتخابات والسمسرة الانتخابية واعمال الروابط العائلية والاجتماعية. ويعتبر البعض ان المنافسة الديمقراطية بما تفرضه من دأب ومثابرة للحصول على التأييد وما تتطلبه من روابط مبنية على الوفاء والاخلاص، يقابلها منطق اخر اساسه العطاء والاغراء يحمل على شخصنة العلاقة السياسية والابتعاد عن عالم المواطنة، مؤكدا ان ليس هناك ما يدعو إلى اعتبار الزبائنية من مخلفات الماضي أو خلل في الديمقراطية.([١])

اما الاصول الحديثة للزبائنية فيعود منبتها إلى الجامعات البريطانية ثم امتدت إلى الجامعات الامريكية وكانت معظمها حتى سبعينات القرن العشرين ذات طابع انثروبولوجي يركز على المفهوم الريفي للفكر أو مفهوم التخلف([٢]) اما حديثا ومع ندرة ما يكتب عنها قياسا لمفاهيم اخرى مثل الفساد

١ـ سارة بن نفيسة، مصدر سابق، ص٤٠.
٢ـ مقالة صلاح حسن الموسوي، مصدر سابق www.annabaa.org

والمحاصصة فأن عرضها وتحليلها يعتبر سطحيا بالمقارنة مع خطورة نتائجها.

انواع الزبائنية

١- جماعة معاونة تتشكل حول رجل يتمتع بسلطة ما وتتمثل بسلطة رئيس الوزراء (نوري المالكي).
٢- العصبيات التقليدية متمثلة بالقبيلة والعشيرة والطائفة وغيرها.
٣- العصبيات الحديثة الاجتماعية والسياسية (احزاب ومنظمات تابعة اجتماعيا).(١)

نجد المحاور التي تشترك في تكوين الزبائنية كمعطى انثروبولوجي محصورة بتبادل المنافع والخيرات من خلال العلاقات الاجتماعية والجهوية في الحياة السياسية على المستوى المحلي أو بدافع التبادل الرمزي الايديولوجي اجتماعيا.

هذه الانماط الثلاث تستعمل لتحقيق التضامن الاجتماعي ودعمه وادامته من خلال تدعيم علاقات شخصية أو اثارة نعرات عشائرية، أو اثنية، أو مذهبية، أو لغوية، أو حتى المهنية، مع استمالة زعامات وقادة رأي واعلاميين.

سوسيولوجيا، تم ربط الزبائنية بالطريقة التطورية الريفية المتخلفة، والتفسير السببي لها يربط بين الزبائنية والتخلف ضمن اطار التطور الوظيفي

١- اوليفيه روا – الزبائنية والمجموعات المتضامنة : هل هم بقايا من الماضي ام يشهدون نشأة جديدة ديمقراطية من دون ديمقراطيين : سياسات الانفتاح في العالم العربي / الاسلامي : بحوث الندوة الفكرية التي عقدت في ايطاليا. المعد غسان سلامة، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م، ص ٣٦٦.

الكلاسيكي. كما لم نجد في اي من تفسيراتها ربطا بالفقر أو قلة الفرص في مجالات الحياة، وهذا ما يتعارض مع الواقع الموجود في المجتمع العراقي.

انثروبولوجيا، فالزبائنية قبل كل شيء مفهوم انثروبولوجي، غير انه لم يتم تناوله كظاهرة، بل اشير اليها على ان (الزبائنية) تمارس في المجتمعات الاكثر تخلفا وعدت عجز ديمقراطي لاسيما في المجتمعات العربية حيث يدخل في تفاصيلها البعد الثقافي والديموغرافي مع تبريرات للتحول الديمقراطي الذي لابد له ان يمر بالصور التقليدية اولا.

الناخب والمنتخب

تتقاسم الانتخابات خصائص الديمقراطية بين ناخب ومنتخب وما هو جوهري في كل منهم من معنى، اي ما يؤسس لكل منهم من مفاهيم.

ضمن التحليل هذا يبدو ان الانتخابات ليست كم المرشحين وكم الناخبين، بل في تصنيف هذه الكتلة الهائلة وعناصرها المفاهيمية، (وصفا) على اساس ماهو صحيح أو خاطيء، أو إلى فائدته أو قلة فائدته، متوازن وغير متوازن وواقعا بسلسلة المراتب حيث تندمج كل منها مع الحاجات ودرجة تحقيقها.

وهنا نستعير تأكد (ماليونفسكي) على التوازن واللحظة الافتراضية التي يسميها «نقطة الصفر» وهي فترة التغيير في الثقافة أو المجتمع (الانتخابات والخيارات الديمقراطية) فتصبح هذه اللحظة الافتراضية هي لحظة فاصلة بين بنائين توجب نظرة وظيفية حسب ما يقول (ماليونفسكي) لكل منهم. فالبناء السابق المبني على الولاءات الاولية متوازن ومستقر والتغيير هو اضطراب التوازن (اختيار اخرين مثلا دون الاهتمام بالروابط القرابية أو الطائفية)

المؤدي إلى اندثار ثقافة البناء الاول المتوازن، هنا تستخدم الزبائنية رموزها وادواتها وبما يستوجب الحفاظ على التوازن والابقاء على الحالة البنائية الاولى المستقرة وهي الصيغة التي تسترضي الناخب (تنتجه) وتقنعه بانها ضمانة لتحقيق حاجاته وهذه تظهر تلقائيا من داخل المجتمع، لذلك كان الاهتمام باعادة تركيب الماضي الحي، حيث ان التغيير لا يمحو الماضي بل يبقيه حيا تحت ظواهر السطح مؤثرا في التفاعل والاتصال.([1])

وتؤكد الاحداث محدودية حرية الناخب، والمحصورة فعليا بين واقع يعتمد على نظام المعرفة والقيم، تلك التي يستخدمها المرشح وزبائنيته بحملته الاعلامية، وهي نفسها يستدعيها الناخب بناء على انساق من انساب ومجموعات من حقائق ومأثورات واشياء صغيرة من الحكمة والامثال، تمثل لحظة في الثقافة تأخر زمن مغادرتها، وهي تكون الواقع البشري العراقي الذي تأخر عن نفسه، ولم يستطع ان يمتلك الكلمة الاخيرة في صراع الكتل المتنافسة. وهذا ما اكده (ماليونفسكي) حيث يقول: ليس هناك شك في ان بقاء واستمرار عمل وتأثير الرواسب الثقافية أو بقايا الماضي أو المخلفات يرجع لاكتسابها معنى جديد ووظيفة جديدة. فهويعتقد أن بعض الظواهر الثقافية والاجتماعية لا يمكن ان تستمر بعد انتهاء وظيفتها ويؤكد ان هذه المخلفات ليست إلا ظواهر وظيفية وان الدور الذي تلعبه يعبر عن المحتوى الثقافي الذي توجد فيه([2]).

١- علي ليلة، النظرية الوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا الرواد والقضايا، جامعة عين شمس ٢٠٠٨م، ص٣٠.
٢- كامل عبد المالك، ثقافة التنمية- دراسة في اثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة، دار مصر المحروسة ٢٠٠٧م، ص ٢٣.

الواضح ان ظاهرة تشويه الناخب العراقي مستمرة من خلال التشويه المستمر للفكر الديمقراطي في العراق الذي انتج ناخبين تقليديين هم «ابطال مأساويين» يعبرون عن: انسان مقيد، محدوديته الفكرية هي فضيلته، وحالة اسره امتياز. هذا التجمع بنظر المرشحين مثاليا وهو يسكن الانتخابات العراقية منذ اولها في ٢٠٠٥م. حيث يبقي الناخب (مغتربا)عن المعنى الانتخابي ودوره وثقله كناخب، (مزدوجا) ليس له ولا لحياته أو جسده الحي ميزة سوى فوضى الحياة الرثة، ومن ناحية اخرى يزدهي بأنتصار طائفته، أو عرقه، أو عشيرته حد المبالغة التي يصمت امامها الاخر خوفا من الامتداد الابدي لفكره المشوه.

(باريتو) في نظريته عن الرواسب استخلص فكرة «المصلحة الذاتية» معتبر اياها احدى النزعات البشرية نحو اشباع حاجات معينة وهي اشبه بالغرائز الحيوانية، والمصلحة هنا هي تعبير عن ادراك الفرد لهدف معين وسعيه من اجل تحقيقه وهو يختلف عن السلوك غير المنطقي الذي تحركه الرواسب، لانه يعتقد ان العامة من الناس لا قدرة لهم على التفكير المنطقي المنظم([1])

هذا الشعور بالانتصار البدائي كان حجة معلنة لممارسة شروط الانتخاب ثانية وللمرة الثالثة القادمة على مايبدو، واصبح انتماء الناخب العراقي إلى الطائفة، أو العشيرة، أو القومية سببا لتضييق العمل الحزبي الحقيقي المبرمج،

١ـ المصدر السابق، ص٣٠.

مقابل تكوين شبكة علاقات ومصالح وارتهانات زبونية([1]). أو هي شبكة استبدال وتعويض استبدال الناخب السياسي الحقيقي وتعويضه بناخب تقليدي صوري.

بعد ان طغت الطبيعة الزبائنية على سلوك الانتخابات العراقية لارتباطها بالزعيم والعمل من اجله بمعنى اختصار ما يمكن اختصاره بشخصه، الزبائنية انحراف عن العلاقة بحزب والتحول إلى علاقة بشخص بل اصبحت الاحزاب تعرف برؤساءها([2])، وتتحول الزعامة إلى سلطة يخضع لها الناخب ويرتضيها لانها تحقق مصالحه وبذلك يتم استزلامه وتتحول الدولة إلى مجموعة دويلات حزبية متناحرة([3]).

هذه القوى تعيش ازمة بنيوية، وتنظيمية، وفكرية، وسياسية، وقيادية بدرجات متفاوتة، لذلك هي تعمل على توفير زبائن من خلال الاستزلام وشراء الولاءات وتعزيز الانتماءات العضوية وليس التعبئة السياسية، ولعل هذا ما يفسر قدرة الاحزاب الطائفية (سنية أو شيعية) كحركة دينية وحركة اجتماعية على استقطاب واستزلام أعداد كبيرة من نفس الكتلة كناخبين ولاعبين في العملية الانتخابية، بينما فشلت قوى اخرى في كسب التأييد بنفس المستوى بسبب افلاس مشروعها السياسي، فحسب (ماليونفسكي) أن التقابل بين ثقافتين (علمانية ودينية) على سبيل المثال اما ان يتعاونوا، أو يتصارعوا، أو يتراضوا

١ -www.altasamoh.net

٢- انطوان نصري مسرة، المواطنة والسلطة والعدالة في المجتمعات المتعددة، مجلة التسامح، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، عمان، العدد ٢٠، السنة ٢٠٠٨م، ص ٣٥.

٣- جريدة النهار، ١١ آب ٢٠٠٤م.

وهم في حالة اسماها التوازن المتوتر([1])، لذلك تكون معادلة التفاضل في الخيارات ترتكز على توغل القوة في المعايير الاجتماعية التي تحكم العلاقة، وهذا يرتبط بدرجة وعي الافراد بظروفهم والدافع وظيفيا إلى المحافظة على اوضاعهم القائمة وهو ما يسمى (بسلبية الوعي)([2]) وهنا تتحدد القوة التي تعني حسب فَكر (ماكس فيبر) قدرة احد الفاعلين على فرض ارادته في علاقة معينة بموجب المصالح والمعايير الاجتماعية([3])

ان علاقات القوة بين الجماعات الاجتماعية وشبكات الزبائن والتضامنات تظهرمن خلال بروز عقليات التوحيد على أسس محلية، وطائفية، وجهوية، وقبلية بعيدا عن المواطنة وتصبح استراتيجيات التعبئة الانتخابية عبارة عن علاقات زبائنية ونوع من الاتجار بالانتخابات مقابل توفير الحماية للناخب أو هكذا يوعدون([4])، وهنا يتشكل الناخب وفقا لمصالحه وحاجاته وجهة انتمائه التي تمثل معاييره الاجتماعية، ويتموضع ضمن ضدائد ثنائية جوهرية بنيوية هي السيطرة / الخضوع، أو يموضع الناخب نفسه في مكان ما مابين (القوة الكامنة) و(القوة الظاهرة) فالقوة لاتظهر إلا اذا ارتبطت بمصالح الاخرين([5]).

هنا تبدو المصلحة الركيزة الاساسية في بناء علاقة القوة، فصاحب القوة هو في موقع يمكنه من فرض إرادته لانه يتحكم بمصادر فيها مصالح وحاجات الطرف الخاضع، والناحية الاخرى فان الخاضع يمارس الخضوع

١ـ علي ليلة، مصدر سابق، ص٩٠.
٢ـ محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع، دار مجدلاوي ط١ ٢٠٠٧م، ص٢٥٣.
٣ـ المصدر السابق، ص٢٥٦.
٤ -www.montada.echoroukonline.com
٥ـ محمد عبد الكريم الحوراني، مصدر سابق، ص٢٥٣.

واحيانا يضطر إلى التفنن في الخضوع لقاء المصلحة التي يجنيها من العلاقة رغم ادراكه أن ما يحققه من مصالح لاتمثل جميع ما يستحقه.([1])

الديمقراطية في عصر القوة الناعمة

الزبائنية علاقة قائمة على المصلحة الشخصية بين من يدفع ماليا ومن ينتفع سياسيا ومن يحترف اعلاميا. لذلك يبدو واضحا ان الزبائنية ملمح من ملامح الاختلال والفساد في اداء الاحزاب السياسية، ويمثل تشوهات في الثقافة السياسية العراقية، التي تسمح بالارتداد عن التحول الديمقراطي السليم، كما يعد الفساد باشكاله المختلفة والفساد المالي بالذات هو العمود الفقري لإدامة الزبائنية.

هنا تكون للديمقراطية ازمان وعصور، يقول (برنار مانين): «الديمقراطية ليست نظام جامد» وهو يقصد أن (الديمقراطية) قد مرت بعصور يحددها كما يلي:

العصر الاول: عصر ديمقراطية الاعيان.

العصر الثاني: عصر ديمقراطية الاحزاب.

العصر الثالث: عصر ديمقراطية الجمهور.

يوصف العصر الثالث للديمقراطية بأن النخب فيه لم تعد نخب اعيان كما في العصر الاول، ولا نخب ذات موهبة تنظيمية وتفاني في العمل السياسي كما في العصر الثاني، انما هي نخب الجمهور والاتصالات القادرة على نقل وتوصيل رسائل ما إلى المجتمع وجعل الجمهور أو افراد المجتمع يستقبلونها

١ـ المصدر السابق ص٢٥٥.

بحرية، وان هذه النخب تظهر قدر اكبر من حرية العمل عما كانت تتمتع به سابقاتها واصبح البرنامج السياسي اقل دقة وحل محله توجهات عامة، وان الاختلافات في الراي اصبحت تعني انقسامات. والجدل السياسي لم يعد محصورا داخل البرلمان أو الاحزاب وانما امتد إلى وسائل الاعلام([1]).

المشهد الاجتماعي والسياسي يشير ان القوة الناعمة تداخلت زمنيامع عصر ديمقراطية الجمهور، هذا العصر المنتج لمتخصصين في الاعلام ليس عليهم اي مسؤولية قانونية فيما يدعون له وهؤلاء كافراد أو مؤسسات يمثلون الزبائنية السياسية والاقتصادية قوامها المنفعة، وقد تشكلت تحت مسمى (القضاء على الدكتاتورية). فأعادت انتاج الناخب وفق تصوراتها.فالاعلام بأشكاله المختلفة واقصد هنا القوة الناعمة المتمثلة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من قنوات فضائية، والشبكة العنكبوتية أوشبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ودورها في تعبئة الرأي العام والجماهير عبر محركات البحث المختلفة مثل (yahoo & google)، ومواقع التواصل الاجتماعي مثل (twitter & facebook)، عامل اساسي في تمدد الزبائنية وتمركزها فوسائل الاعلام هذه تجعل المتابع لها بكل انماطه من رجل الشارع إلى المثقف إلى الباحث إلى المحلل السياسي زبونا دائما لهذه القنوات التي تروج لسياسات احزاب وزعماء لهذه الاحزاب أو اشخاص ممولين أو داعمين للقنوات الفضائية أو المواقع الالكترونية. وقد وصفها احد الباحثين: تشبه الشبكة الاجتماعية من الناحية البيانية التخطيطية، دائرة اتصالية تحدد هذه الدائرة كيفية تواصل بعض الاشخاص بطريقة ما، وتكون الرسائل داخل هذه الشبكة

١ـ سارة بن نفيسة، مصدر سابق، ص٢٩.

عبارة عن صفقات بين افراد خاصين، مشيرا إلى المعلوماتية والاتصال كوسائل اساسية في عمل الزبونيات.([1])

وليس ادل على اعادة انتاج الناخب العراقي التقليدي الا انتخابات ٢٠١٠ التي اكدت النخب السياسية نفسها التي عرضت على المجتمع العراقي في انتخابات ٢٠٠٥. رغم الانقسامات التي شطرت الاحزاب فتوالدت فقامت بمعالجتها عن طريق أنشاء المكاتب الاعلامية (زبائنيات) لكل شق أو شطر وانتشرت مواقع الشبكات الالكترونية وصفحات التواصل الاجتماعية وتكون لكل جماعة منشطرة وغير منشطرة، فريق اعلامي يدعمه وتوزع عليهم المنافع فيما بعد. مما يؤشر وجود نمط زبائني حديث ومعاصر.

القوة الناعمة والزبونيات المعاصرة

الزبونيات المعاصرة ترتبط بالشبكات الاجتماعية الدولية التي تتشكل بفعل (الدونية البنيوية) وعقدة التبعية التي تستشعرها المجتمعات بعد خروج المحتل «المغلوب يتشبه بالغالب ابدا لاعتقاده الكمال فيه» كما يقول (ابن خلدون)، تظهر نتيجة ذلك توجهات لنخب محلية منها الثقافية وعلاقاتها الدولية وتنعكس بدورها على الزبائنية المحلية، مما يؤكد وجود بُعد دولي واقليمي بتشكيلها يعتمد على المصالح المرتبطة والعقود الدولية، فتشكل بؤرة للفساد الذي يكون اكبر من حصره بحقيبة مالية أو رشوة ولكنه يتمثل باشكال مختلفة منها تشكيل نخب مؤثرة موالية للقوة الخارجية، ومنها التغطيات الاعلامية وتمثل الزبائنية الاعلامية السياسية، والمنح الدراسية السخية، تمويل منظمات وجمعيات،

١- مقالة علي بشار بكر اغوان، القوة الذكية والمجالات التطبيقية في الاستراتيجية الامريكية، **www.akhbarak.net**

ويستخدم لتنفيذ ذلك مزدوجو الجنسية من الاصول العراقية معظم السفراء، والوزراء، ومسؤولين كبار في الدولة العراقية هم مزدوجو الجنسية (عراقي – امريكي)، (عراقي – بريطاني)، (عراقي- ايراني).... لتكريس الهيمنة والتبعية (الزبائنية الدولية).

القوة الناعمة: كما يذكر (جوزف س ناي) تتضمنها عمل الجمعيات والمنظمات منها داخل المجتمعات، وهو ما عبر عنه بالتداخل بثنائية (الجمعيات السياسية الحزبية – الاحزاب الجمعوية) مما يفسدها كنتيجة تابعة. وان اعداد المنظمات اصبحت تفوق اعداد الافراد المنتمين اليها، وهي اصلا واجهات تعمل لصالح احزاب أو جماعات تمول من قبل جهات اقليمية أو دولية.. كما عملت في العراق منظمات غير عراقية تعمل لصالح دولتها، وهنا بدت اوضح مظاهر الزبائنية في العملية الانتخابية حيث قدم (مصنع الافكار النشط)* فكرته عن أن «القادة لا يعثر عليهم بل يصنعون وقبل ان تنسحب الولايات المتحدة من الساحة العراقية يتعين عليها اولا ان تضمن ان يعرف العراقيون ماذا سيفعلون»([١])

كانت وكالة رويترز قد حصلت على وثائق من الخارجية الامريكية ورد فيها ان واشنطن ستقتصربتقديم النصح الستراتيجي والمساندة للاحزاب التي تصفها معتدلة مشيرة بصراحة إلى حزب الدعوة الاسلامية والمجلس الاعلى للثورة الاسلامية وقد ادخلوا بست دورات تدريبية استضافها المعهد الجمهوري

***مصنع الافكار النشط ويحمل اسم " التركيز على الجنوب العالمي " (focus on the global south) الذي يتخذ مقره في بانكوك (تايلاند)**

١- ليزا آشكنازكروك، برايان دومينيك، امريكيون يعملون في الخفاء لتوجيه التصويت في العراق، مجلة المستقبل العربي، العدد٣١٢، السنة ٢٠٠٥م، ص١١٤.

الدولي كما زودت المنظمات المدنية المرتبطة بها طبعا؛ بفرصة لتعلم قائمة طويلة من تقنيات الحملات الانتخابية الناجحة، وكان المعهدين الجمهوري (IRI)*** والديمقراطي (NDI)**** قد استلما ٨٠ مليون دولار لتوفير المساعدة التقنية والسياسية للعملية الانتخابية.(٣٣) ومعروف كيف كانت تقنيات الحملات بدء من الرمز إلى الشعار الرئيسي المستخدم والشعارات الثانوية التي تعبر عن المظلومية، عملت هاتين المنظمتين على انتاج الزبائنية المدربين لكسب المرغمين فكريا وفق البعد المجسم للماضي والمنتفض الاكثر يأسا والاكثر حزنا، رافقها تغطيات اعلامية مهنية زبائنية مثيرة للمشاعر وتدفع للتعاطف معهم، كانت نتيجة التدريبات انتاج ناخب بمواصفات تتناسب والهدف الاستراتيجي الداعم للقوى المعتدلة (حسب رايهم) وبتحقيق نتائج انتخابية هدفها المعلن (اعادة حقوقهم).

من الزبونيات المعاصرة، (الطلبة، والاكاديميين، والمثقفين) وهم بنفس الوقت قوة ناعمة بل مفرطة بنعومتها، وتمثل الفكر الذي يعتد به من قبل المتلقين اي كانت مستوياتهم العلمية والاجتماعية لموثوقيتة من حيث الدقة والصلة بالعلم.

IRI* المعهد الجمهوري الدولي وهو بمثابة معهد ابحاث رسمي للحزب الجمهوري الامريكي في الشؤون الدولية يتراسه السيناتور الجمهوري جون مكين

NDI** المعهد الديمقراطي القومي تتراسه وزيرة الخارجية السابقة مادلين اولبرايت التي تسلمت رئاسته من الرئيس جيمي كارتر**

المجموعتين تؤكدان في العلن انها غير حزبية ولكن كلاهما ترتبط بعلاقات وثيقة مع الحزب السياسي الذي تحمل اسمه. تتمتع المجموعتيان بسمعة مثيرة للجدل وبانهما فضوليتان أو هدامتان. وترتبط بخطط سرية لفرض حكومات موالية للولايات المتحدة.

ارتبط تشجيع الدراسة في امريكا عبر مشاريع مختلفة (كمشروع فولبرايت)* الذي يطبق في العراق حاليا، ومشروع التبادل العلمي والتكنولوجي من خلال فكرة انشاء المكتبة الالكترونية العراقية الامريكية والمرتبطة بالكونغرس بشكل مباشر، والتي تمكن الكثيرين من الاطلاع علىآلاف الكتب والمقالات والبحوث في شتى مجالات البحث العلمي، وكل ذلك يدخل من ضمن ما يسمى القوة الناعمة.

إن البعد المعتمد على التعليم يدخل ضمن القوة الناعمة يقول احد السياسيين «أهم شيء هو تطوير استراتيجية بعيدة الأمد للمبادلات الثقافية والتعليمية التي تنمي مجتمعًا مدنيًا أغنى وأخصب وأكثر انفتاحا في بلدان الشرق الأوسط. إن أكثر الناطقين باسم أميركا فاعلية وتأثيرًا ليسوا هم الأميركيين، بل (وكلاؤهم المحليون) من أهل البلاد الأصليين الذين يفهمون فضائل أميركا»([1]) فهم يطبقون الافكار التي اختارها الامريكي للتوصل إلى حلول لمشكلات الجماعات.

وزير الخارجية الامريكي (كولن باول) صرح قائلا: لا استطيع ان افكر في رصيد لبلدنا اثمن من صداقة قادة عالم المستقبل الذين تلقوا تعليمهم هنا. (كان بصدد القوة الجذابة أو الناعمة)، ذلك لان الطلبة الدوليين يعودون لاوطانهم في العادة بتقدير اكبر للقيم والمؤسسات الامريكية فهم يشكلون خزانا

***مشروع فولبرايت هو أحد البرامج العريقة للمنح الدراسية حول العالم. وقد أطلق البرنامج عضو الكونغرس الأميركي الراحل، السيناتور وليام فولبرايت عام ١٩٤٦م، للطلبة المتميزين في جميع أنحاء العالم.ومنذ سنوات يعمل البرنامج، الذي ترعاه حالياً وزارة الخارجية الأمريكية، على تمكين الطلبة العراقيين لمواصلة دراساتهم العليا لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبناء مهاراتهم القيادية وإثراء الوعي الثقافي المتبادل مع الأميركيين**

١ـ جوزيف س.ناي، مصدر سابق، ص ١٨١.

رائعا للنوايا الحسنة تجاه البلد الذي درسوا فيه، وفي كون الكثير منهم سينتهي به الامر إلى تولي سلطة القرار هناك، في بلده الأم([1])

يرتبط هؤلاء بعلاقات مع السلطات الحاكمة ومع الاحزاب والافراد وخلال فترة الانتخابات تبرز ادوارهم ويقدمون خبراتهم وامكانياتهم العلمية والتقنية سواء بتقديم المشورة أو للترويج اعلاميا فيضافون على القوة الناعمة مرتين، برداءة فكرية تكتسح ساحة المؤسسات السياسية وتدلهم على أساليب التحالفات ذات المردود الاكبر، وذلك لمن يدفع اكثر (وبما يشبه الابتذال)، وهنا يصبح (اهل العلم) زبائنية هذا أو ذاك وهم مع اهل المقدسات أو مع اهل السياسة، وبمساندة وسائل الاعلام الزبائنية يشكلون القوة ناعمة للضغط على الاخر، وانتاج ناخب يشكل وفق ما يتطلبه تحقيق الهدف من استنساخ لنفس المعنى الذي يقدمه اي زبون اخر ولكن بلغة متعلمة منطوقة في نطاق حوار أو مناقشة أو مشورة.

مفترق الطرق

الصلة بين شراهة التعصب للافكار وبين الصعود للسلطة تبدو واضحة في حلبة المنافسة الانتخابية، وقد وصلت إلى حد وضع الناخب العراقي بصلة جهادية مع فضيلة الاختيار والالتزام بالولاء، واصبحت المقاييس المقبولة للناخب تقترب اما من الايمان أو الجحود، وان اخلاقيات الغاية الانتخابية هي غايات الناخب نفسها وتستلزم السعي وراء المجابهة واستقطاب من يقفون على ابواب الحاجة أو على مفترق الطرق، أما الخطاب فكان اما معتنق أو على

١ـ مقالة عدنان عباس سلطان، www. Soso.com

الضد، والتناقض هو افراغ الفكر ليمتلأ الاخر تماما، والحياد ناجم عن فراغ واوهام. تلك هي القاعدة العامة لخاصية الديمقراطية كما انتجها الفكر السياسي للانتخابات، بالملاحظة والتجربة والتي تمثل حقائق لاكلمات.

كان وجود الانصار(الزبائن) بالمقاييس الموضوعة لهم، هي مستلزمات ضرورية لطبيعة التعددية الحزبية، كان لهم دور كبير في عملية التعبئة الجهادية للاحزاب الطائفية والقومية وغيرها في الانتخابات السابقة (٢٠٠٥و٢٠١٠م). وكانوا من النوع الزبائني الموالي الملتزم بيقين، الذي يبحث عن ناخب لا يقبل مطلقا الانفصال عن الولاء رغم كل التقلبات التي يتعرض لها، ويتصف بالثبات (فما يثبت بالعقل مسبقا هو كل المعرفة)([1]) وهكذا تخاطب الجميع بلغة الميتافيزيقيا كنهج لا يثير اسئلة ومستمد من افكار بسيطة، فكشف العقل عن مرجع مشترك للخبرة مختزلين الناخب بأحاسيس لايمتلك ان يعي غيرها، فكان انتاج الناخب التقليدي دون ان يعي امره، ناخب ملتفت إلى الوراء دائما بمكافأة مؤجلة وبعطاء الهي، مما ابتعد عن الفكر الديمقراطي ذي الخيار السياسي،واتجه بقوة إلى الولاء الاجتماعي فأصبحا على مفترق طريق يصعب لقاءهما.

تدخلت الزبائنية في الاداء الديمقراطي لصالح جهات معينة (كوسيلة اسناد)، أو ضد جهات أخرى (وسيلة انتقام)، أو لصالح طرفي منافسة (كوسيلة مقايضة)، لا علاقة لها بممارسة سياسية أو اختيار ممثل نائب عنه، يروج الزبائنية للناخبون هنا فكرة انهم قد منحوا فرصة اما التقرب للمرشح أو الثأر

١ـ مقالة هيفاء زنكنة، يوم الجلاء، www.yaqen.net

منه، لذا فهم مقيدين، مضطرين للتصويت لمن لايمثلهم أو يمثلهم بقدر محدود ضمن الاطار الاجتماعي، وربما تكون دون وعي أو بنوايا حسنة تجاه الجماعة وليس المجتمع، مما يعيد انتاج ناخبين تقليديين قاصري الوطنية.

اظهرت الزبائنيات وجود نمط زبائني شخصي لمرشحين وليس لزعماء أواحزاب أو جماعات، حيث المرشح الاقوى المعروف بقدرته على تقديم الخدمات الشخصية والخدمات العامة ويعطي وعودا بالتنفيذ، غالبا يكون التوجه لاغلبية الناخبين وهم معظمهم من الفقراء، حيث تعمل الزبائنية على توجيههم للتصويت للمرشحين ممن يقدم خدمات فعلا وليس لمن يستحق، وهنا تتكون صورة المرشح التي يوصلها الزبون للناخب هو قربه من الحكومة ليكون وسيطا لهم عند الحاجة، ويكشف عنه من خلال الحملات الاعلامية ومايصرف عليها من مبالغ ضخمة لاقناع الناخبين حيث تقدم تبرعات مالية نقدية أو هدايا مما يعني شراء الاصوات، الزبائنية الشخصية للمرشح نوع اخر ربما لايمت للدم، أو الطائفة، أو العرق بصلة ولكنه يحول المرشح إلى ساعي بريد ينقل الطلبات إلى الحكومة. هذا النمط يعيد انتاج الناخب التقليدي المروج لفكرة تحقيق المصالح الشخصية.

الزبائنية منها ما يدفع لها ثمن الترويج، ومنها ما يدفع لها ثمن اسقاط الاخر لذا فأن قوة التصويت لصالح الاغلبية كانت بفعل الزبائنية الذين يروجون في الاوساط التي ينتمون اليها وتعبئة الناخب عن طريق اعادة انتاجه من قبل الحلقة المحيطة بالمرشح على اساس (تبادل منافع) باحدى الاساليب

لقاءات أو اتفاقيات سرية وهنا يكون النائب الذي رفعته زبائنيته مدين لهم بالفوز وبالتالي يخدم مصالحهم لدى الجهات الحكومية.

عندما توضح للناخب عمق الهوة فيما بينه وبين النخب السياسية المنشغلة برهاناتها وليس به كفرد في المجتمع له حقوق، انغلق وتصلب بلا صبر أو تبصر تجاه قضيته الاولى، راغبا عن المستقبل مرتبطا كافراد أو مؤسسات بقضايا آنية محدودة، فأصبح الناخب اسير وضعه الاجتماعي الولائي حيث قبضة النخب السياسية قبضة محكمة ولا قدرة له على منازلتها وتغييرها.

ان ما يضع الحدود بين الديمقراطية والزبائنية يتعلق بطبيعة القوائم الانتخابية وبالتالي طبيعة النخب البرلمانية التي تضمنتها، وان تحررها من اطرها الاجتماعية التي تتناغم مع المشاعر والعواطف إلى اطر سياسية تضمن عدم تجديد النخب التي اثبتت فشلها([1]). وبعكسه تصبح كل زبائنيات هذه النخب وبكل اشكالها ذات (ابعاد سلبية) بسبب تجديدها النخب دون محاسبة.

الضحية السياسية

ان تدني مستوى الوعي المجتمعي الذي جعل المرأة على مدى زمني طويل بلا هوية ولا حقوق، انسحب على وضعها في المرحلة الزمنية التي قدمت مرشحة ضمن الكوتا الانتخابية كجزء من منحها الحقوق، وان شخصيات نسوية تم ترشيحها لتمثل جماعة اجتماعية أو استكمالا لقائمة أو ضمن ديكور تجمل به القائمة، وليس تمثيلا سياسيا فعليا، مما يستدعي اعادة تنظيم اوراقها

١ـ منى العينه جي، ثقافة الانتخاب في المجتمع العراقي، انتخابات ٢٠٠٥ انموذجا، مجلة كلية الاداب، العدد ٥٥، ٢٠١٢م، ص٤٥٠.

والنظر بطريقة ترشيحها وعرضها بما لا يجعلها ضحية سياسية تتخذ باسمها وصوتها قرارات لا تحميها، لذلك فأن تمكينها كمرشحة حقيقية في الانتخابات لها دور فعال وحقيقي يسهم في انتاج ناخب غير تقليدي مستعد لانتخابها لكفاءتها وقدرتها.

وتعد عروض المراة التي كانت الاكثر تدنيا بين عروض المرشحين وذات بعد تقليدي باضفاء الصورة الاكثر تقليدية وبدائية على المراة، وكانت صورة فاضحة للمعنى المستتر (بمعنى انها اسم لبديل فعلي). سنكتفي بتحليل ونقد هذا النموذج حيث قدمت العديد من النساء المرشحات في الانتخابات العراقية بعروض غريبة، غير متعارف عليها في اي من الانتخابات في العالم وذلك بأخفاء هويتها الشخصية من خلال استبعاد صورتها الشخصية، أو عنوانها، أو وظيفتها وبما يعزز الجانب الاعلامي لحملتها الانتخابية، فقد استبدلت صورتها بصورة ولي امرها، أو عرفت بكنيتها (ام...) بالخط الكبير يليه الاسم بالخط الاصغر مع الاعتماد على تسلسلها ورقم القائمة، فضلا عن تعريفها بابيها الشيخ، أو عمها، أو اخيها، أو زوجها، أو ابنها ولو كان اي منهم متوفيا، اما الليبرالية فكان هناك امعانا في ليبراليتها بشكلها وعرضها كأنها تحاول بيان الفرق بينها والاخريات، ومن الليبراليات من عرضت نفسها كالأستاذة، والدكتورة، أو رئيسة القسم ولم تكتف بذلك بل ختمت تعريفها بختم تقليدي يحقق لها قبولا اجتماعيا بانها اخت فلان (....) أو زوجة فلان (...)، بلا برنامج ولا هدف واضح.([1]) أن الزبائنية هنا هم وسطاء لاولياء الامور بسبب مواقعهم ومراكزهم الاجتماعية أو هم اولياء الامور انفسهم حيث يروجون

١- جريدة المدى، ٢٧ نيسان، ٢٠١٣م.

لزوجاتهم وبناتهم دون تعريف سوى بشخصه هو، أما القوة الناعمة أو الاعلام فلم يكن له الدور الكبير لهذا النوع من المرشحات بسبب اخفاء الشخصية والتعتيم على امكانياتها، في صورة غريبة من نوعها.

كانت هذه الصورة المعروضة موجهة للنساء الناخبات من نفس الفئة، مع تبني خطاب يصون الفكر من أي مهارة وقدرة على الاداء تخص البرامج الانتخابية سوى مهارة الطاعة المطلقة والصمت كما تعودت عليها في حياتها الخاصة.ويكون التصويت هنا من قبل الناخبين (الناخبات) هو تصويت اجتماعي وليس سياسي وهو تصويت من اجل التصويت ليس الا، وان الناخب هنا هو ناخب صوري وليس ناخب حقيقي.([1]) وبذلك يكون الناخب (الناخبة) داعمة للنظام القائم وتحدد شكله وترسم خطوطه وصورته النمطية. وبالتالي يعد هذا انتاج للمرأة للناخبة النمطية المدفوعة للانتخاب دون وعي أو ادراك لثقلها الانتحابي.

زمكانية انتاج الناخب العراقي

هل علينا تغيير الديمقراطية لتتوائم مع محيطها وزمنها؟ ام ان الوقائع في محيطها المكاني لاتتعالى على الزمن فيغيرها.

التفاعلات والخيارات بما فيها الخيارات الانتخابية تتم في مكان معين وخلال فترة زمنية محددة لذلك فأن الافعال هذه «متزمكنة» اي انها تدور في اطار زمني ومكاني محدد، وان ادراك كيف يلتقي الزمان والمكان في منظومة الانتخابات العراقية يسهل توضيح مفهوم «الاقلمة» اي التقسيمات الموقعية

١ـ سارة بن نفيسة، مصدر سابق، ص٢٧٣.

لكل جماعة اجتماعية، فالجنوب المقهور سياسيا في الزمن الماضي هو في الزمن الحاضر الجنوب الفاعل سياسيا، ولفهم الانتخابات والمسار التي تتخذه فان العراق ليس مجرد مساحات ارضية قدر ماهو مؤشر لمنطق زمني معين، تتم فيه تفاعلات الانسان وتخضع لاعتبارات موقعية زمنية.

الاداء الانتخابي وفق مفهوم القوة الناعمة جعل الترابط الوثيق بين المكان والزمان خاضعا للسيطرة والتحكم عن طريق الاعلام الفضائي والانترنت، وهذا التغيير التقني هو اعادة ترتيب مفهوم المكان بحيث يتم التعرف على الاخرين (المرشحين) دون التحرك من الاماكن المتواجدين بها (الناخبين) وهذه تعدل فكرة استهلاك الزمن لطبيعة السرعة والفورية والكم العددي في العرض التنافسي للقوى المتنافسة واستغلال الصورة ورمزيتها (العباءة، والعمامة، والعقال، أو العكس) للتعبيرات عن مفهومات وهويات يراد توصيلها بالشكل المحقق لانتاج الناخب المرغوب به لكل جهة سياسية. بمعنى اقتحام المكان باقل كلفة زمنية، وربما تكون هذه المرحلة تسبق مرحلة اللقاء الوجاهي بين المرشح والناخب بمكان وزمان اخر وبالطريقة التقليدية حيث يكون للناخب معرفة مسبقة بالمرشحين.

ان تمكين المرشحين من قبل تحركات الزبائنيات المختلفة اعطى حريات اكبر من خلال الزمان والمكان الذي تتحرك فيه، اقصد داخل الصناعة الاعلامية أو ما اسمته مدرسة فرانكفورت (بصناعة الثقافة) وبأقل زمن ممكن، بما يجعل الناخب الذي يتم التوجه إليه قد قوضت قدرته على التفكير النقدي فيسلم لهم، أو كما يقول (هابرماس): ان حلبة المناقشات والمساجلات

وتشكيل الاراء والمواقف وتجسيد اهتمامات الناس اصبحت تهدف للاستمالة والتلاعب والسيطرة (انتاج ناخب) كما تبدو في الحملات الدعائية والترويجية.([1])

ان الناخبين يقومون بالاختيار في ظل نظام اجتماعي يعيد انتاج عدم التكافؤ بين الامكانيات والزمن والحرية للمتشاركين في العملية لانتخابية. وربما تكون زمكانية العراق غير زمكانية الديمقراطيات الاخرى في العالم ولكن لابد من الاشارة إلى ان كل الخيارات ليست فطرية ولا تلقائية، كما انها لاتخص ثقافة معينة دون الثقافات الاخرى، لذلك ان ما يحدث في الانتخابات العراقية هو جزء من التغيرات الحالية فيه.

يؤشر اوليفييه دابين التحول الديمقراطي في اماكن اخرى وازمنة اخرى، ففي امريكا اللاتينية لم يتم التحول دون تفكك النسيج الاجتماعي بسبب اتساع الفوارق بين الطبقات وتصاعد العنف لذلك اقتضى تسمية ذلك بالاسس الاجتماعية للديمقراطية حيث المواطنة قاصرة على ابسط اشكالها وهي حق التصويت دون ان تأتي بنتائج مرجوة. كما ان الهند كنموذج واليابان إلى حد ما تغلب الهوية والروابط العائلية والاجتماعية في الخيارات لذا يمكن اعتبار ذلك نوع من الديمقراطية القائمة على عنصرين هما الفرد والجماعة([2]).

١- انتوني غدينز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥١٢.
٢- سارة بن نفيسة، مصدر السابق، ص٢٧.

في الحالة العراقية فأن التفسير الزمني لكل الاحداث والوقائع الانتخابية التي مر بها المجتمع العراقي بعد عشر سنوات من التغيير السياسي يظهر وجهان لفاعلية الزمن:

الوجه الاول: هو سلبية الزمن ويزداد حجم السلبية كلما تقادم الزمن على علاقة القوة المنتجة للناخب التقليدي حيث اتساع المدى الزمني لاستمرارية العلاقة يعني المزيد من الرسوخ وتصلب الاوضاع البنائية القائمة، والسلبية الزمنية ترتبط بأعتياد الاجحاف والتمايزات غير العادلة، وتكلس المعايير وغياب الوعي.

الوجه الثاني: هو ايجابية الزمن وهي حالة تعقب السلبية زمنيا وتبدأ بأنبثاق وعي الخاضعين للفكر الزبائني والقوة الناعمة واحساسهم باستلابهم وتبلغ ذروتها بالتحرك الفعلي ورفض الخضوع له مستقبلا.(1)

وفي النهاية لابد ان نقول ان القوة الناعمة والزبائنية نظامين يؤديان إلى افساد التطبيق الديمقراطي في المجتمع العراقي، ويعيد انتاج الفكر التقليدي ولابد من العمل على الحد منهما لانها محبطة لكل تطلعات التغيير وتعيد انتاج الفكر والنظام والسلطة وهي معرقلة للتنمية البشرية المستدامة. بأعتبارها تهتم بالمصالح فأن الزبونيات المعاصرة تعد واحدة من اساليب الهيمنة الخارجية أي انها (القوة الناعمة والزبائنية) تمددت وتعدت المحلية إلى الدولية، فما يرتبط بالمصالح الانية المحلية له بعد خارجي دولي.

١ـ محمد عبد الكريم الحوراني، مصدر سابق، ص ٢٦١.

اما العراقيين ثقافيا قادرين على التعبير عن رغباتهم لاحداث التغيير في النخب السياسية. وهم ليسوا ضد الحداثة الفكرية الديمقراطية إذا ما سنحت لهم الفرصة الحقيقية للتعبير عن فكرهم السياسي بعيدا عن مؤثرات الفكر التقليدي الذي فرض عليهم.

الفتوى الدينية والديمقراطية العراقية

بين الامس واليوم واحد وتسعين من الاعوام تفصل بين اول انتخابات جرت في العراق واخر انتخابات فيها (١٩٢٣-٢٠١٤م)، ومع ذلك لم تختلف أو تتجدد بتطبيقاتها فكرا أو وعيا، والناس الناخبين على الاغلب والاعم وكعادتهم مسيرون ولو لم يجدوا من يمثل مقدساتهم ويسيرهم في الطريق لخلقوا لانفسهم إلهًا يسيرون خلفه كما يقول (نيتشة)، وهم لا يترددون ابدا بالقبول بتنفيذ أي رأي أو مشروع صادر بفتوى دينية صالحا كان أم طالحا. فهم يعتقدون ان من افتى هو الاعلم.

ويحلل الدكتور(علي الوردي) تحليلا اجتماعيا فكرة استخدام الفتوى كنوع من انواع المعارضة السياسية مشيرا إلى أن فيها إلزام لان المخالف للفتوى ينال نبذا واحتقارا اجتماعيا بالاضافة إلى ما ينتظره في الاخرة من عذاب مقيم. ولكن قوله الشهير يشير إلى رؤيته الواضحة حول الافتاء لغرض تداول السلطة وليس لتوجيه الناخبين باتجاه جهة معينة (لو كنت من ارباب العمائم لافتيت باعتبار التصويت واجبا دينيا، ولجعلت التقاعس عنه ذنبا لا يغتفر)([١])، معترضا على فكرة الردع الإلهي التي ياتي بها البعض للتفرد بالحكم.

بعض النصوص في القوانين مثل عدم استخدام الشعارات الدينية فى الانتخابات والاستفتاء، تتحور وتبقى موجودة بصيغ اخرى لا يجرؤ أحد على إلغائها تتحور وفق الفتوى الدينية اي يمكن أن يقع التحور أيضاً فى الفكر، فالفتاوى التي تحورت إلى شعارات دينية سافرة تسيدت واخذت تحلل وتحرم

١- علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٦٦.

وتكفر واثرت في الجماعات، ولكنها لم تواجه بقانون أو غضب من المسؤولين أو الاتجاهات المعاكسة التي تتم الفتوى ضدها، وكأنها أمر واقع لابد منه، كل ذلك يتم ضمن تمحور الجماعات المختلفة حول فكر المفتي والمقلدين لهم مما يغير سير اتجاه العملية الانتخابية.

الفتوى اسم مصدر للفعل (فتى) يقال فتى يفتى فتيا والافتاء هو الابانة، ومنه الفتيا، بمعنى تبين الحكم، يقال: افتاه في الامر، إذا ابانه له، افتيت فلانا رؤيا رآها اذا عبرتها، وافتاه في المسالة، اذا اجابه عنها، وتقول : استفتيت اذا سالت عن الحكم، وافتى الفقيه في المسالة، اذا بين حكمها([1])، ومعنى الفتوى في الاصطلاح : الاخبار عن حكم الله عز وجل([2])

وهي مرسوم ديني في الإسلام يقوم بإصداره علماء في الشريعة الإسلامية يتحلون بصفات معينة. يعتبر إصدار الفتوى في الإسلام أمرا عظيما من ناحية المسؤولية ويعتبر البعض من يصدر الفتوى إنه شخص نصب نفسه للتوقيع عن اللهفي أمور جدلية يتم إصدار الفتوى عادة نتيجة غياب جواب واضح وصريح يتفق عليه الغالبية في أمر من أمور الفقه الإسلامي ويتعلق بموضوع شائك ذات أبعاد سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية ويطلق تسمية المفتي على الشخص الذي يقوم بإصدار الفتوى.([3])

١- لسان العرب / ١٤٧-١٤٨ باب (افتا).
٢- وليد بن علي الحسين، تغير الفتوى، مركز التمييز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، الرياض، ٢٠١٠م، ص٢١٢.
٣ -http://ar.wikipedia.org

وفي القرآن، جاء في قصة يوسف «أَفْتُونِيفِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ(٤٤)»([1])

والفتوى في العقيدة الإسلامية هي تعبير عما وهب الله شخصا معينا من العلم استنادا على نفس السورة السابقة «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا».(الآية:٤٦)، «قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي».(الآية: ٣٧).

وفي سورة النساء «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ»([2]) بمعنى (سُؤَال قَوْم مِنْ الصَّحَابَة عَنْ أَمْر)([3])

وجاء في سورة النّمل الآية «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)([4]). بمعنى: «أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِي».

استنادا على سنن الدارمي عن (عبيد الله بن أبي جعفر) إن الرسول قال (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)([5]) واستنادا على جامع بيان العلم لابن عبد البر إن البراء بن مالك قال: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسألون عن المسألة وما من رجل

١- سورة يوسف، الاية (٤٣، ٤٤).
٢- سورة النساء، الاية (١٧٦).
٣- محمد بن احمد الانصاري القرطبي، الجامع لاحكام القران، ج (السابع)، دار الغد العربي، القاهرة ط١، ١٩٩٠م، ص ٢١٢٧.
٤- سورة النمل، الاية (٣٢).
٥- القرطبي، ج (الثالث) المصدر السابق، ص٥٠٧٧.

منهم إلا ويودّ أن أخاه كفاه فيرده هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى يرجع إلى الأول». وفي هذا الرواية إشارة واضحة إلى ضخامة مسؤولية إصدار فتوى.

نشأت منذ البدايات الأولى لفكرة الفتوى اختلافا في وجهات النظر بين السنة والشيعة حول التفاصيل المتعلقة بالفتوى. فالسنة من وجهة نظرهم لا يؤمنوا إن الحاكم السياسي والإداري المتمثل في شخص الخليفة عليه أن يكون مرشدا روحيا في نفس الوقت لأنه كان شخصا إداريا وإنه بمجرد التركيز على قدسية القرآن وأهمية السنة النبوية فإن أي مسلم يستطيع أن يتقرب من الله بدون الحاجة إلى وسيط. فيظهر فرق جوهري أخر لمفهوم الفتوى بين السنة والشيعة فالفتوى في نظر الشيعة هو مرسوم ديني يجب على كل من يعتبر نفسه شيعيا الالتزام أو العمل بما ورد فيه ويكون عملية أختيار المفتي من قبل هيئة من الفقهاء الذين تم تخويلهم من قبل مايسمى لدى الشيعة أئمة عظام وهم الذين يتم رجوع الساسة إليهم.

تكمن خطورة الفتوى في كونها مرسوما دينيا تتعدى حدود علاقة الإنسان بخالقه فكثير من الفتاوي تتسم بصفات دنيوية، وسياسية، وثورية، واجتماعية، واقتصادية، والجدل القديم الذي أدى إلى ظهور فكرة الفتوى لايزال قائما في الدول الإسلامية حيث يوجد هناك فجوة بين الحاكم السياسي والإداري والناطق باسم الشريعة الإسلامية.

يقول الدكتور (رياض الصيداوي) أن الفتاوى السياسية بدأت بالانتشار مع«حرب الخليج» عام ١٩٩١م وانتقلت الظاهرة من الخليج إلى مصر والشام

ومنطقة المغرب العربي». ويضيف أن «الفراغ الديمقراطي تم ملؤه بشيخ يفتي».

فتاوى عراقية في الانتخابات

تعد الفتاوى المؤثرة في العراق هي تلك التي تأتي من المراجع الكبار في النجف الذين لهم أتباع يقدر مجموعهم ب ٨٠% من شيعة العراق. ويدخل من حيث التشريع في باب الحرام في حالة عدم تطبيقها. والفتاوى الدينية تمتلك حياة خاصة بها، يمكن إيقاظها ولو بعد مئة سنة، فهي تمتلك سلطة قائمة بذاتها.

وتعد الانتخابات العراقية ١٩٢٢م الأولى في العراق والمنطقة العربية، وهي أول انتخابات صدرت فتاوى بتحريمها غير ان المتتبع يجد ان التحريم كان وراءه حس وطني واضح، اما الانتخابات التي اجريت عام ١٩٣٣م فانها وصفت بانها المعلم الاول لخرق الديمقراطية في المنطقة بمساوئها بدء من التزوير وانتهاء بالفوضى والشعوذة السياسية كما سميت حينها، بمعنى ان بدايات الفتوى كانت ذات بًعد وطني ثم انحرفت.

بمعنى أن الديمقراطية في العراق كانت بداياتها سيئة ادت إلى ان تتحول عن مسارها السياسي لتدخل بخطوط انتاجية جديدة فاستخدمت الفتوى والجماعات الفرعية للترويج للانتخابات، حتى يمكن ان نسميها ديمقراطية

الفتاوى الدينية والديمقراطيات العشائرية ولاحقا برزت خطوط انتاج محلية لديمقراطيات العسكر وديمقراطية الديكتاتوريات والاحزاب الواحدة([1])..

بعد قدوم الملك (فيصل الهاشمي) إلى العراق عام ١٩٢١م، وتأسيس الدولة العراقية، تعهَّد في خطاب التتويج، بأن أول عمل سيقوم به هو الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي (البرلمان) والذي أريد منه أبرام اتفاقية طويلة الأمد يكون فيها العراق تحت الانتداب البريطاني والتي رفضها العراقيين كما رفضوا الانتخابات واصدرت الفتاوى بتحريمها([2]).

وكان لصدور الفتاوى الشرعية تأثير على المستوى الشعبي فقد استقالت الهيئات الانتخابية في معظم المناطق الشعبية ثم سرت في سائر انحاء المملكة حتى أن مطارنة النصارى دعوا المسيحيين إلى مقاطعة الانتخابات تمسكا بالجامعة الوطنية وحفظا للمصالح المشتركة... الخ، والصقت على أبواب الاديرة، كما الصقت فتاوى المسلمين على أبواب المساجد والمراقد([3])

وكان أول ما تم التهيؤ له في انتخابات عام ١٩٢٣م، قام السياسيون بحث الملك على معاقبة من ينشرون الفتاوى واتخاذ الاجراءات القانونية ضد رؤساء القبائل وضد رجال الدين المتشددين في مقاطعة الانتخابات ولكن الملك عمل على استمالة رؤساء العشائر لفصلهم عن رجال الدين وتمت استجابة البعض وكان طلبهم وجوب الغاء الفتاوى الصادرة بالحرمة والامتناع غير ان مهدي

---

١ -www.ahlalhdeeth.com

٢ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٧، ١٩٨٨م ص١٤٧ـ١٤٨.

٣ـ المصدر السابق، ص١٤٩.

الخالصي الذي افتى بها لم يوافق على ابطالها([1]) وبذلك تحولت الانتخابات من يد رجل السياسة إلى يد رجال الدين والافتاء.

علماء الدين الشيعة لم يترددوا بأطلاق فتاواهم في توجيه الناخبين من الناس في كل مرة، منذ التاريخ الاول لدخول الديمقراطية كخيار شعبي حتي الانتخابات الاخيرة.

وكانت من اولى الفتاوى التي أصدرت عام ١٩٢٣م:

(ابو الحسن الاصفهاني) قال فيها:

«إن هذا الانتخاب يُميت الأمة الإسلامية. فمن انتخب بعدما عَلِمَ بحُرمة الانتخابات، حرُمت عليه زوجته وزيارته، ولا يجوز ردّ السلام عليه، ولا يدخل حمام المسلمين هذا ما ادى اليه رأينا والله اعلم بالصواب».([2])

وافتى (الخالصي) قائلا:

«نعم قد صدرمنا الحكم بتحريم الانتخابات على كافة الامة العراقية فمن دخل أو تداخل أو ساعد فقد حاد الله ورسوله وقد قال عز من قائل في كتابه المجيد الم يعلموا انه من يحادد الله ورسويها ذلك الخزي العظيم له فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم اعاذ الله الجميع من ذلك»

وافتى (النائيني) بالقول:

١ـ المصدر نفسه، ص١٧٠ـ١٧٢.

٢ـ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٦/١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد، ٢٠٠٩م، ص٢٠٣.

«نعم حكمنا بحرمة الانتخابات وحرمة الدخول فيه على كافة الامة العراقية وان من دخل في هذا الامر أو ساعد عليه ادنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين اعاذ الله الجميع عن ذلك».

اعتبر (الأصفهاني):

«الانتخاب عملاً لا يقل عن محاربة الله ورسوله واوليائه»([1])

واستمر موقف الحوزة العلمية بالاصرار على التمسك بالمقاطعة تجاه الانتخابات لاسباب عديدة وقد اعلن الشيخ (مهدي الخالصي) نقض بيعته للملك فيصل الاول في مهرجان ضخم عقده في مدرسته العلمية في (الكاظمية) قال فيه:

«لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط وقد اخل بتلك الشروط فلم يعد له في اعناقنا واعناق الشعب العراقي أية بيعة»

لقد ادركت السلطة أن المعارضة هذه لا يمكن تحجيمها أو السيطرة عليها طالما هناك مراجع دين لهم اليد الطولى في مجرى الاحداث، فهم مصدر قوة الشعب العراقي، وهم الذين يرسمون له الموقف والقرار، وأن الامة تدين للمرجعية بالولاء الكامل، مما يجعل من المستحيل تنفيذ أي مشروع سياسي يرفضه مراجع الدين. وبناء على ذلك قررت السلطات الحاكمة عزل القيادة المرجعية عن الأمة لتتمكن من فرض سلطتها على الساحة السياسية. فعقد مجلس الوزراء جلسته الخاصة برئاسة عبد المحسن السعدون في ١٧ حزيران ١٩٢٣م، قرر فيها بالاكثرية البدء بالانتخابات من جديد بعد عودة الملك فيصل

١ـ المصدر السابق، ص٢٠٤.

الاول من جولته في الالوية العراقية «وتأديب المقاومة غير المشروعة» للانتخابات بصورة قانونية وذلك باخراج الاجانب من رجال الدين خارج البلاد وتقديم العراقيين المقاطعين للانتخابات إلى المحاكم. فقد تعهد (عبد المحسن السعدون) عند تسليمه رئاسة الوزراء على نفي مراجع الدين لمجرد إصدارهم فتاوى تحرم المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي في العراق عام ١٩٢٣م.([١])

ومع ذلك استمرت فتاوى علماء الدين المعارضة للانتخابات وكان يتم نسخها في مدرسة (الخالصي) وتلصق على ابواب مرقد الامام موسى الكاظم (عليه السلام) في منطقة الكاظمية وقد اتصل (مهدي الخالصي) بالحوزة العلمية في النجف الاشرف واخبرهم أن الحكومة استخدمت الشدة وانها اخذت اولاده وسجنتهم ويرجو اتخاذ التدابير اللازمة. اما المراسلات كانت مستمرة بين حوزة النجف والشيخ مهدي الخالصي لغرض اطلاع الحوزة العلمية في النجف على اخبار الكاظمية وبغداد، بعدها نفي الخالصي إلى عدن وتولى مدير شرطة كربلاء، في الاول من تموز قضية تسفير المجتهدين الذين يحملون الجنسية الايرانية، والبالغ عددهم تسعة، وكان يصحبهم ٢٥ رجلاً من اتباعهم، وقد ارسلوا جميعًا في سيارات تحت حراسة مشددة من الشرطة، وفي صباح اليوم التالي وصلوا بغداد ثم غادروها بواسطة قطار خاص إلى (خانقين) ومنها إلى ايران.لقد كان نفي علماء الحوزة العلمية ضربة موجعة وجهت إلى التحرك الاسلامي في العراق ضد الانتخابات،([٢])

١ـ المصدر نفسه، ص٢٠١.
٢ـ المصدر نفسه، ص

يعلل الدكتور علي الوردي ضعف فاعلية المعارضة التي تاسست عام ١٩٢٢م إلى عاملين اثنين هما:

اولا: حداثة التجربة الحزبية. وسوء فهم الحرية التي تدعو اليها الحضارة الحديثة.

ثانيا: انها اسست احزاب كانت تستند إلى دعم شخصي فاحدها مدعوم من (حسن الصدر)، أما الثاني مدعوم من مهدي الخالصي وقد انسحبت العلاقات الشخصية بين الشخصيتين المذكورتين على تاسيس الحزبين.

يعتبر الوردي ان هذه هي اسباب ضعف اداء تجربة التعددية، حيث التنافس يمتد إلى حد التطرف والعنف.([1])

الانتخابات بعد ٢٠٠٣

الملاحظ هو تبادل الادوار بين الشيعة والسنة في تحريم الانتخابات والمشاركة فيها، ففي ١٩٢٣م كان الرافض عبر الفتوى هم علماء الشيعة والواضح من الفتاوى انها لم تكن تحث على طائفية أو عشائرية أو جهوية، بل كانت موجهة للجميع ويبدو من مضامينها وضوح البعد الوطني والتزم بها المسيحيين كافة وقد تبعها فعلا الجميع ممن يؤمن بحجتها، اما بعد عام ٢٠٠٣م فأن الرافض للانتخابات هم علماء الدين السنة وعبر فتاواهم كما سنأتي لاحقا.. غير ان المختصين برروا ذلك بوجود تشوهات سياسية حيث ان مشروع بناء الدولة يمثل هيكل سياسي متمدن بحشوة غير متمدنة بسبب اعتماد

١ـ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٨٨ ــ ٢٩٨.

معايير سياسية غير متمدنة (طائفية دينية - تعصبية قومية - اجتماعية عشائرية) في بلاد تنتقل من الحريات المعدومة إلى الحريات المتوحشة.(1)

تعتبر الديمقراطية النظام الاكثر تعارضا مع الاستبداد(2) والفتوى تعد نوع من انواع الاستبداد لما فيها من الزام، فهل الفتوى من مشكلات سوء الاستخدام المنافية للديمقراطية، وما هي الضمانات المانعة لعودة نظام الاستبداد بحلة جديدة؟

فتاوى ما بعد عام ٢٠٠٣

فتاوى الشيعة:

توجيهات السيد (علي السيستاني) المرجع الديني الاعلى بالمشاركة في الانتخابات اعتبرت في نظر الكثير من العامة فتوى ملزمة، وهو دليل قوي على سلطة رجال الدين وتدخلهم في العملية السياسية.

في إيران القرار بيد الولي الفقيه، أما في (حوزة النجف) فإن هناك مراجع عدة ولكل منهم رأي، دون إغفال الثقل الخاص الذي يمثله السيدعلي السيستاني على الصعيد العام.

بسم الله الرحمن الرحيم

تشرفت بعض وفود المناطق العراقية بلقاء سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) في يوم الجمعة المصادف ٣١/

١- مقالة رشيد خيون http://www.aawsat.com.
*** جاء ذلك خلال استقباله لمجموعة من طلبة العلوم الدينية في مكتبه في النجف الاشرف.**
٢- عامر حسن فياض، افكار في بناء الدولة الحديثة، دورية صادرة عن مؤسسة مدارك، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٥.

كـانون الاول / ٢٠٠٤م الموافـق ١٨/ ذو القعـدة ١٤٢٥هـ وكـان مـن جملـة الوفود وفد مدينة الصدر وبعد الاطمئنان على سلامة وصحة السيد تفضل نجله سماحة السيد محمد رضا بتوضيح توجيهات سماحة المرجع الاعلى حول الأمر الهام الا وهو الانتخابات وكانت هنالك جملة توصيات منها:

١- ضرورة بذل الجهود الكبيرة في حث المواطنين على المشاركة الواسعة والفعالة في الانتخابات من اجل تشكيل الجمعية الوطنية.

٢- اهتمام المرجعية العليا لايتعلق بتشكيل الحكومة الانتقالية وإنما بكتابة الدستور الدائم لأن فيه ضمانًا لحقوق الشعب العراقي لعقود من الزمن وتؤكد المرجعية العليا على امرين هامين يجب الاشارة اليهما في الدستور.

أ. الاسلام دين الدولة ولا يجوز تشريع أي قانون يخالف ثوابت الدين الحنيف.

ب. أن تكون حقوق جميع العراقيين متساوية بغض النظر عن الدين والطائفية والعرق.

٣- قائمة الائتلاف العراقي الموحد التي تحمل الرقم (١٦٩) والتي رمزها (شمعة) تحظى بقبول ومباركة المرجعية العليا لتكون هذه القائمة يراهن عليها لتثبيت اساسيات الدين الاسلامي في الدستور.

٤- التأكيد على ضرورة الانتباه لتلافي هدر الأصوات الناتجة في حالة التصويت للقوائم المنفردة والضعيفة حتى وأن تضمنت عناصر جيدة.

٥- ان المرجعية هي أب للجميع وترعى الجميع ومباركتها للقائمة(١٦٩) لأنها ترى المصلحة في التصويت لهذه القائمة وهذه المباركة لاتعارض ابوتها بل تؤكد رعايتها لحقوق جميع العراقيين وفق رؤيتها الصحيحة بأذنه تعالى.

٦- تؤكد المرجعية العليا على أن قائمة الائتلاف العراقي الموحد تضم شخصيات وطنية شريفة لاتتبع اي جهة خارجية على الرغم مما يشاع حولها فهم شخصيات ملتزمة بمصلحة العراق وشعبه اولًا وآخرًا وملتزمون بأن يكون العراق سيد نفسه ويرفضون اي تدخل بالشأن العراقي من اي جهة خارجية وخصوصًا دول الجوار.

٧- اوجب سماحته على فتح المجال الواسع امام مشاركة المرأة في الانتخابات ولايجوز منعها من تأدية هذا الواجب اي طرف كان وأن كان الزوج أو الأب كما جاء في الحديث الشريف (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق).

٨- يؤكد سماحة المرجع الاعلى على عدم تأجيل الانتخابات وذلك لعدم وجود طرح عقلاني أو منطقي يمكن التعامل معه بحجة

توسيع دائرة المشاركة بل العكس فأن التأجيل لن يزيد الوضع الا سوءًا وخصوصًا الوضع الأمني.

٩- يؤكد سماحة السيد بأن المرجعية لاتدعم اي قائمة من قوائم انتخابات مجالس المحافظات لأنها تعني بالأمور الأدارية فقط ودعم المرجعية للقائمة (١٦٩) في انتخابات الجمعية الوطنية لخطورة الأمر الملقى على عاتق هذه الجمعية في صياغة الدستور الدائم للبلاد حيث تضم شخصيات مؤهلة لحمل هذا الأمر ويراهن عليهم في جعل العراق للعراقيين.

١٠- وأخيرًا أكد سماحة السيد على ضرورة التآخي والتآلف بين جميع العراقيين والدعوة إلى نبذ الخلافات من اجل المصلحة العليا للبلاد التزامًا بالنهج الذي رسمه اهل بيت النبوة سلام الله عليهم.

وفد من أهالي مدينة الصدر

جند المرجعية لدعم قائمة الائتلاف العراقي الموحد

فتاوى رجال الدين السنة:

بعد عام ٢٠٠٣م، اعلن علماء السنُّة عن تشكيل هيئة علماء المسلمين، وهي هيئة استحدثت لحماية المذهب السني ولم تكن الحاجة اليها طوال فترة تاسيس الدولة العراقية، لأن المذهب الرسمي للدولة كان يكفي لحمايتهم في ظل الانظمة المتعاقبة. جاء ذلك التاسيس متزامنًا مع الإعلان عن مجلس الحكم والحاجة لرجل دين سني يمثل المكون، حيث التخوف من تصريحات شيعية بسلطة كاملة على المشهد السياسي، رافقتها هيمنة حزبية شيعية وكثافة في

الشعائر الحسينية ومجالس العزاء؛ مما اخل بالصورة النمطية المتعارف عليها للمجتمع، مع تصريحات وممارسات إيرانية. كل هذا دفع الطرف الآخر إلى إعلان الموقف السلبي من الانتخابات ومن النظام السياسي العراقي. لكن كان هنالك من السنُّة لم يتبعوا (هيئة العلماء)، فاشتركوا في مجلس الحكم ثم مجلس الوزراء والمجلس الوطني، ولم يجمعوا على مقاطعة الانتخابات، أو حتى المطالبة بتأجيلها.([١])

وكان الشيخ حارث سليمان الضاريالأمين العام لهيئة علماء المسلمين. أشد المعارضين للعملية السياسية الحالية في العراق وقد افتى بتحريم المشاركة في الانتخابات وهي الفتوى التي حرَمت المشاركة في الانتخابات التشريعية الأولى عام ٢٠٠٥م. وتبين وفق محللين سياسيين عدم جدواها لتسببها في شق صف المسلمين وتردد المواطن بالإقبال على الانتخابات

اما العملية السياسية فعليا في العراق بعد ٢٠٠٣م شهدت موقفا مشابها في انتخابات ٢٠٠٥م بعد فتاوى هيئة علماء المسلمين بتحريم الانتخابات والمشاركة فيها والتي ادت إلى ضعف كبير في مشاركة العرب السنة ونسب تمثيلهم بالبرلمان الذي يعد احد اهم اركان العملية السياسية في العراق الجديد، فضلا عن ذلك فأنها انعكست ايضا على نسبة التمثيل في المجاميع الحكومية.

وكانت الآراء قد اختلفت بين ابناء المكون السني مما تكشف عن عدم وجود مرجعية موحدة معتد بها لدى اغلبية جمهور السنة الذي قادته فتوى سابقة لحارث الضاري إلى مقاطعة الانتخابات العامة التي جرت في العراق عام

١ـ سلام الشماع، من وحي الثمانين، ص١١٢.

٢٠٠٥م. وان غالبية مراجع اهل السنة في العراق على يقين من ان الاستمرار في العملية السياسية سيجلب المزيد من الكوارث لاهل السنة، فضلا عن وصول مراجع اهل السنة في العراق إلى قناعة مفادها ان العملية السياسية وصلت إلى طريق مسدود.

في حين ان كانت جهات سياسية ودينية «سنّية» أكدت في أكثر من مناسبة أن هناك جهات تسعى لمنع «أهل السنّة» من المشاركة في الإنتخابات عبر إشاعة الفوضى في المناطق السنّية، فضلًا بغية تحجيم دور أهل السنة في العراق.

دعت جماعة علماء العراق، علماء السنة في البلاد إلى اتخاذ موقف موحد وصريح تجاه الانتخابات البرلمانية المقبلة في العراق. وقالت الجماعة في بيان: على علماء ورجال الدين السنة في البلاد أن يجاهروا بإعلان موقفهم الصريح والنهائي في الانتخابات، بدلا عن المواقف الفردية التي تشتت الانتباه وتشق الصف ولا تخدم البلاد أو ترتقي بالروح الوطنية للمواطنين. وان التشتت سيكون له مردود سلبي على مستقبل ابناء الوطن.

فتاوى ٢٠١٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفتوى منقولة من شبكة الأصالة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٨/٩/٤م

فتوى في انتخابات العراق القادمة...

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد كَثُرَت الاتصالاتُ، والأسئلةُ، والاستفسارات الواردة إلينا في مركز الإمام الألباني بشأن بيان الحكم الشرعي المتعلِّق بالمشاركة في الانتخابات العراقية؛ لِما لذلك من صِلَة ب(السنة) ونُصرتِها (خصوصا)، وصلاح العراق وتعميرهِ (عموما)؛. وجوابا على ذلك نقول وبالله التوفيق:

لا يخفى على ذي نظرٍ ما تعانيه الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ من واقعٍ مَريرٍ أليمٍ مُؤْذٍ. وليس البلاءُ كلُّه في هذا مِن جهةِ أعدائها كما قد يُظَنُّ؛ فالله تعالى يقول:

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}. [الشورى:٣٠]

ويقول سبحانة:

{قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ}.[آل عمران:١٦٥].

ولعلَّ مِن أعظمِ البلاءِ الذي لَم يَنْفَكَّ عن حالِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ مُنْذُ عقودٍ مَا يجري على أرضِ (العراقِ) مِن فتنٍ ومصائبَ؛ كان آخرَها نُزول القوات الأجنبيّة فيه، وإعانةُ أهل الباطل لهم. ولقد كانت لنا في (مركزِ الإمامِ الألباني) على المستوى الشخصي والعام مِن قبل ومِن بعد فتاوى متعددة في استنكارِ وتحريمِ ما جرى ولا يزال يجري في العراقِ مِنَ انتهاكِ القوَّات الأجنبيَة الصارِم، نَاهِيكَ عمَّا يَقع مِن تقتيل وتفجير أعمى لا يفرق بين مسلم وغيرِ مسلم، بين صغير وكبيرٍ، ومسالمٍ ومُحاربٍ، بين ذكرٍ وأنثى...كلُ ذلك باسْمِ الإسلام والمسلمين!

وقد أفَرزَت الانتخابات السابقةُ التي جَرت في العراقِ (سنة ٢٠٠٥م) إضعافَ دور (السنة) في العراق؛ مما فرق كلمتهم، وأفقدَهم وُجودَهم، وجَعَلَ كلمةَ مَنْ دونَهم فوقَهم!!

والنّاظرُ في قولِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ مِن جُحْرٍ مَرَّتَيْن»،وقولِ الصحابيِّ الجليلِ عبدِ الله بنِ مسعود:

«السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِه»

يلزمة أن ينظرَ في الحال المشهود، ويُقارنَه بالمصالحِ والمفاسدِ بحَسَبِ ما يترجَّحُ له مِنَ الأدلةِ الشَّرعيَّةِ، وتطبيقاتِها الواقعيَّةِ، ليكونَ منه بعدُ بيانٌ شرعيٌّ حاسمٌ يؤكِّدُ فيه لزومَ مُشاركةِ (السُّنَّةِ) في الانتخاباتِ العراقيَّةِ القادمة قريباً بسببِ خصوصيَّةِ وَضْعِ (العراقِ)، وأحوالِها الطائفيَّةِ، وظروفِهَا السياسيَّةِ؛ مِمَّا سيكونُ له - بإذنِ الله- فيما نرجو- الأثرُ البالغ في رَفْعِ لواءِ (السُّنَّةِ)، وجَمْعِ كلمتِهم، وتأثيرِهم الإيجابيِّ في بلادِهم. مع النَّظَرِ إلى واقع كلِّ محافظةٍ بحسب ظروفها- وَرَحِمَ اللهُ مَن قال مِن عُلمائنا:

«ليس الفقيهُ الذي يَعرفُ الخيرَ مِن الشرِّ،ولكنَّ الفقيهَ الذي يَعْرِفُ خيرَ الخَيْرَيْنِ، وشرَّ الشَّرَّيْنِ»:

فالخيرُ الذي نراهُ جميعاً (جَلْباً)، والشرُّ الذي نراهُ جميعاً(دفعاً): أنْ يجتهدَ (السُّنَّة) في المشاركةِ الانتخابية الآتيةِ بإخلاصٍ وصِدْقٍ، وأُلْفَةٍ واجتماعِ كلمةٍ- لتظهرَ كلمتُهم، وتُكْبَتَ كلمةُ مُناوِئيهِمْ مِمَّن يُعادونَهُم - سياسةً وعقيدةً، وتاريخاً مشهوداً مشهوراً لا يُنكَرُ-. بهذا نُوصي عُمومَ إخوانِنا مِنْ (السُّنَّةِ) مِن العامَّةِ والخَاصَّةِ... أمَّا خُصوصُ طلبةِ العلمِ -مِن الدُّعاة، والأئمة، وأهل الفُتيا والوَعظِ

-مِن أهل السنة-: فنصيحتُنا لهم أن يَبْقَوْا في إطارِهم الذي بوَّأهم اللهُ إيَّاهُ - بعيدًا عن المناكَفات السياسية، والمُناقَضات الحزبيَّة؛ مع النُّصحِ والتوجيه (العامّ) باختيار الشخص الأكثر مصلحةً للدنيا والدين، والأقلّ مفسدةً على الإسلام والمسلمين.

واللهُ وليُّ التوفيق.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا الأمين، وعلى آلهِ الصادقين،

وعلى خُلفائِه الراشدين، وأُمَّهاتِ المؤمنين، وبقيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرِين، والصَّحابةِ أجمعين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

لجنة الفتوى في (مركز الإمام الألباني)

فتاوى انتخابات ٢٠١٤ (٣٠ /٤/ ٢٠١٤)

تمثل انتخابات ٢٠١٤ لحظة تاريخية مهمة في تاريخ العراق وهي تزدحم بالأزمات والمشاكل السياسية والأمنية والأقتصادية وسط تحولات وعواصف إقليمية شديدة ولا سيما الأزمة في سوريا وتأثيراتها على المنطقةوقدازدحمت بالفتاوى والاراء والتوقعات ومن هذه الفتاوى:

الشيخ عبدالملك السعدي

وكان الشيخ عبد الملك السعدي، قال في تصريح صحفي انه لايعترف ب«شرعية الانتخابات ولن انتخب أو ادعم قائمة أو فردا ولا احث على انتخاب أحد».

تداول لدى البعض اعتمادا على جهات اعلامية خبرا، بأن الشيخ د. عبدالملك السعدي، سيصدر فتوى عن تحريم المشاركة في الانتخابات، أو تحريم إعادة إنتخاب من سبق أن تم إنتخابهم في الدورات السابقة، إلا أنه مرت الأيام ولم تصدر هكذا فتوى، في حين قام شقيقه الشيخ عبدالحكيم السعدي بإصدار فتوى من مقر إقامته بالدوحة بتحريم المشاركة في انتخابات ٢٠١٤ لأن هذه الإنتخابات لا تختلف عن سابقاتها لاشكلا ولا مضمونا، ويَحرم انتخاب كل من ساهم في دخول المحتل وكل من أقرّ دستور الاحتلال، وكل من تعاون مع ايران.

لكن بشكل مفاجئ ظهرت فتوى الشيخ عبد الملك السعدي التي يحرّم فيها المشاركة بهذه الانتخابات على المنتخَب والمنتخِب وهذا هو نص الفتوى:

سماحة عبدالملك عبدالرحمن السعدي

يفتي صراحة بتحريم المشاركة في الانتخابات على الناخب والمُرشَّح

بيان رقم (٤١) الموقف النهائي والحاسم في الانتخابات البرلمانية المقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه.

أمَّا بعد: فإلحاقا ببياننا رقم (٣٦) والذي وضَّحنا فيه مدى مساوئ الانتخابات ومدى ما يترتب عليها من مفاسد عظيمة أكثر من مصالحها وذكرنا فيه الحذر من انتخاب المشاركين سابقا في الدورتين السابقتين؛ لأنَّهم لم يُقدِّموا للعراقيِّين أيَّ خير يرجونه منهم بعد انتخابهم، بل من باب {لا يُلدغ المسلم من جُحر واحد مرَّتين} أو من المثل «من جرَّب المُجرَّب حلَّت به الندامة»، ولم يجنِ العراق منهم إلاَّ الدمار، والحرب، والقتل، والاعدامات، والمداهمات، وهتك الأعراض، ونهب الأموال.

وبناءً على ما جرى في هذا اليوم في الانتخابات الخاصة في القوات الأمنية والسجون والمستشفيات من خروقات وتزوير وتهديد وضغط على المُنتَخِبين إلاَّ أن يُصَوِّتوا لشخصٍ بعينه أو لكيانٍ بعينه فإنِّي أرى أنَّ المُشاركة لا تعدو أن تكون تأييدا للحالة السياسية التي ستقوم على الظلم والتزوير:

لذا فإنِّي أقولها صراحة قد أصبحت المُشاركة في الانتخابات مُحَرَّمة على المُنتَخِب والمُنْتَخَب عكس ما نُسِبَ إليَّ أني جوَّزتُ ذلك.

ويكفي السياسيين ما يجري على الأنبار وديالى وغيرهما من قتل وتدمير وإرهاب، والسياسيون ما بين مؤيِّدٍ وما بين صامت.

أرجو الله أن يحفظ العراق من شر الأشرار ومن كيد الكائدين.

إنَّه سميع مُجيب،،،

مجلس علماء العراق..

وقد دعا مجلس علماء العراق وهو أعلى هيئة شرعية لفقهاء السنة ناخبي مكونهم إلى اختيار المرشح الذي ينطبق برنامجه الانتخابي «مع مشروع الاقليم لخلاص أهل السنة في العراق من الظلم والتهميش والتمييز الطائفي».. وحذر من انتخاب من وقف في صف الظالم وأشتهر بالفساد. وطالب المجلس الذي يتراسه الشيخ عبدالعزيز العاني عقب اجتماع لامانته العامة وفروعه في المحافظات العراقية أهل السنة إلى النفير العام، لنصرة المظلومين واحداث التغيير من خلال المشاركة الفعالة في الانتخابات لاثبات هويتهم ووجودهم وتحصيل حقوقهم.

وفيما يلي نص فتوى مجلس علماء العراق:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ». [الرعد:١١]

في خضم الاحداث المتتالية والجرائم البشعة التي يتعرض لها أهل السنة في العراق من الاعتقال، والاغتيال، والتهجير، وهدم المساجد واحراقها، وقتل علمائها، ومصليها، وأغتصاب الاموال، والاراضي، والمساجد... فضلا عن قصف المدنيين وتهجير مئات الالآف من اهلنا في الانبار، وديالى، وحزام بغداد. كل ذلك وغيره من جرائم التطهير الطائفي الذي يهدف إلى سلخ العراق من هويته التاريخية وتفكيك نسيجه الاجتماعي لذا اصبح من حق أهلنا ان يدافعوا عن انفسهم بكل الوسائل الممكنة لاحداث التغيير ومحاربة الظلم والفساد.

وقد اجتمع مجلس علماء العراق بأمانته العامة وفروعه وقرر ما يأتي:

١. دعوة أهل السنة إلى النفير العام لنصرة المظلومين واحداث التغيير من خلال المشاركة الفعالة في الانتخابات التشريعية القادمة لاثبات هويتهم ووجودهم وتحصيل حقوقهم ويؤكد على أن خيار الانتخابات لايتعارض مع أي خيار آخر يدافع عن الدين والعرض.

٢. على الناخب اختيار المرشح الذي ينطبق برنامجه الانتخابي مع مشروع الاقليم لخلاص أهل السنة في العراق من الظلم، والتهميش، والتمييز الطائفي.. ونحذر من انتخاب من وقف في صف الظالم وأشتهر بالفساد.

الوقف السني

اكد رئيس ديوان الوقف السني وكالة محمود الصميدعي ان الديوان ينأى بنفسه عن التدخل في الشؤون السياسية ولكنه يساندها من خلال الدعوة إلى المشاركة الفاعلة في الانتخابات. مطالبا السياسيين بوقف خلافاتهم والعودة إلى منهج التعاون والتآخي والتآلف من اجل وحدة هذا البلد.

الشيخ احمد الكبيسي

و صرَّح الشيخ الدكتور أحمد الكبيسي قبل الانتخابات بيوم (٢٩نيسان ٢٠١٤م): إن الانتخابات فرض عين كالصلاة والصيام ومن لا ينتخب كأنما قتل شعبا.

وترددت اخبار عن صدور فتوى مشتركة من كل من الشيخ العلامة (عبد الملك السعدي) ومفتي الديار العراقية الشيخ (رافع الرفاعي) وزعيم هيئة

علماء المسلمين في العراق (حارث الضاري) ستحرم على اهل السنة في العراق المشاركة في انتخابات مجلس النواب، فضلا عن الدعوة إلى انتهاج سبيل المقاومة للدفاع عن حقوق السنة في العراق.

غير أن فتوى الدكتور رافع الرفاعي صدرت لتحث على المشاركة في الانتخابات عكس فتوى الشيخ السعدي.

فقد أصدر (مفتي الديار العراقية) الشيخ د. رافع الرفاعي فتوى بوجوب المشاركة الواسعة في الانتخابات. داعيا «أهل السنة» للمشاركة الفاعلة في الانتخابات البرلمانية المقبلة، مشيراً إلى أن الذهاب للانتخابات سيغيّر (الوجوه الكالحة والمفسدين) الذي جلبوا الشر للعراقيين

لأن كل صوت هو واجب وحق، والادلاء بالأصوات مرضاة لله في اختيار الأصلح والأفضل. ووجه بوجوب المشاركة بالانتخابات، وقال في فتوى له، إن المشاركة في الانتخابات (أمر لا بد منه)، مشددًا على أن اختيار المواطن ينبغي أن «يوجه صوب الشخص الذي تتوافر فيه الشجاعة والاخلاص والأمانة والتأهيل والحرص على استحصال حقوق الناس».

ونظم علماء الدين في محافظة (نينوى) مؤتمرا في قاعة الوقف بمدينة الموصل، حضره نحو ٢٠٠ من علماء الدين وأئمة وخطباء الجوامع بالمحافظة إن «المؤتمر عرض فتاوى مفتي الديار العراقية ورئيس المجمع الفقهي العراقي ومجلس علماء العراق»، مشيراً إلى أن «فتاوى المراجع الثلاثة حثت الناخبين على وجوب الذهاب إلى الانتخابات وقطع الطريق أمام الفاسدين

والمزورين وتفويت الفرصة امام المتصيدين في الماء العكر والعازمين على تزوير الانتخابات ومصادرة أصوات الناخبين».

وعن انتخابات ٢٠١٤، قال الشيخ الضاري: «أن الانتخابات ستكون شكلية والمقاعد وزعها الأميركيون على القوى الحليفة لهم التي ستمدد العمل بالاتفاقية الأمنية، لذلك لا يعول أحد على الانتخابات ولا يجب الالتفات إليها إعلاميا ولا عربيا».

الشيخ مهدي الصميدعي

اعتبر الشيخ مهدي الصميدعي الامين العام للهيئة العليا للدعوة والإرشاد والفتوى لأهل السنة والجماعة في العراق، إن من غير المناسب الدخول في الانتخابات ٢٠١٤ أو حث الناس للدخول فيها طالما أنها قائمة على اساس المحاصصة والطائفية.

فتاوى رجال الدين الشيعة في الانتخابات العراقية ٢٠١٤

المراجع الكبار للشيعة والذين يمثلون الحوزة في النجف الاشرف همالمراجع الثلاثة المعروفين إلى جانب السيد علي السيستاني، هم السيد محمد سعيد الحكيم والسيد إسحاق الفياض والسيد بشير النجفي.

اية الله العظمى السيد علي السيستاني

دعا المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني، يوم ٢٠١٤/٥/١٤م، إلى ضرورة المشاركة بالانتخابات البرلمانية المقبلة واختيار «الصالح الكفء»، فيما نفى دعمه لأية قائمة، مؤكدا عدم جواز بيع البطاقة الالكترونية. وقال

مكتب السيد السيستاني في رد على استفتاء وجه إليه بشأن الانتخابات المقبلة: «المرجع لا يدعم اية قائمة أو مرشح وليس معنى كونه على مسافة واحدة من الجميع هو انه يساوي بين الصالح والطالح، اي بين من بذل ما يستطيع في خدمة الناس ومكافحة الفساد وبين من لم يعمل إلا لمصلحة نفسه وجماعته». وأضاف المكتب أن السيد السيستاني لا يدعم اياً من المشاركين في الانتخابات، مشدداً على أن: «مسؤولية الاختيار انما هي على الناخب نفسه فليحسن الاختيار لكي لا يندم لاحقاً». من جانب آخر، دعا وعبر وكلائه المنتشرين في المحافظات الشيعية بضرورة المشاركة الواسعة في الانتخابات على ان يكون اختياره يستند إلى الضوابط والاسس التالية:

الاساس الاول: توفر عنصر الكفاءة وحسن الادارة والاداء.

الاساس الثاني: توفر عنصر الصلاح والنزاهة

وشددت نصائح السيستاني على اهمية التغيير بما يسهم في تغيير الاوضاع التي يعيشها العراق خاصة في الجوانب الامنية، لانهاء العنف في البلاد وايقاف سيل دماء الابرياء فضلا عن انهاء الطائفية التي تهدد النسيج الوطني والسياسية، لتوحيد المواقف السياسية التي تباعدت في المرحلة الماضية على خلفيات طائفية واثنية واقتصادية، للاستفادة من الموارد الكبيرة للعراق ووضع الخطط التنموية للنهوض بالاقتصاد وتوفير حياة كريمة للعراقيين والارتقاء بالقطاعات الزراعية والصناعية فضلا عن إنهاء الفساد المالي والاداري ودعت الاوراق الصادرة من مكتب المرجع الديني الناخبين إلى عدم التصويت للقوائم والاشخاص الذين رشحوا سابقا ولم يراعوا الصالح العام وبخاصة

المتورطين في قضايا الفساد المالي والاداري وسوء استغلال السلطة وعدم منح القضاء فرصته في محاسبة الفاسدين ومعاقبتهم من أجل التغيير واصلاح اوضاع العراقيين، واعتبرها فرصة عظيمة للتغيير.

العلامة احمد الصافي

دعت المرجعية ممثلة بآية الله السيد علي السيستاني المرشحين إلى الانتخابات البرلمانية المقبلة، إلى التنحي عن ترشحهم، في حال عدم قدرتهم على إحداث التغيير المطلوب في البلاد، وحل الأزمات التي يعانيها المواطنون..

السيد أحمد الصافي معتمد السيد السيستاني خلال خطبة الجمعة:

ان المرشحين إلى الانتخابات البرلمانية العامة، قد تقدموا بهذا الترشح إلى موقع خطير هو مجلس النواب الذي تقع عليه مسؤوليات في التشريع ورسم سياسات البلد وحل ازماته. وتساءل قائلا «هل ان المرشحين للانتخابات فعلا هم على مستوى تحمل هذه المسؤولية الكبيرة الجسيمة وهي عبارة عن نيابته عن جماعة من الناس ضمن تعاقد ضمني بتخويله الحفاظ على مصالح الناس والدفاع عنها والحفاظ على مصالح العراق وثرواته وسيادته وتقديم الخدمات إلى المواطنين؟». واشار إلى ان بعض المرشحين اناس طيبون لكنهم لايستطيعون النهوض بالمسؤولية التي ستلقى على كاهلهم في حال فوزهم في الانتخابات لان عضوية البرلمان ليست نزهة فهو من أهم المؤسسات لبناء الدولة شدد المكتب على أن المرجع الديني «يؤكد عدم جواز بيع بطاقة الناخب

الإلكترونية وقيام بعض المرشحين بتوزيع بعض الهدايا على المواطنين أو تقديم الخدمات لهم مشترطًا عليهم التصويت».

ويعتقد محللون سياسيون ان دعوات مرجعية النجف الشيعية إلى التغيير وحث الناخبين على التصويت للاحسن وغير الوجوه المتورطة بالفساد، باتت تقلق المالكي وتحرجه أمام الجمهور الشيعي، الذي يعول عليه كثيرا في الحصول على نتائج جيدة في الانتخابات.



From: [mailto: @yahoo.com]
Sent: 22/Feb/2014 2:04 PM
To: مكتب السيد السيستاني (دام ظله) ، قسم الاستفتاءات
Subject: الموقف من المرشحين والكتل في الانتخابات

الاسم:
البريد الإلكتروني: @yahoo.com
الدولة: العراق - بغداد
الجنس: ذكر
رقم الاستفتاء: ١٥٣٣٣١
الموضوع: الموقف من المرشحين والكتل في الانتخابات

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لقد اكدت المرجعية الدينية بزعامة الامام السيد السيستاني "ادام الله ظله الوارف" على لسان الشيخ الكربلائي والسيد الصافي قبل الانتخابات الماضية بان المرجعية الدينية تقف على مسافة واحدة من الجميع . هل هذا يعني انها على نفس المسافة بين من صوت للفقرة "٣٨" سيئة الصيت من قانون التقاعد وبين من لم يصوت عليها و من ادى واجبه كنائب و من لم يؤده ؟
وهل تقف المرجعية على نفس المسافة بين المسؤول الذي فشل في ادارة الملفات المنوطة به من الملف الامني او الاقتصادي او الخدمي او السياسي وبين من لم يثبت بحقه اي تقصير ولم يقصر في واجبه ؟
علما" ان موقف المسافة الواحدة من الجميع الذي تتبناه المرجعية الدينية العليا يحاول الانتهازيون والفاشلون والمقصرون خداع الناس بانها راضية عنهم .
افتونا وفقكم الله لمراضيه بمحمد واله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ان سماحة السيد دام ظله يحث المواطنين على المشاركة في الانتخابات واختيار الصالح الكفوء ولا يدعم أية قائمة او مرشح بخصوصه ، وليس معنى كونه على مسافة واحدة من الجميع هو انه يساوي بين الصالح والطالح اي بين من يبذل ما يستطيع في خدمة الناس ومكافحة الفساد وبين من لم يعمل الا لمصلحة نفسه وجماعته و... بل معناه انه لا يدعم أياً من المشاركين في الانتخابات ، فمسؤولية الاختيار انما هي على الناخب نفسه ، فليحسن الاختيار لكيلا يندم لاحقاً .
٢/٢٣
١٤٣٥

أما فتوى المشاركة في الانتخابات فكانت سؤالًا تم الاجابة عليه وكما يلي نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد السيستاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مع اقتراب موعد انتخابات مجلس النواب هناك تساؤلات في الشارع العراقي عن مدى الجدوى في المشاركة في هذه الانتخابات بعد ما لوحظ من ان الانتخابات الماضية لم تسفر عما يحقق آمال الناس ولم يكن الكثير من اعضاء مجلس النواب والمسؤولين الحكوميين بمستوى المسؤولية التي عهدت اليهم. وهناك تساؤلات ايضا عن موقف المرجعية العليا ازاء القوائم المشاركة في الانتخابات. يرجى التوضيح والارشاد. وشكرا. (جمع من المواطنين)

بسمه تعالى

١- ان الانتخابات النيابية تحظى باهمية كبرى ولاسيما في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العراق العزيز، وهي المدخل الوحيد لتحقيق ما يطمح اليه الجميع من تحسين اداء السلطتين التشريعية (مجلس النواب) والتنفيذية (الحكومة).

ومن هنا فان سماحة السيد (دام ظله) يرى ضرورة أن يشارك فيها جميع المواطنين من الرجال والنساء الحريصين على مستقبل هذا البلد وبنائه وفق أسس العدالة والمساواة بين جميع ابنائه في الحقوق والواجبات، مؤكدا على ان

العزوف عن المشاركة لأي سبب كان؛ سيمنح الفرصة للاخرين في تحقيق مآربهم غير المشروعة ولات حين مندم.

٢- ان المرجعية الدينية العليا في الوقت الذي تؤكد على عدم تبنيها لأية جهة مشاركة في الانتخابات فانها تشدد على ضرورة ان يختار الناخب من القوائم المشاركة ما هي افضلها واحرصها على مصالح العراق في حاضرة ومستقبله واقدرها على تحقيق ما يطمح اليه شعبه الكريم من الاستقرار والتقدم، ويختار ايضا من المرشحين في القائمة من يتصف بالكفاءة والامانة والالتزام بثوابت الشعب العراقي وقيمه الاصيلة.

وفقّ الله الجميع لما يحب ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مكتب السيد السيستاني دام ظله - النجف الاشرف. ٢ ربيع الاول ١٤٣١هـ..

٢ربيع الاول ١٤٣١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ايـة الله العظمـى بشير النجفـي وبدايـة صراع بين المراجع الكبار

المرجع الديني في مدينة النجف آية الله العظمى بشير النجفي اصدر فتوى صريحة بتحريم انتخاب رئيس الوزراء العراقي وزعيم ائتلاف دولة القانون نوري المالكي في الانتخابات البرلمانية ٢٠١٤، حيث قال النجفي في حديث مسجل لمجموعة من طلبته ومقلديه، في شريط فيديو اعلن فيه تزامنًا مع اعلان السيستاني التغيير قائلا: عليكم بتغير الوجوه التي لم تقدم خيراً للبلاد «لا يجوز لك انتخابه حتى لو ضغطوا عليك فأقسمت على ذلك». وأضاف «ان ديننا ودينكم ووطنا ووطنكم وضميرنا وضميركم يجبرنا بدلا من ذلك على انتخاب الكفوء الصادق الامين من غير الذين ضحكوا عليكم في الانتخابات السابقة». وشدد النجفي على ان جميع العقلاء في العراق متفقين الان على ضرورة التغيير وهو مايعني عدم ابقاء الحكام الحاليين على كراسيهم. ودعم كلامه بضرورة التغيير قائلا: «انتخبوا عمار الحكيم فهو ابني وابن المرجعية واذا كان في قائمته من لايعجبكم فأنتخبوا غيره لكن لاتخرجوا عن قائمته». وشدد بالقول سنقف ضد كل حاكم اذا مشى بشكل معوج واذا ظلم الشعب... وأبشركم ان الله يريد ان يكون العراق سيد العالم.

وقال: كنا نأمل في وقف نزيف الدم والحفاظ على الارواح والاعراض والاملاك العامة والخاصة، ويعيش العراقيون بأمان، لكنّ شيئًا من هذا لم يتحقق بعد ١١ عاماً من رحيل صدام. وقال ايضًا: إنه يسقط يوميًا في ظل وجود حكومة العراق الحالية المئات من القتلى، إضافة إلى أنّ ٣٠ بالمئة من

العراقيين يعيشون تحت خط الفقر وتنتشر بينهم البطالة والغلاء بالرغم من موازنة العراق العالية التي تعادل قيمتها موازنات اربع دول في المنطقة.

وتساءل قائلاً: اين تذهب اموال العراق واثمان ملايين براميل النفط التي تصدر يوميا؟.



جهات مقربة من المرجعية قالت ان مكتب المرجع السيستاني رفض وساطات من أطراف عدة من حزب الدعوة لإصدار بيان ينفي به المرجع الأعلى علاقته ببيانات الشيخ بشير النجفي بالضد من المالكي. وقالت المصادر أن مكتب السيستاني نصح الوسطاء بعدم التطاول على النجفي وإلا ستتخذ المرجعية منهم موقف شديد ومفاجئ. وبحسب المصادر النجفية، فان المرجع السيستاني يرى ان «هنالك تجاوزًا غير مبرر وتطاولا سافرًا على مقام المرجع الشيخ بشير النجفي بعد ادلائه برأيه فيما يتعلق بالانتخابات التشريعية.

وان ما يتفوه به البعض من اساءة واضحة لمقام المرجعية يبرز ما تضمره بعض القوى تجاه مراجع الدين والحوزة».

هو ما أثار ثائرة في أوساط رئاسة الوزراء مما اضطر المرجع السيستاني إلى نفي توجيه بعض ممثليه بالترويج لكتلة المواطن وكتل أخرى باسم المرجعية بحجة الوسطية والاعتدال السياسي، وقد استنكر من يدّعي «تمثيله ويروج لقائمة محددة» في أول خلاف من نوعه بين كبار المراجع يطفو إلى العلن مما يدلّل على حساسية المرحلة الراهنة ومصيرها.

على اثر ذلك أصدر مجلس عشائر الوسط والجنوب بيانا اعلن فيه عن حالة استنفار قصوى لمواجهة أي اعتداء حكومي محتمل يستهدف المرجعية الدينية الشيعية في النجف بعدما اصدرت فتوى صريحة وواضحة تحرم فيها انتخاب المالكي لولاية ثالثة.

وفي فتوى النجفي بتحريم انتخاب العلمانيين في تحريم انتخاب العلمانيين اصدر المرجع اية الله بشير النجفي فتواه وفيما يلي صورة لنص الفتوى.

١٢٥٦
ج

المكتب المركزي لسماحة اية الله العظمى المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي دام ظله

From: kashfalhaqiqa@yahoo.com
Sent: 02 شعبان 1430 12:00 م
To: info@alnajafy.com
Subject: العلمانية

Name: عبد الله
Country: العراق
City: كربلاء
Subject: العلمانية
Email: kashfalhaqiqa@yahoo.com
Letter: بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع **** (دام ظله)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ظل الاجواء التي سادت العراق بعد سقوط طاغية العصر ودخول الاحتلال الامريكي الى العراق وغزوه ثقافيا قبل غزوه العسكري وجدت القوى العلمانية فرصة للترويج الى انتخاب العلمانيين و ترك القوى الاسلامية .
هنا اطرح سؤالين وهو :
١. ما معنى العلمانية من منظور الاسلام ؟

٢. هل يجوز للمسلمين اختيار العلمانيين في الانتخابات المزمع اجرائه في كانون الثاني من العام ٢٠١٠ ؟

يا حبذا لكون الاجابة بخط يدكم المبارك وختمكم الشريف لكي يتسنى لنا نشرها للمسلمين
شكرا جزيلا
وفقكم الله لانارة درب السائلين

ج/١ بسمه سبحانه
١ - استغربت من سؤالك لانني فاتني جوابه بعد ذلك تعتقد ان العلمانية لها مفهوم اسلامي هو علم ولكن ان العلمانية مفهومها السياسي والمفهوم الذي يدعو اليه اهلها هو عزل الدين عن الامور الاجتماعية والسياسية هؤلاء - علمانيون - يرفضون الدين ولكن لا يجاهرون عند الناس يأتون بتعبيرات يحاولون من خلالها خداع الناس السذج بان العلمانية لا تعارض الاسلام وان الاسلام لا يرفضها وهذا يكشف عن ضعفهم وعجزهم عن مجابهة الاسلام . والله الهادي

ج/٢ بسمه سبحانه
قد نص قانون العراق الذي ايده الشعب بقوة على انه لا يقبل اي خارج يعارض الاسلام وقد عرفت معنى العلمانية . والله الهادي

المكتب المركزي ... النجف الأشرف

فتوى بتحريم شراء الاصوات

كما افتى المرجع الديني اية الله العظمى الشيخ بشير النجفي حول حكم المرشح للمجلس النيابي الذي يبذل الأموال بغية شراء أصوات الناخبين وحكم الناخبين الذين يأخذون المال لغرض بيع أصواتهم، وذكر سماحته «يحرم على المرشح استغلال المال العام والخاص لشراء الأصوات، كما يحرم على الناخبين بيع الأصوات، فأن صوتهم أمانة في يدهم، وأن بيع الأصوات ينشر الفساد في أروقة الحكومة». واضاف ان: «أبتلي أحد من المواطنين بأخذ المال، فلا يجب عليه الوفاء بما وعد به المرشح. والله العالم».

تصريح حيدر الغرابي

وهو أستاذ الحوزة العلمية والمقرب من المرجعية الدينية، المرجعية الدينية العليا هي بمثابة الأب للجميع، سواء كانوا شيعة أم سنة وعموم المسلمين في العراق، وهي حريصة على الجميع، وبالتالي فإنها ومن منطلق وظيفتها الشرعية تدعو الجميع في هذه المرحلة إلى أن يكون توجههم حقيقا باتجاه التغيير، وهو عدم إنتخاب من كان مسؤولًا عن تردي الأمن والخدمات والاقتصاد وحتى العلاقات الخارجية للبلاد مع محيطه الإقليمي، مشيرا إلى أن «الأمر واضح بالنسبة للناس حيث إنه في ظل كل هذا الفشل فإن الوقوف على الحياد أو مسافة واحدة لا يعني النظر إلى الصالح والطالح من منظور واحد»

قال الغرابي إن: الفتوى التي أصدرها الشيخ بشير النجفي لا تتعارض مع فتوى السيد السيستاني؛ لأن المراجع الكبار أبدوا منذ تأسيس هذه الحكومة استياءهم من الأوضاع، ودعت منابر الجمعة التي يتولاها معتمدوا المرجعية إلى تغيير سياسات الحكومة، لكن من دون طائل، وبالتالي لم تبق سوى الانتخابات وسيلة للتغيير

الشيخ جمال الوكيل

اما الشيخ جمال الوكيل وعبر تصريحات متكرره وحادة بالضد من الولاية الثالثة للمالكي ابرزها واخرها كان دعوته بعدم تسليم صناديق الاقتراع لقوات سوات لأن هذه القوات مستعدة لبيع العراق مقابل ان يفوز المالكي بكل وسيلة.

الشيخ علي محمد الكوراني

على العكس اعتبر الشيخ علي الكوراني وهو مؤسس لعدد من المؤسسات الدينية والمستشفيات والمساجد والحسينيات، كما أنه مؤلف لعدد من الكتب في الدين، والأخلاق، والتاريخ، والسياسة، واللغة العربية، ان المالكي هو «القادر على جعل العراق يتجاوز الأزمات الداخلية والخارجية التي تحيط به»، داعياً إلى ان تظل القيادة العامة للقوات المسلحة بيد السيد المالكي بسبب المخاطر والمؤامرات.

وقال الكوراني أيضا: ان المالكي هو أفضل المرشحين للولاية الثالثة بعدما أثبت كفاءة وشجاعة في مواقف عديدة وأثبت نزاهته عن تناول المال الحرام وسفك الدم الحرام

وقال الكوراني في تصريح له تم تداوله على مواقع التواصل الاجتماعي: لا توجد عندي مصلحة شخصية في العراق الذي هو بمفهومي يعد عاصمة الامام المهدي (عجل الله فرجه) وحرصي عليه نابع من عقيدتي الاسلامية وعقيدتي بالنبي وآل البيت عليهم السلام.

السيد محمد علي الشيرازي

كما ايد المرجع اية الله السيد محمد علي الشيرازي انتخاب الاصلح مشيرا إلى ان نوري المالكي اثبت جدارة وقوة في سياسته اثناء توليه رئاسة الوزراء

اية الله اسحاق الفياض

آية الله العظمى إسحاق الفياض، في ما يفيد بوقوف المرجعية على مسافة واحدة من الجميع، معلنا ان المجرب لا يجرب ٨ سنوات.

وردا على سؤال من قبل احد العراقيين حول كيفية شراء الاصوات وباشكال مختلفة منها توزيع الاموال والبطانيات وكارتات شحن الموبايل والقسم بالقران انه سينتخب هذا الطرف أو ذاك.

اصدر المرجع الديني الكبير اية الله العظمى سماحة الشيخ محمد اسحاق الفياض فتوى حرم فيها عملية شراء الاصوات خلال الانتخابات.

وفي القسم الثاني من الفتوى دعا المرجع إلى وجوب المشاركة في انتخابات مجالس المحافظات وانتخاب الاكفأ والذي يقوم بتقديم الخدمات بصورة صحيحة إلى ابناء محافظته ورفع الحيف والظلم عنهم وان لا يقعوا

تحت تاثير الولاءات العشائرية والمصالحة الضيقة ومن يفعل ذلك فانه يسيء إلى نفسه وبلده وامته ولا يرضي ربه.

اية الله محمد سعيد الحكيم

المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم جميع العراقيين إلى ضرورة المشاركة الفاعلة في الانتخابات واختيار الاكفأ .

وقال سماحته في بيان صدر عن مكتبه في النجف الاشرف: «اننا في الوقت الذي نشكر المؤمنين على شعورهم العالي بالمسؤولية الشرعية في قضاياهم العامة ندعو جميع العراقيين إلى المشاركة الفاعلة في الانتخابات». مضيفا:«إن التهاون في ذلك يجر البلاد إلى الدكتاتورية والطغيان اللذين عانت منهما الويلات.»

بنفس الوقت فأن عمار الحكيم ارسل مبعوث اخر إلى مكتب المرجع محمد سعيد الحكيم الا ان المرجع قال بنفسه إلى المبعوث: «اني لا استقبل السياسين في الوقت الحالي.»، هذا وقد اعلنت المرجعية في وقت سابق عدم دعمها إلى اي قائمة انتخابية وعدم دعمها لأي سياسي وانها تقف من القوائم على الحياد. ورفضت استقبال اي سياسي خلال المواسم الانتخابية حتى لاتُستغل للدعاية الانتخابية.

السيد مقتدى الصدر

دعا زعيم (التيار الصدري في العراق) مقتدى الصدر عناصر القوات المسلحة إلى التمرد على قائدها المالكي وعدم اطاعة اوامره بالتصويت له في التصويت الخاص لعناصر هذه القوات البالغ عددها اكثر من مليون فرد،

الاثنين المقبل. واعتبر السيد الصدر الانتخابات بانها ثورة بيضاء لتغيير كل ظالم وانها الفرصة الاخيرة للتغيير. وكرر ضرورة الحذر من التزوير وعدم الشفافية والهيمنة على الهيئات الانتخابية.

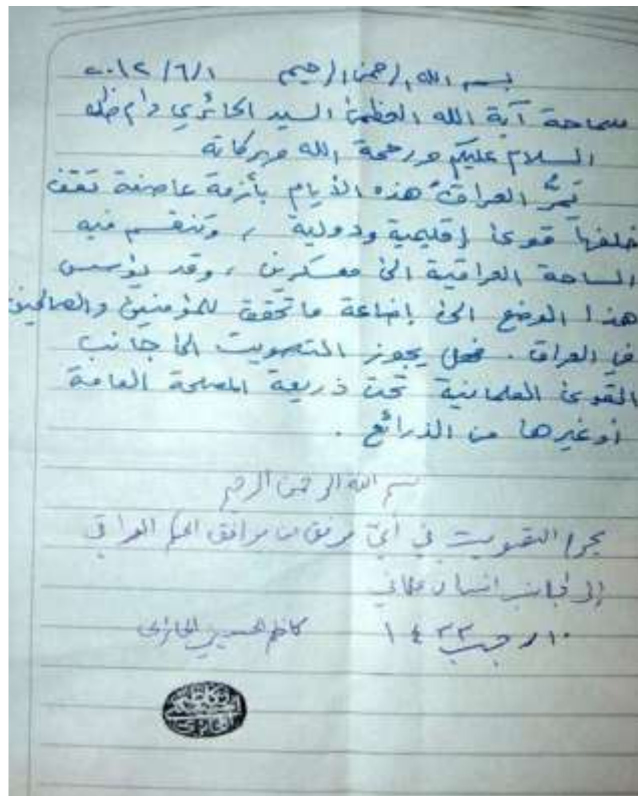
المرجع كاظم الحائري

حرم المرجع الديني كاظم الحسيني الحائري، الأحد، التصويت لصالح العلمانيين المشاركين في العملية السياسية.

وقال كاظم الحسيني الحائري ردا على سؤال من احد أتباعه بشان الأزمة التي يمر بها العراق حاليا وجواز التصويت إلى جانب القوى العلمانية تحت ذريعة المصلحة العامة أو غيرها من الذرائع، «يحرم التصويت في أي مرفق من مرافق الحكم العراقي إلى جانب إنسان علماني.»

وتبدو هنا تأثيرات مواقف رجال الدين على توجهات السياسة، حيث أن النواب المنتمين لكتلة التيار الصدري في البرلمان يرفضون عودة (إياد علاوي) إلى رئاسة الحكومة، مبررين ذلك بأنهم تلقوا التعليمات حول «فتوى» صادرة عن المرجع الشيعي العراقي المقيم في إيران آية الله كاظم الحائري يحرم فيها دعم أي حكومة يرأسها علاوي.





بسم الله الرحمن الرحيم ٢٠١٢/٦/١

سماحة آية الله العظمى السيد الحائري دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يمرّ العراق هذه الأيام بأزمة عاصفة تقف خلفها قوى إقليمية ودولية، وتنقسم فيه الساحة العراقية الى معسكرين، وقد يؤسس هذا الوضع الى إضاعة ما تحقق للمؤمنين والصالحين في العراق. فهل يجوز التصويت الى جانب القوى العلمانية تحت ذريعة المصلحة العامة أو غيرها من الذرائع.

بسم الله الرحمن الرحيم

يحرم التصويت في أي مرحلة من مراحل الحكم العراقي إلى جانب إنسان علماني

١٠ رجب ١٤٣٣ كاظم الحسيني الحائري

المرجع حسين اسماعيل الصدر

ردا على سؤال لأحد مريديه، بشأن التصويت للعلمانيين في الانتخابات هل هو حرامٌ شرعاَ إعطاء ألاصوات لهؤلاء المرشحين، وهل يجب عليهم الاختيار من بين الإسلاميين"،

وقد بين أن الديانة «ليست شرطا» وأن مرجعية النجف «لم تؤكد» على عقيدة المرشح، وفيما اشترط توافر «الوطنية والكفاءة والنزاهة» لدى المرشحين، أكد أن اختيار مرشح بسبب العقيدة، أو الطائفة، والعشيرة من دون هذه الشروط الثلاثة «غير مبرئ لذمة الناخب وإن» الأصل في اختيار المرشحين هو التأكد من وجود الوطنية والكفاءة والنزاهة لدى المرشح، مشددا أنه «لا يجوز إعطاء الصوت لمن ليس له الكفاءة في المجالات المختلفة المتعلقة بإدارة الدولة، كما أنه لا يجوز التصويت لمن ثبت عدم وطنيته ونزاهته في تحمل الأمانة الثقيلة لتولية أمور المجتمع العراقي ومن الممكن أن يتورط في الفساد».

وأكد الصدر أن «من ثبتت فيه الشروط الثلاثة يصح اختياره في الانتخابات ليكون ممثلاً عن الشعب، حسب الأولوية الأفضل فالأفضل»، متابعا «من لم تثبت فيه الشروط أو ثبت عكس ذلك فيه لا يجوز اختياره لما سيخلف ذلك من فساد ومشاكل كبرى للمجتمع العراقي.»

المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

اعتبر المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، أن المشاركة الفاعلة في الانتخابات و«إنتخاب الأصلح» ما هي إلا إحدى وسائل التغيير وتطويق

الفساد ومحاسبة المفسدين، داعيا الخطباء وأئمة المساجد إلى إرشاد الناس لإنتخاب الشخصيات النزيهة. وبين اليعقوبي: «ان الانتخابات تكتسب وجوبها من كونها آلية من آليات التغيير والاصلاح والحديث النبوي الشريف الذي يرويه الفريقان (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) والان القدرة موجودة على التغيير باليد». واضاف اليعقوبي: «يمكننا ايضا ان نفهم اليد بان نتوجه لصناديق الاقتراع وندلي برأينا ونغير المنكر ولنا القدرة على التغيير وان هذا المنكر اخطر من المنكرات الفردية لذلك فاننا باصواتنا نستطيع ان نغير الفاسدين والمنحرفين وبذلك يمكن اعتبار هذا المنشأ الاول لوجوب المشاركة بالانتخابات حيث يكتسب وجوبه من وجوب التغيير الذي امر به النبي والائمة الطاهرون».

المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي: اوصي على ان الانتخابات استحقاق انساني ووطني وشرعي لانها طريق لاختيار القيادات الصالحة التي تقود البلاد. موضحا ان: حقنا في اختيار من يقودنا يعد من اثمن الحقوق التي منحها الله لنا.

واكد اليعقوبي ان دور المرجعية الدينية هو تقويم الانحراف الذي يحصل والاشارة إلى من هو صالح وغير صالح لان الناس ليسوا بالمستوى الذي يؤهلهم بان يميزوا بين الصالح والفاسد على الرغم من اعترافنا بتزايد الوعي لدى الشعب العراقي ولكن الكثير من شرائح المجتمع لاتميز من يطالب بحقها لانهم مشغولين في معاشهم ومشاكلهم اليومية، مشيرا إلى ان هذه الضوابط يجب ان تكون امامنا ونحن ندلي باصواتنا لا ان نترك الامور غائمة دون

توضيح ولايحق ان نقف على مسافة واحدة والقران يقول في سورة السجدة «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ» [الآية:١٨]؛ فعلى أي قياس عقلائي، أو فقهي، أو اجتماعي نقرر الوقوف على مسافة واحدة ونحن نطالب الناس بإنتخاب الاصلح فكيف لهم ان يعرفوا من الاصلح دون ان توجهونهم، متسائلا اليس من وظائف المرجعية ان ترشد الناس دون اللجوء إلى هذا الاسلوب الغائم الذي دفعنا ثمنه في الدورات السابقة من ظلم وفساد؟ لماذا لايوجد احد شجاع ويقول اعصبوها برأسي فانا فداء لهذه الامة؟ لماذا تخشون من تحمل المسؤولية وتمارسون دوركم والنتائج تبقى بيد الله عز وجل؟ *.

اعتبر الدكتور علي الوردي ان تداول السلطة يدخل في اطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء به الاسلام منع الاستبداد فهو يقول «ان خير تطبيق لسنة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر هو استعمال المسلم حقه في الانتخابات وفي التصويت إلى أبعد الحدود. لا مراء في أن العصر الحاضر قد شهد انقلابا في نظام الحكم فكل دولة حديثة مهما كانت مصطنعة تحتوي على نظام تصويت والانتخاب بوجه من الوجوه».(١)

يعزز الوردي كلامه مؤكدا على ضرورة تحمل الفرد مسؤولية الخيار دون توجيه للاختيار وبذلك يصبح تداول السلطة ظاهرة حتمية تعتمد على مستوى الوعي الفردي والمجتمعي معتبرا التصويت حتمية ثورية لان الثورة من وجهة نظره لا تعني العنف بل الإيمان بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبمبدأ تداول السلطة. ولم ينسى ان تداول السلطة لابد أن يعتمد على

١- علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص١١٦.

عقل الفرد وتغيره من الاعتقاد بالمطلق إلى الاعتقاد بالنسبية، وان المرحلة التي يذوق فيها المجتمع مرارة الاستبداد تعتبر مرحلة تأسيسية للتداول السلمي للسلطة.(1)

١ـ علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ص ٨٠.

مقالات

المجتمع العراقي وبناء الدولة الرشيدة.. مأزق الجمود والفهم والثقة

مسار التغير السياسي الذي ابتدأ في العراق منذ عشر سنوات، يحمل اليوم رسالة بمنتهى الخطورة، هي اين وصلنا في البناء الجديد للدولة العراقية؟، ورغم الأحكام المسبقة التي غالبا ما تمس حسنا الاخلاقي المتضمن التعقل والانتظار ضمن هموم ثنائية (حفظ الامن – منع الموت) ومنح الفرص السخية لتحقيقها، الا انه بات وهما ان نعتقد ان ضجيجا هنا أو هناك يمكن ان يحول انتباهنا عن وجود وجهة نظر متشائمة تجاه بناء دولة رشيدة، وان تقبل فكرة ان نتحول من مأساة الدكتاتورية إلى مهزلة الديمقراطية اصبح في مطلق الاحوال وليس بعضها امر له تأثير صارخ ومؤلم على انفسنا، لاسيما واننا غير مستعدين لأنتظار سنوات عدة اضافية لتحقيق مناخ عصري قانوني يحكم تنفيذ قرارات عادلة تتخذها الدولة لضمان عدالة اجتماعية، مما يستدعي اعادة النظر ببناء الدولة المتآكلة حاليا والتي تم وضع اسسها الرملية من قبل المحتل بعد اسقاط النظام السابق في ٢٠٠٣م.

ان فهمنا لبناء الدولة مستند لافكار متعارف عليها في السياسة، وبقدر حاجتنا إليها فأن الهدف الاجتماعي يمثل غاية بأعتباره عملية تنموية اجتماعية تستغرق زمنا طويل وتتيح للمجتمع المفكك ان يتوحد ليتطابق مع الدولة، وهذا غير الهدف السياسي البحت الذي يهدف إلى تقوية النظام بمواجهة الخصوم.

وجهة النظر الحديثة التي جاء بها منظري البيت الابيض الأمريكي تعتقد ان بناء الدولة في عالمنا الثالث (نحن منهم) هو انشاء مؤسسات حكومية،

والاكثر أنهم يعتقدون أن ذلك أصبح من اهتمامات المجتمع الدولي بأعتبار أن الحكومات الضعيفة والفاشية هي مصدر مشكلات عالمية (الارهاب، والتطرف، والفقر، والمخدرات...) وهذا ما يهددهم وحيث الضعف في فرض هذه الدول قوتها المؤسسية وما يهمنا هنا انهم يجدون الضعف في المؤسسات التي تمثل القوة.

عادة تكون مؤسسات الدولة الحكومية هي التي تمثل القوة المؤسسية التي تفرض الطاعة لها بالقانون، وفي الدولة العراقية الفتية تمأسست بنى وهياكل غير كفوءة صعدت إلى قمة الهرم الاداري بقوة وادارت المؤسسات الحكومية بقوانين مزدوجة (وضعية – عرفية) واصبحت قوة المؤسسة من قوة البنية التي تديرها، ذلك ادى إلى حدوث أزمات متعددة، هي نتيجة للصراع بين ثلاث رؤى مختلفة وجدت كل منها أن لها الأحقية بإدارة الدولة العراقية وهذه الرؤى هي :

الاولى: رؤية دينية منشطرة على نفسها جذبت الجماهير لتدين شعبي متطرف منغلق، اضعف الاهتمام بالاخر كشريك في الوطن (الطائفية).

الثانية: رؤية اجتماعية مقننة للحركة تمحورت حولها بعض الجماعات فجذبتهم لنظام العصبية كقوة وشوكة بيد الدولة والخصوم على حد سواء (العشائرية).

الثالثة: رؤية ليبرالية، هشة، مشتتة، مستسلمة، عجزت عن انتاج خطاب مقنع للجماهير.

ما يهم الرؤيتين الاولى والثانية حيث تمأسست الطائفة وتمأسست العشيرة وادارت المؤسسات الحكومية بفكرها وكفاءتها المتواضعة، بل اصبح التعامل الرسمي مع فتاوى رجال الدين وحكمة شيوخ العشائر مما نتج عنه ماهو اخطر وهو مأسسة المشاعر الطائفية والعشائرية، لما في ذلك من استمرار وضمانة لحماية المفسدين ومكتسباتهم وبالتالي استمرار السلطة السياسية، وكانت هذه بداية لمأزق الجمود الفكري في الادارة وبداية تآكل الدولة الجديدة.

نتيجة لهذا الصعود الفكري الذي اصبح غير محسوب، وضعف المؤسسات الحكومية برزت ازمات ما يهمنا هنا، الازمتين الثقافية والاجتماعية.الاولى تمثلت بأنخفاض شديد بمستوى الوعي الاجتماعي سببه ارتفاع شديد بمعدل الأمية، وتدهور التعليم الأساسي والجامعي فأصبح السلوك داخل هذه المؤسسات وغيرها عبارة عن امراض متوطنة واخرى مكتسبة ولدت ثقافة مريضة من اللامسؤلية، وعدم الانضباط، والارتجال، والعشوائية التي شاعت باتخاذ القرارات والسلوكيات الرسمية مع ضعف الرقابة وضعف الاداء المهني للعاملين بالمؤسسات الحكومية وحيث تتزايد وتترهل الاجهزة البيروقراطية لانجد اهتماما لابعاد واثار هذه السلوكيات مما يدل على جزئية التفكير المحددة بالطائفة أو العشيرة أو الجماعة المتحزبة منهم.وبذلك تغيرت الاتجاهات وتغير السلوك وشاع التفكير الخرافي وغاب التفكير العلمي.

اما الازمة الثانية الاجتماعية، فهي وجود فجوة واسعة بين من هُم في قمة الغنى ومن هُم في قاع الفقر، يشاركها حراك هابط للطبقة الوسطى، مع انفصام ثقافي بين ثقافة النخبة وثقافة الجماهير المغيبة، مع تدهور مستوى

الحياة إلى درجة العجز في الحصول على رغيف الخبز مقابل معدلات صعود مهولة لمستوى الحياة في المناطق المغلقة الخضراء، ونتيجة لهذه الاوضاع وغيرها عكست الفئات الوسطى وهي المحرك العاقل للمجتمع اتجاهها إلى الخلف ونزعت إلى المحافظة (الطائفية والعشائرية) وساندت الجمود والارتداد، ومن جهة اخرى فأن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وما الحقته من اضرار اصاب الكثيرين الاحباط وفقدان الامل في المستقبل نتيجة استشراء ظاهرات شرسة مثل البطالة والفقر، والغلاء، والتهميش.

هاتين الازمتين شكلت للدولة مأزق الثقة، فبينما اتجه افراد المجتمع للصناديق املا بتحسين الاوضاع، وجدوا انفسهم اليوم على يقين من فقدان الثقة بالمؤسسات الحكومية والقائمين عليها ممن انتخبوهم فخرجوا ضد السلطة وضد المجتمع في آن واحد رافضين الانصياع للقرارات المؤسسية المزدوجة.

ان مأزق الجمود على فكر الطائفية والعشائرية كمؤسسات اصبحت تشارك القرار السياسي، ومأزق الثقة الذي وقعت به الحكومة بخذلان المجتمع وعدم تحقيق حاجاته، يؤشر المأزق الثالث وهو مأزق الفهم لمعنى التحول الديمقراطي من خلال الاصرار على نظام دستوري لم يثبت نجاحه وهو نظام المحاصصة الذي افرز المأزقين السابقين وجعل النخب السياسية عاجزة وهي تعرف ان الدولة بدأت تتآكل، وعاجزة امام مشكلات تراكمت وجميعها اصبحت مؤجلة، لان الموضوع لم يعد إصدار قرارات ومؤسسات جديدة بل هو يرتبط بصحوة ثقافية تتبنى تغيير ثقافة المجتمع المريضة واعادة تشكيل

وعي مؤسسي جديد وتغيير الممارسات الثقافية والاجتماعية سياسيا، وإعادة بناء النسق القيم.

الازمة التي تقودنا إلى الهاوية

من يرى ان ازمة المجتمع العراقي هي ازمة سياسية، فهو بذلك قد اخطأ الرأي، فليست مشكلتنا الاولى إصلاح النظام السياسي، أو استبدال الائتلاف الحاكم أو تغيير وجه رئاسة الوزراء، أو تغيير فقرات في مواد الدستور، لان مشكلتنا الحقيقية تكمن بما مر به العراق من مراحل وازمات متعددة الابعاد وصولا إلى المرحلة الحالية، حيث احتدم التوتر وبلغ اقصاه في الانشقاقات السياسية للنظام والائتلاف الذي يضمهم كقوى شيعية، وبين النظام ومعارضيه من القوى السنية والدعوة للثورات والانقلابات على الحكومة، وبينه وبين القوى الكردية التي تستغل ضعف الدولة ورخاوتها للسيطرة على اكبر قدر ممكن من المكاسب والمواقع والمواضع، ذات الطاقة.

الازمة الثانية هي الازمة الاقتصادية وتعطيل الوظائف الانتاجية وعدم وجود رقابة على القطاع الخاص واهمال الجوانب التنموية والاحتكار دون اي التفات من المسؤولين، فضلا عن تراكم الاموال بايدي اثرياء جدد ضاربوا بكل شيء على حساب المجتمع والبسطاء الذين يعيشون فيه، وكان تعطيل اقرار الميزانية للعام ٢٠١٤م اثار سلبية ربما تفوق كل ما تقدم.

الازمة الثالثة هي الازمة الاجتماعية التي تزداد عمقا واتساعا، فقد اتسعت دائرة المتخرجين الأميين بعد ان فتحت الجامعات ابوابها للمزورين ودعمت منحهم شهادات دون الالتزام بنظام تعليمي جاد، مقابل ذلك ازداد اعداد

المطالبين بالوظيفة الحكومية ومنهم حاملي الشهادات العليا ومثلهم مثل الذي لا يمتلك تحصيلا علميا يعاني البطالة وبشكل غير مسبوق في العراق.، كما اتسعت دائرة الفقر وتدهورت الطبقات واختلت موازينها المعروفة، وتعيش جميع الطبقات بمستوى متدني من الحياة الاجتماعية مما يدعو إلى إيجاد سياسات اجتماعية ترفع من مستوى الوعي واعادة الموازين إلى نصابها.

الازمة الرابعة التي لايتحدث عنها المتخصصين هي الازمة الاخلاقية حيث عبرت اخلاقيات السوق والشارع اسوار الدولة واصبحت الحقوق والواجبات سلع تنطبق عليها نظريات العرض والطلب وخاضعة للبيع والشراء وتحقيق الارباح واصبح النفوذ والسلطة ومواقع الادارات العليا في الدولة هي المحركة للسوق والوظيفة الملائمة للأرباح، ولعل الاكثر سوءا في الاخلاقيات هو سوق الاعلام الذي اصبح غطاء لماع لكل التشوهات والانحرافات والافساد الذي يعانيه المجتمع واصبحت الاموال المسروقة من الدولة تستثمر في امتلاك فضائيات تبث الفكر المرتد بلا ضابط اوسيطرة، اما الاعلاميين فليسوا اكثر من سلع خاضعة للعمولة عند الحاجة (مع احترامي للملتزمين بمواثيق الشرف) وهنا اصبح الوعي محكوما بفوضى الاعلام وتضارب المعلومات وضياع الحقائق وتشويه السمعة والشخصيات وفقا للهوى والهدف، كما دخل الاعلام حلبة النزاعات السياسية وتوريط الجماعات المختلفة للاشتراك فيها تحت عناوين الوطنية والطائفة والجهاد، وبذلك فتح ابواب الوطن للمحمومين بهوس القوة المشرعنة من الجماعات الفرعية.

اما الازمة الحقيقية التي تقودنا إلى الهاوية فهي الازمة الثقافية، حيث يسود المجتمع العراقي الان رؤية منغلقة لهذا العالم المنفتح، ورؤية انفصالية متشددة في عالم تتصالح فيه الجماعات والاديان وتتقارب وتتوحد، ورؤية متصلبة شكليا على حساب تطبيقات منحرفة اضرت بالجماعات قبل المجتمع وبالدين قبل طوائفه وهبطت وتدنت بفكرها إلى مستوى الفكر البدائي وجعلت قوانينه وقيمه الاجتماعية ومحللاته ومحرماته وفقهه متصارعين صراعا عنيفًا دمويًا.

هنا برزت ازمة الانسان في العراق وحاجاته الانسانية واغترابه وضياعه وعيشه في دوامة الازمات المتكررة والمتشابهة والرضا بالخسارة مرة ثانية وثالثة بنفس الطريقة حتى اصبحت اسلوب لحياته وليست مواقف يتعلم منها، ذلك لانه على الاعم لا يعلم بما يستجد في العالم ومكتفي بما يعرفه ويبدو عليه الرضا رغم ما اصاب النسيج الاجتماعي الذي يستند اليه من تمزق واختراق.

هذا الانسان العراقي المهجور بحاجة إلى ان ينتشل مما هو فيه هو بحاجة إلى وعي مستنير بديلا للوعي المهزوم، وثقافة تنويرية عابرة للحدود الجغرافية داخل الوطن مع ايقاف تفعيل احداث التاريخ ودفع الهزائم المتتالية إلى ما خلف أسوار الذاكرة، ومحاولة صهر الثقافات الفرعية ببعضها، ورفع علم واحد يحدد الهوية الوطنية ويوحدها.

ربما يكون تقديم مشروع للسياسة الثقافية هو الخطوة الاولى التي يمكن ان توصلنا إلى تغيير واقع الازمات التي يعيشها العراقي، وفي تقديري ان السعي لبناء ثقافة مجددة لن يكون الا عن طريق توفير فضاء معلوماتي وانجاز الكتروني، وليس القصد توفير اجهزة وتسهيل الاستخدام وان كان ذلك بحد

ذاته غير متواجد في العراق لحد الان، ولكن افتراضنا مبدئيا بوجوده ولو بحدوده الدنيا يتطلب ايجاد سياسات تتبنى تشكيل نظام حضاري وثقافي شامل من خلاله، حيث العلاقات والتفاعلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية تتم بشكل غير محدد باشخاص يتم التعامل معهم مع تسهيل الاجراءات واختصار المسافات والزمن بشكل قياسي وذلك يحقق اهداف:

الأول: الحد من افرازات الفساد بانواعه وبذلك يسمح للفرد التعرف على الممارسات السابقة للمؤسسات وفشلها بتحقيق حاجاته وان كان القائمين عليها من افراد جماعته الاجتماعية، وذلك بالنقد بشفافية لأي محاولة تلاعب دون خوف لأن الآلة لا يوجد انتماء طائفي أو عشائري أو حزبي لها، انما هدفها الانجاز وفق القانون كما تسمح هذه الطريقة باقتراح بدائل افضل وفق مصالح المواطن وليس مصالح الاحزاب أو القائمين على المؤسسات أو جماعات أخرى.

الثاني: ان هذه الطريقة الالكترونية تسهم في إيجاد وعي جديد منفتح على الحاضر والمستقبل، حيث يتم من خلاله تقييم الاوضاع وما تحقق اعتمادا على إيجاد علاقة مقارنة بين الماضي والحاضر، وبالتالي تبقى الفطرة والرغبة في تحقيق الاحتياجات هي الحكم في ابراز قوة الحاضر بكل انجازاته وامتيازاته الألكترونية، فيتحول الوعي باتجاه الانفتاح على المستقبل بدلا من الاصرار على فكرة أن الماضي هو الافضل.

الثالث: الاهتمام بهذا النمط الحديث من السياسة الثقافية للمجتمع تسهم في إيجاد رؤى حديثة للمستقبل واستحداث خطط ومشاريع لتحديث الثقافة في المجتمع العراقي على اساس ذلك.

بناء الدولة وثقافة الديمقراطية

ما يستلزم بناء الدولة العراقية الراشدة، بناء ثقافة الديمقراطية من خلال اكتساب المعرفة بالارتباط بين الديمقراطية وممارستها، وهي ترتبط بالزمن متمثلا بالآن العراقي الحاضر، وتستدعي نتائجها تحقيق علاقة موجبة بين مصيرالمجتمع ومصير الوطن. غير ان الحاضر المروع يكشف عن تردي الزمن داخل الوعي الاجتماعي وتفكك ابعاده ليصل بنا إلى حاضرنا الجهنمي، مما نتج عنه اختلال سلوكي تهرأ بسببه النسيج الاجتماعي فأنزوى افراد المجتمع مبتعدين عن الزمن ومكتفين بالعيش على هامش الادراك المنحصر بالغيب.

من حيث التطبيق فأن الديمقراطية كممارسة اجتماعية تمثل ثقافة تقوم اساسا على حماية الاخلاق من ممارسات استبدادية كظلم المجتمع اوافساده، لذلك فأن الغلالة التي تستر الاستبداد كوجه عاكس للديمقراطية، تقوم على التطبيق فأن اسيئ استخدام الفعل الديمقراطي أو تحولت ثقافته، يكشف عن فعل استبدادي فاضح فسح المجال لظهورتشكيلات وفئات اجتماعية من نوع خاص هي:

* فئة حكام متنفذون.

* فئة اغنياء من المال السياسي.

* فئة صامتة مالكة للفكر والعلم.

* فئة المسحوقين بأسم الديمقراطية.

العلاقة التبادلية بين الفئات الاربع لم تكن محققة لمصالح الجميع بل كانت منحازة للفئات الاقوى سياسيا وماليا، وتعرض لنا بوضوح التردي المأساوي للمجتمع وهو نتاج ثقافة الديمقراطية وتطبيقاتها المتأزمة اجتماعيا وثقافيا واخلاقيا، فالازمة الثقافية تقوم على قاعدة الفرز الثقافي والايديولوجي، وإقصاء فئة عقدية لصالح تقريب فئة عقدية اخرى سياسيا، وبنفس الثقافة الديمقراطية السقيمة يرفض الاسلامي بشقيه الجماعة العلمانية بسبب ايديولوجيتها، مقابل رفض العلمانيين لطرفي الاسلامي المختلفين بسبب ثقافتهم، وهنا وضع الدين باتجاه التحول من الدين إلى ثقافة شعبية، مست الديمقراطية ودفعتها بعناد إلى ارتداء ثقافة شعبية،لم تتعرف على الوطن والمواطنة وتضادت مع وحدته وهويته ومعتقده الاسلامي.. واصبح الهدف الوحيد للديمقراطية هو انتخاب فئة الاغلبية المسحوقة للنافذين وهم فئة الاقلية الحاكمة لارضاءهم ولضمان استمرارهم؛ بمعنى تحول الديمقراطية إلى هيمنة ارضت المسحوقين من اتباع الشق الحاكم واشركتهم سياسيا باللاوعي الزمني فتوالدت نخبتين، نخبة (النقيض) و(استبدت)، وقابلتها النخبة المعارضة التى منهجت العنف، فتقابلا مختصمين في صراع للنخب.

الازمة الاجتماعية تمثلت بافراغ العقل من محتواه ورفض العقلنة، والتحليل، والابداع، والابتكار، وتطبيق سياسة إقصاء الكفاءات النزيهة واستبدالهم برهط من ملمعي اكتاف المسؤولين، مع تكريس الكبت ومصادرة

الارادات وحل الازمة الاجتماعية بالرجوع إلى ذوي العلم الفقهي من اهل الحل والعقد، فتعمقت الهوة بين ثقافة الديمقراطية المعافاة، وبين ثقافة الديمقراطية الشعبية لفئات الجماهير المختلفة، فغاب التعاون والتعايش والتنافس والتسامح، وأصبحت الديمقراطية ثقافة مسيسة راعية لقانون الرئيس أو القائد على حساب الجماعات والمؤسسات والاحزاب، بعيدة عن التفاهم، والتضامن، والمصارحة، والمصالحة، والمصافحة.

في هذا الواقع من ديمقراطية اللاوعي الزمني يصعب التنسيق مع ثقافة الفئة الحاكمة لتعليل انواع الفساد، والارهاب، والتطرف وغيرها... بل لابد من البحث عنها في طبيعة احساسهم بالزمن نفسه وموقعهم منه، ومن زمان العالم الحديث، لذلك يبدو التوفيق أو التفريق بين الحاضر العقلي والحاضرالروحي امرا بعيدا عن خيال الوعي التقليدي للمجتمع، اما النظام فهو المستفيد دائما من تيه العامة، ما دام مستمرا بالسلطة، فاضاع على نفسه فرصة استغلال الزمان السياسي لبناء الدولة.

لم يعد موضوع بناء الدولة الحديثة الرشيدة الذي يعتمد على الاحساس بالزمن والحداثة منفصلا عن ثقافة المجتمع التي توقف زمنها، وكذلك النظام الذي امسى لا عنوان له ثقافيا ولا سياسيا فهو مزيج من العشائرية والطائفية والسلطوية والاسلاموية ومحاولة استخدامها جميعا وتحويلها إلى ثقافة ديمقراطية.

لذلك فأن هذا التقابل بين الديمقراطية والزمن المتوقف افرز الاستبداد وهو يرتدي ثوبا يبدو بريئا لشكل من اشكال الديمقراطية.

من ناحية اخرى فأن الاصول الغربية لايديولوجيا الديمقراطية واتجاهها الليبرالي، والتي تعني جماعية المشاركة في القرارات المختلفة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية؛ وبالتالي الاستفادة الجماعية منها. يقابلها مجتمع تعلن ثقافتة الديمقراطية انغلاقا على القبلية والابوية السلطوية، والتشبث بالطوائف ومرجعياتها المتخالفة غير المتقابلة، مع اننا يمكن ان نعبر عن عدم اختلافهم حول الآية الكريمة:«وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»[المائدة:٤٤]. هذا التقابل المتوازي يشكل منزلقا ديمقراطيا اخر وجدارا عازلا بين نظام بشري ونظام إلهي منزل وان لم تختلف اهداف العدالة الانسانية في الاثنين.

اتجه النظام السياسي لملاقاة هذا العزل الديمقراطي المتكيف مع حاجاته فوضعها في ميزان المصالح، فوجد ان من الاجحاف القبول بمرجعية لا تحقق مصالحه، وان اخرت لزمن اخر عملية بناء الدولة.

العودة إلى الخصوصيتين الثقافية والاجتماعية سلمت بوجود مأزق يعيشه المجتمع العراقي مشتتا بين نقيضين باعد بينهما الزمن، هي اصالة الثقافة الديمقراطية الغربية، واصولية الثقافة الديمقراطية العراقية، وان بناء الدولة لا يتوقف على فك اشتباك التناقضات بينهما بل يستلزم اعادة استنبات ثقافة الثوابت الديمقراطية وان كان ذلك مهددا لبعض المصالح.

احزاب المستقبل في العراق

قد يتشوه الفكر الديمقراطي بأدلجة القائد المتفرد باساطيره وطقوسه السياسية التي تعبرعن نفسية متمردة تمزج بين دموية السلطة وديمومة المقدس أملا في الاستمرار والبقاء.

ماحدث من انغماس المجتمع العراقي في العواطف الدينية بعد ان سُخرت له المعتقدات تحور الوعي إلى لاوعي مهزوم بالتطلع إلى احداث الماضي وفق منتظم الطائفة والعشيرة.

ردة الفعل تجاه هذا الواقع كان ظهور احزاب، وحركات، وكيانات، وائتلافات زاد عددها عن المعقول وان تعددت توجهاتها، والعراقيون ينظرون إليها منفردة أو مجتمعة كمنقذة لهم مما اصبحوا فيه خلال هذه المرحلة الطويلة والعصيبة. ويتسائل الجميع لمن الفوز، وأي الاحزاب لها المستقبل في العراق.

حتى نتوصل للاجابة لابد ان نعرف ان للاحزاب والجماعات السياسية بمختلف مسمياتها وظائف ولعل اهم وظائفها هي الوظيفة الاخلاقية والوظيفة التربوية عدا وظيفتها في الضبط القانوني وادارة الشؤون العامة.و في دولة نامية مثل العراق، ولا ادري ان كنت في صواب باطلاق لفظ دولة نامية على العراق!؟أم لا، حيث لاوجود لاي اثر لسياسة تنموية، حيث تعتبر اهم وظيفة للحزب هي التنمية والتحديث فالحزب السياسي يمثل قوة حاسمة للتحديث ونمطه، لذا فأن المجتمعات التي يعاد تشكيلها كما حدث في العراق بعد عام ٢٠٠٣م لعبت الاحزاب دور المنظم لتكوين افكارها الجديدة وتغييرها، فماذا كانت تلك الافكار؟ وإلى اي اتجاه تغيرت؟ لعل الجواب معروف للجميع.

في عودة تاريخية إلى القرن (الثامن عشر)، عُدت الافكار اساسا في احداث التغيير لذلك اكدت تلك المرحلة على الايديولوجيا اعتمادا على أن الافكار هي التي تقود العالم لذلك كانت تعرف الاحزاب بدلالة ايديولوجيتها.

في القرن (التاسع عشر) كان الحزب يعني الايديولوجيا وكان يمثل اعتناق الافراد للعقيدة السياسية نفسها دون الاشارة إلى طبيعة من يعتنقها.

في القرن (العشرين) كانت صورة الحزب لا تختلف كثيرا عن ما كان سابقا وأخذ شكل افراد لهم نفس الراي ويهدفون إلى التاثير على إدارة الشؤون العامة. وقد تنوعت احزاب هذه المرحلة وفقا لايديولوجيتها ويمكن تقسيمها إلى: احزاب ايديولوجيا سياسية، واحزاب ايديولوجيا دينية. والذي حدث ان النوع الاول يمثل في مراحله الاولى تجمع افراد متفرقين لهم نفس الفكر، تليها مرحلة التنظيم لتكون هدف الحزب الاول، ثم تليها مرحلة تنحى الأفكار والمشاريع لتصبح مسألة ثانوية وتتقدم الايديولوجيا لتكون الغرض الذي يبرر بقاء الحزب واستمراره لا أكثر من ذلك. وهذا ما حدث في العراق طوال الفترة التي سبقت التغيير في عام ٢٠٠٣م.

احزاب الايديولوجيا الدينية تظهر خلال فترات معينة وعصيبة من تاريخ المجتمعات، وهذا ما حدث بعد عام ٢٠٠٣م حيث تقدمت كل الجماعات الدينية والطائفية سواء كانت اسلامية، أو مسيحية، أو صابئية، أو ايزيدية، أو الشبك وطوائفهم المختلفة بتأسيس احزاب وتكوين افكار جديدة لم يعرفها المجتمع العراقي واعتبرت نفسها حلا لتشوهات اصابت المجتمع بتأثير الايديولوجيا السياسية السابقة كما اعتمدت ايديولوجيا طائفية جديدة وتناحرت من خلالها مع

المختلف معها ورفعت الشعارات وتمسكت بها على الرغم من فشلها في احداث تغييرات اقتصادية واجتماعية كما لم تقم بوظيفتها الاخلاقية والتربوية والضبطية وفشلت في ادارة الشؤون العامة وإيجاد سياسة تنموية واضحة، المهم أن هذه الاحزاب كرست نشاطها السياسي لدعم ايديولوجيتها الدينية ومحاولة فرضها وتبرير مصالحها على حساب الفئات المتصارعة معها.

برزت جماعات سياسية جديدة مختلفة الاتجاهات بين ما يعرف بحزب اوكيان أو ائتلاف أو تجمع بمسميات تمثل ردة فعل تصحيحية (الحوار، التغيير، التصحيح، العدالة، البديل، بناة العراق، متحدون، الوطنية، النزاهة) أو تسمية تعاني نكوصًا للماضي العروبي (المحور العربي، عروبيون والعروبة الموحدة، العربية) أو تبجيلا للتراث والقيم (ارض الاجداد، اهل الحضارة، بابليون، ابناء الرماح، الاصلاء، نخوة العراق، اهل الغيرة، البيرق، الصقور) أو مسميات وصفية اخلاقية لما افتقدناه فعلا (صادقون، اوفياء، مخلصون، امناء، واثقون، مقتدرون) أو بمسميات توحي بالعلمية (تجمع العلماء العراقيين، عصر الكفاءات، الاكاديميون، نخب التنمية) أو بمسميات دينية ثانية (حزب الله، حزب الدعوة الاسلامية، الايزيدية، الشبك، المندائية، الكلداني السرياني الاشوري) والجميع لهم ثقة بالفوز واستغلال الاوضاع المتردية فدخل هؤلاء الانتخابات بمرشحين يحلمون احلام تشبه أحلام العصافيربالفوز فالسلوكيات السلبية نفسها حيث لا برامج ولا مشاريع حقيقية نحاسبهم على عدم تنفيذها، معتقدين ان الوجه الجميل والتسمية التي تلامس المشاعر واللون البراق تعني التغيير، وأما الناخبون فقد توزعوا بين متفائل متطلع حالم بالتغيير وفئات غير قليلة من اللامبالين بتطلعات التغيير أو اليائسين بعد أن اتسعت

فجوة الصدقية والثقة مع النظام والجماعة الحاكمة. وسواء فاز هذا أو ذاك فالنتيجة معروفة سلفا.

لقد فشلت الايديولوجيا السياسية في العراق عندما تخلت عن مشاريعها التنموية والتحديثية، وفشلت الايديولوجية الدينية بسبب صراعاتها وارتباطاتها الاقليمية وتنازلها عن دورها الاخلاقي والتربوي والضبطي، اما الجديد من المرشحين وباعداد تثير التساؤل فقد استخدموا التزويق بالاسم والشكل وعروض الشهادة العليا كوسيلة تغييربديلة للعمامة والعقال والعباءة الاجتماعية، ومع انهم نفس الوجوه السابقة ولكنهم بلا تعريف اجتماعي أو دلالة رمزية سوى مشاركة في الانتخابات ينفض بعدها الجميع كل إلى اصوله.مع اننا كنا نطمح ان نجد بينهم من يحمل في طيات تشكيلاته وطروحاته ما يسمح لاستمراره للمستقبل وان فشل في الانتخابات.

لمن البقاء اذن، وأي الاحزاب هي احزاب المستقبل في العراق؟

يؤكد علماء السياسة والاجتماع ان المستقبل لم يعد للايديولوجيا، فأحزاب العالم المتحضر اليوم تعمل بلا ايديولوجيا بل هي تطمح إلى قواعد فقط من خلال ما تقدمه وتفترض لها اطار سياسي، والخلاف هنا هو في الموقف من الايديولوجيا ودرجة تكريسها للنشاط السياسي.

المجتمع العراقي الذي عانى من ايديولوجيات مختلفة، هو ليس بحاجة الان إلى ايديولوجيا أو فكر جديد، فمجتمعنا اليوم هو مجتمع قضايا وأزمات ومشكلات، كما انه مخزن ثروات بشرية وطبيعية وان المجتمع الذي يستطيع أن يحقق الرفاه المادي تُحل قضاياه (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية)

وبذلك تفتقد الايديولوجيا لاسباب وجودها، كما ان افراد المجتمع يؤمنون بمن يفهم فهما حقيقيا ظروفهم ويسد حاجاتهم دون ان ينظروا إلى عمامته أو عقاله أو قبعته.

أن وصول العالم إلى عصر المعلوماتية السريع يمثل الجانب العقلاني الذي لايترك مجالا للايديولوجيا المثقلة بالقيم ان تحقق وجودها في مجتمعنا المتعب، لذا فان «موت الايديولوجيا» بشكليها السياسي والديني يمثل مطلب حقيقي تنموي وحضري لأنه يرفع من شأن العلم والعقل والضمير. نأمل ان تكون خياراتنا للتغيير موضوعية بعيدة عن أي ايديولوجية سياسية أودينية لانها ستكون اكثر شرعية وسنكون لها اكثر اسنادا وبعفوية لان حامل الشرعيةفي ذلك الوقت سيكون مسؤولا لا مناضلا جاء ليعوض ما فاته.

النخبة والانتخاب

ليس من الصعوبة ان ندرك ان الانتخابات ترتبط باشكال محددة من التطور التاريخي لحياة المجتمعات ولكن من الصعب حقا تحديد السبب الذي يجعل من تلك الانتخابات مصدرا لمشكلات امنية بل ويجعلها من بعض الوجوة معيارا ونموذجا يصعب الوصول إليه.

الكثيرون فسروا الظواهر وبعضهم اشر صعوبة ذلك والخوف هو من استمرارها وتكرارها واقصد الظواهر الامنية كونها تمهد لصياغة نموذج من نماذج الانسان غير المتعارف علية في العراق فضلا عن صياغة مواقف انسانية ستسجل في تاريخنا كواحدة من نتاجات الحظات الانسانية أو من تراثنا الانساني.

اصبح تاييد اومساندة الافعال الاجرامية وتسميها بالمقاومة أو السكوت عنها والحنين إلى الموت بالقتل بطرق ودرجات مختلفة على انها شهادة، هي تعبر عن الطابع البدائي للنظام الاجتماعي، وتتعارض تماما مع الانتخابات كواحدة من السياسات الديمقراطية في مجتمع نسعى إلى ان يعود إلى طابعة الحضري بعد أن عانى من هجمة قبلية حولت مجتمعنا إلى نموذج غير سوي وغير قادر على التمييز بين ما يمكن أن يكون لة وما يكون عليه،بل ان هذة الاساليب العدوانية غير سوية هي تبسيط مشوة لفكرة الوطنية واخراج المحتل بعد أن ثبت خلوة من كل بعد انساني وجعل منة شيئا عاما يشبة ما موجود في أي مكان يطالة العنف الان في العالم لذلك يمكن أن نبلور بعض الافكار حول هذا الموضوع وكما يلي:

١- ان الصراع من هذا النوع يعني القطيعة ما بين المراحل التاريخية لمجتمعنا.

٢- ان الايديولوجيا الدينية التي يدعى بها ممارسو العنف هي ليست مما صاغوه بل انهم لبسوها لتاخذ طابعا من غير حقيقتها.

٣- ان عصر «الانحطاط»، الذي نعيشة لايعبر بالضرورة عن الطافح على السطح بل هناك الافضل وهو المرتبط عقليا بالتطور التاريخي وانه المستمر لأن استمراريته لها امتدادات منفصلة عن المصالح وهؤلاء هم النخبة التي غابت عن المشهد السياسي.

علية فاننا بحاجة إلى استخراج الابعد والاعمق في الشخصيات الانسانية العراقية التي تناقضة مع نفسة وبحاجة إلى غربلة الذاكرة الجماعية التي نست

الظلم والعنف ضدها وعادت من جديد لتخضع لشعارات جديدة منها (السياسية البالية، والدينية السلفية، والغيبية، والقبلية المتعصبة) وهي نفسها تحاول هدم القوى الاجتماعية الحقيقية وابعاد النخبة القادرة على ممارسة كل الفنون والعلوم السياسية وغيرها وذلك عن طريق التهديم المادي والنفسي وارغام الفكر على تقبل ما ارادوا.

ان على النخبة التي تطمح إلى تحقيق انتخابات حقيقية ان توضف امكانياتها فانعدام الاتصال تصوريا ومفهوميا اضعف دورها امام تلبية شروط العامة التي لاتؤجل الحصول على مستحقاتها كما انها لاتنتظر تنفيذ الوعود بعد ان رسمت رؤيا واقعية لنفسها مدفوعة ممن سعى إلى بناء تاليفي من المشكلات مستغل بعد النخبة وارتفاعها فوق المواقف مكتفيا بصياغات لقضية التعبير عن مواقفهم.

النخبة هي الافضل ممن يجب ان تفرزهم الانتخابات لانهم غير بعيدين عنا زمنيا، بل انهم جزء من عملية التحديث، الذي لايمثل عمل مجانيا تطوعي انما هو بحاجة إلى فئة حاكمة صاعدة لاتلتبس لديها الرؤيا المتعلقة بمصير البشر لانها ستقدم ثقافتها وثقافة انسانية وليس ثقافة فئات منعزلة عن العالم.

شورى قراطية.... جائزة الانتخابات الكبرى

قد تختلف مسميات الافكار واوصافها فمنهم من يسميها تاريخية أو اقتصادية ومنهم من يصفها بالسياسية أو الدينية ولكنها في النتيجة تمثل اشفاق على مسالة ما أو هي أداة تفسيرية وفق منطق خاص.

ويعتبر مضمون المعرفة الثقافية هو الحبل السري الذي يربط الافكار ويغذيها لذلك فان هوية الافكار تمثل قضايا المجتمع التي تشغلة.

في العصر الحديث برز الفكر الاجتماعي والسياسي واساليب نقد المفاهيم المطلقة والتقاليد الموروثة. وعلت نداءات تدعوا إلى المساواة والعدالة والديمقراطية خارج محدودية الافكار أو الايديولوجيات، لذلك كان لابد من تغيير البيئة الثقافية للاستجابة لنداءات التحدث، غير ان مازق الوثوقية بالمفاهيم المطلقة والشكلية وبالمستجدات الثقافية عائقا امام الملكات العقلية المبدعة الراغبة بالتغيير والدعوة إليه.

الفكر الاجتماعي والسياسي العراقي الجديد افرز حركات واحزاب مؤدلجة باشكال مختلفة منها السياسية والدينية والمعرفية وغيرها ومنها غير مودلجة تدعوا إلى المفاهيم الحديثة وفق صيغ حديثة وهذة لم تحقق رواجا كونها غير متحالفة مع الثقافات التقليدية المطلقة.

حدث ذلك في الممارسة السياسية المغلفة بالديمقراطية حيث برزت لا ديمقراطية الخيارات وترسخت المفاهيم التقليدية المطلقة بدلالة النواتج الرافضة للفكر الحديث والمتمسكة باساليب التفكير الموروثة والداعية للعودة إلى عصور الصراعات الفقهية مؤكدين ان مشكلات المجتمع لن تحل الا بحلول آلهية.

فاذا كان علماء الاجتماع السياسي يسمون الايديولوجيا، (الدين الدنيوي) أو (الدين المدني) لكونها منافسة للاديان ولما فيها من ضخ للعواطف تجاة مؤيديها فكيف بالدين الاخروي؟ أو الدين النبوي؟، كما اسماة الدكتور على

الوردي عندما استخدم كتوجة سياسي سواء كان سلفيا للانتخابات أو تعويضيا داعيا للانتخابات.

الفائزون بجائزة الانتخابات الكبرى كشفوا عن افكارهم بل توضحت بكونها اقنعة يتوارى خلفها الواقع ويتخبئ وتحولت الخيالات الدينية التي نوهم بها سذج المجتمع إلى مواضيع شخصية وليست مواضيع مصالح وطنية فكانت تمثل مباغي دنيونة ودلائل ذلك توضحت في طريقة المباحثات الجارية بين القوائم وابتعادها عن الشفافية مما يضعف مصداقية الخيارات السياسية المقبلة.

كما ان الواقع يكشف وجود صراع ومصالح ونزوع للسيطرة على المواقع القيادية مما يعني وجود انتهاك للارادة الجماهيرية التي اندفعت لتحقيق احلام المنتخبين بمعنى أن المصلحة العامة هي الاضعف والمصلحة الفرعية والشخصية هي الاقوى.

لقد انصب أداء الساسة الجدد على الاهتمام بالوسائل التي تؤدي إلى تثبيت افكارهم التقليدية من خلال السيطرة على الموقع السلطوية السيادية مما يمثل عقلا ذاتيا وليس عقلا موضوعيا يؤكد على غايات افراد المجتمع في كتابة الدستور وتثبيت الأمن والعدالة والمساواة.

ان (فرويد) والطب النفسي يصف الايديلوجيا السياسية بانها حالة مرضية فبماذا كانت ستوصف الايدلوجيات الجديدة في العراق لو قدر لها أن تكون في ذلك الزمن؟

كلمة اخيرة جديرة لان تذكر قالها الحسن بن على عليه السلام:

الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونة ما دارت معائشهم،فان تتنحوا بالبلاء قل الديانون.

الانتخابات بين العصبيات والحداثة

مسار الديمقراطية في عراق اليوم وبعد سنوات عشر من التغيير السياسي وتجارب انتخابية عدة، سواء المحليات منها أو البرلمانية، يجعلنا في حالة ارتياب من استمرار تحولات المسار الديمقراطي إلى الاتجاه المعاكس كفعل سياسي، وأقصد توجهها السلبي إلى الفعل والفاعل الاجتماعي، مما يجعلنا نتساءل: ماهو سبب انفتاح السوق الانتخابي وكثرة عدد المرشحين فيه؟ وما هي رهانات المنافسة داخل هذه السوق؟ والأهم من ذلك، هل رهانات المنافسة اجتماعية وغير سياسية فعلا؟

المطروح للمنافسة عملة اجتماعية ليست صعبة، ولكنها فاعلة داخل المجتمع، ومؤثرة استنادا إلى علاقات أولية من حيث المكانة والنفوذ والمال، لأنها تمثل أبنية القوة الأولية التقليدية في المجتمع المتزاوجة مع الأحزاب (السياسية – الاجتماعية) والنظام السياسي. وقد عملت هذه القوى على تشكيل بوتقات لإنتاج المرشحين وطرحهم في السوق الانتخابي كسلعة تمثل الثقافة السياسية السائدة في المجتمع العراقي.

إن خارطة القوى الانتخابية التقليدية تؤكد لنا أنها تسهم بشكل فاعل في إعاقة التنمية الديمقراطية وإعاقة تنمية المرشحين ذوي الرؤى الأشمل للاحتياجات ومطالب الناخبين، وبذلك يمكن أن نحدد الفاعلين في العملية الانتخابية باثنين هما: المرشحون (السلع)، والناخبون الكبار غير الرسميين

(العشائر، والطوائف، والقوميات) من خلال هيمنتهم على شبكات التصويت وقبلها شبكات التعبئة الانتخابية الانتقائية. وبذلك يصبح المرشح (السلعة) والناخب (المشتري) داخل دائرة أو إطار واحد للقوة التقليدية، ويمارس الناخب الرهانات غير السياسية حول الرموز والولاءات التقليدية من ناحية، ومن ناحية أخرى حول المصالح والوساطات، وهنا تصبح سطوة الولاء التقليدي وآلية الوساطات والخدمات والمصالح أقوى من الانتماء الحزبي والسياسي، وأقوى من الهوية الوطنية، لذلك عملت ائتلافات الأحزاب على المزاوجة بين عناصر القوة التقليدية والدور المؤثر لأجهزة الدولة كقوة ثانية على التأثير في البيئة الانتخابية من خلال عرض المرشحين بصور إلى جانب رؤساء القوى السياسية مع عرض الأسماء مسبوقة بألقاب اجتماعية (سيد، وعلوية، أو شيخ) ويستتبع الاسم لقب العائلة الذي يمثل العشيرة التي ينتمي إليها المرشح، بمعنى أن السلع تنوعت بانتماءاتها الأولية فقط وأغطيتها الحزبية الاجتماعية (السياسية)، فيصبح الأفضل في هذا السوق من يعرض انتماءين فأكثر. وتبقى البرامج المعروضة محض شعارات لا تأثير لها أو أنّ لها تأثيرًا محدودًا.يبرز بين الناخب التقليدي والمرشح التقليدي وسيط يلعب دورا في حشد الناخبين وتنظيم الحملات الانتخابية والإعلامية والاتصال مع ذوي العزة والمكانة داخل الأنساق القرابية والعصبيات المحلية، ويعتبر هؤلاء إسنادهم لمرشح منهم تعبيرًا عن مصالحهم ورمزًا لقوتهم وحضورهم المناطقي، كما يمثل قدرتهم على تقديم خدمات ومصالح شخصية وما ييسر التعامل اليومي لهم، وذلك من خلال لعب دور الوسيط مع أجهزة الدولة. وبذلك حولت الثقافة السياسية السائدة النظام الانتخابي وآلياته إلى طابع لا تنافسي بين الاتجاهات

السياسية بل حولت السوق الانتخابي إلى عرض وطلب على نفس السلعة الثقافية والاجتماعية مع الحفاظ على نقطة التعادل الاقتصادي التي تعني تعادل العرض مع الطلب فيؤدي إلى استقرار السوق التقليدي مما يؤشر أننا لسنا على أبواب سوق للحداثة الانتخابية أو التغيير السياسي، مع استمرار كثير من الظواهر السلبية المرتبطة بذلك، ولعل أبرزها التصويت الجماعي الذي يمارسه ذوو النفوذ أو المجموعات الأولية أو ما يطلق عليهم العصبيات المحلية من أبناء العشائر أو العائلات الممتدة بالقيام بذات الممارسة كجزء من مسؤولياتهم الاجتماعية.

المعروف أن المدينة بصورة عامة فضاء للسياسة والحداثة، غير أن الملفت للنظر أن المدينة العراقية قد أدارت ظهرها للحداثة السياسية والمؤسساتية المرتبطة بتأسيس الدولة العراقية وأعادت بناءها وأنتجت قوى وقيمًا لم تعرفها سابقا، فبدت عروض المرشحات (الكوتا) غريبة على العين العراقية، حيث لا تعرض صورة المرشحة أو هي تعرف باسم زوجها المتوفى بعد التعريف بأصوله الاجتماعية، كتعبير رمزي عن عقيدة وقيمة اجتماعية لا تسمح للمرأة بكشف شخصيتها إلا من خلال ارتباطها برجل (أب، أخ، زوج، ابن)، مما يكشف عن فجوة حقيقية بين المرشح كأسم فقط (سلعة) والجمهور الناخب المشتري أسير (الثقافة التقليدية)، وآليات المشاركة، مما يحتاج هذا الموضوع إلى دراسة معمقة عن الفكر السياسي الجديد البعيد عن فضاءات المنافسات السياسية، وهكذا تشكل اللامبالاة والعزوف عن الرفض للمرشح لغرابة مصدره وضعف شرعيته دلالة على اللامبالاة بالسياسة والنظام والصفوة،

وهذه مسألة بالغة الأهمية في دراسة أزمات النظام السياسي العراقي ومستقبل الانتخابات في العراق.

إن تآكل مظاهر الحداثة السياسية والدولة الحديثة، وتحوير الديمقراطية لمسارها وتغيير وظيفتها، أدى إلى هيمنة البُنى والقوى التقليدية والجماعات الأولية في الانتخابات العراقية، وهذا دليل وهن في الروابط السياسية لصالح العشائر والأساطير الاندماجية ومواريثها وتعاضداتها وتضامناتها، مما يوصلنا لاستنتاج واضح هو أن الدولة والأحزاب السياسية ساهما بدور فاعل في دعم أبنية القوة هذه ورموزها والتعامل معهم كوسطاء بين مجموعاتهم الأولية وبين النظام وأجهزته لضمان استمرار الأخير في اللعبة السياسية وممارسة طقوسها ومناوراتها مما يعكس طبيعة التركيب الاجتماعي والثقافي للنظام ودلالات علاقاته بتلك الهياكل التقليدية.

ثمة إدراك سياسي سلبي لدى غالبية العراقيين، يتمثل في أن طبيعة الانتخابات وآلياتها الحالية لا فائدة من ورائها في إحداث التغيير لواقع المجتمع، ولا يغير الأوضاع القائمة ولا يؤثر عليها، ولا يحدث تغييرا في الإصلاح المطلوب لذلك، فإن فجوة الصدقية والثقة تتسع وتتعمق بين العراقيين ونظامهم السياسي وأن هناك فجوة ثقة كبيرة في العملية الانتخابية نفسها.

إن هذه الانتخابات والإرث السلبي لتاريخ الانتخابات في العراق، يفرضان علينا أن نعترف أننا أخذنا من الديمقراطية الشكل دون المضمون الحقيقي، وأن علينا أن نعترف أن النظام السياسي إذا استمر بهذه الثقافة السياسية الحالية لن يصمد طويلا في الداخل، كما لا يصلح لمواجهة العالم الحديث، وأن عدم

نجاحنا في إقامة انتخابات سياسية حقيقية، يعني فشلنا في امتحان الحداثة وبناء دولة صالحة على أسسها.

الانتخابات معادلات ونتائج جينية

في انتخابات مجالس المحافظات في ٢٠-٤-٢٠١٣م، برزت على السطح مجموعة معادلات تؤشر فشل الانتخابات حيث نسبة المشاركة الضئيلة تعني الكثير، هي نتاج لفكر الناخب المشارك وغير المشارك، كما هي معبرة عن فكر المرشح وسياسة العرض والطلب التي غابت عنها كل الاساليب والمسارات العلمية المستخدمة في العالم.وهي قبل كل شيء نتاج لسنوات الفشل والغليان التي لا يريد اي من المستعرضين لانفسهم ان يستشعرونها. المعادلات التي يتساوى فيها الطرفين هي معادلات صحيحة لاتحتاج إلى تحقيق لاثبات صحتها. لذلك فأن طرفي معادلة المرشح يساوي الناخب كانت دقيقة وصحيحة واثباتها لا يحتاج إلى جهد.

المعادلات الانتخابية كان لها دلالات اجتماعية ورمزية ولم يكن لها دلالات سياسية واضحة كما يجب، ويمكن ان نستعرض ما يهمنا هنا لبيان اسباب غياب الناخب الحقيقي الراغب بالتغيير الفعلي عن الانتخابات. المعادلة الاولى تقول: ان الخارطة السياسية للمرشحين كانت مفقودة، رغم الاعلان عنها بشكل قوائم وليس برامج، الطرف الثاني للمعادلة يؤشر عزوف الناخب السياسي عن الانتخاب لعدم وضوح المنهج السياسي. المعادلة الثانية تقول أن النزعة الاجتماعية المعتمدة كبديل والتي طغت على فكر المرشح كانت شاذة وليست واعية لذاتها إلا من خلال انتماءها وليس

بانجازها وخبرتها الناجحة، الطرف الثاني للمعادلة يعلن عن رفض الناخب الواعي، وبروز الناخب الاجتماعي.

المعادلة الثالثة تقول أن الموقف العقلي لما تراه العين المجردة لعروض المرشحين بكل القوائم وانزلاقهم بعرض المرشح مع رئيس القائمة بصورة أو بدلالات وعبارات يعلن عن توقف نمو الديمقراطية المستزرعة داخل الرحم المريضي وبقاءها في المرحلة الجنينية في انابيب الاختبار، رغم مرور عشر سنوات من عمر الانسان العراقي ضائعا بين عنف وفساد وتردي في مفاصل الدولة والمجتمع، الطرف الثاني للمعادلة يعلن رفض الناخب العقلاني للصيغ الدينية والليبرالية والعلمانية.

المعادلة الرابعة تقول: ان الابتعاد عن الحضرية واعتماد الخرافة العقلية المستندة على الولاءات التقليدية البدائية كوسيلة لضمان النتائج والحفاظ على تلاحم فئات المجتمع وعدم انفراطه، سجلت اكثر المواقف سخرية من الاساليب المستخدمة في عروض المرشحين واستخفافهم بالعقل العراقي المتحضر فجاءت عروض محافظة (بغداد) كعروض المرشح للمدينة الصغيرة أو القرية المتطرفة في اقاصي المدن الحدودية أو الصحراء، الطرف الثاني للمعادلة يعلن ترفع الناخب المتحضر عن المشاركة بينما ارتفع هنا الناخب التقليدي. المعادلة الخامسة تقول أن عروض المراة كانت ذات بُعدين، التقليدي وغير التقليدي، الأول باضفاء الصورة الاكثر تقليدية وبدائية على المراة، وكانت صورة فاضحة للمعنى المستتر (بمعنى انها اسم لبديل)، وتتوضح بعدم عرض صورة المراة التي اريدها ممثلا لي، وتقديم كنيتها (ام...) كأننا في سوق،

فضلا عن تعريفها بابيها الشيخ، أو عمها، أو اخيها، أو زوجها ولو كان متوفيا ووضع صورهم بدلا من صورتها، اما الليبرالية فكان هناك امعانا في ليبراليتها بشكلها وعرضها (مرشحة الدكتور....) مع خصلة شعر تقسم خدها الوضاء، أو هي الاستاذة الدكتورة ورئيسة القسم ولم تكتف بذلك بل ختمت تعريفها بانها اخت المهندس (....) بلا برنامج ولا هدف واضح. الطرف الثاني للمعادلة احساس الناخب السوي بازدواجية غريبة ورفض اللعب على الحبال. ان التفسير الواقعي لهذه المعادلات الانتخابية يؤكد فشل متعدد الاوجه ويحتمل الكثير من التأويلات ولعل ابرز تلك التأويلات: التأويل النفسي وهو يؤرخ لحظة اليأس من الانتخابات كوسيلة تغيير شرعية، ويأس من تحقيق توافق سياسي يسمح للتيارات العاقلة (ان وجدت) ان تعرض برامج سياسية عقلانية ورصينة، بل اثبت الجميع في معادلاتهم نكوصا إلى عصور التخلف الحضاري والفكري والعودة إلى عبادة الاصنام بل ان الخوف من الاخر جعلهم يرتضون تحويل المرشحين انفسهم إلى غاية وليس الوسيلة وبذلك انفصم العراقي عن ارضه وتاريخه وحضارته، وهذا هو سر الفشل الحقيقي.

اما التأويل السوسيولوجي يكشف فشل التيارات في عرض تيار فكري عقلاني يؤرخ للحظة الحاضرة الموقع الحداثي لذلك التيار الذي يحاكي ثقافة الناخب المتحضر، ولم يحدث التجاوب مع ثقافة الشارع العقلانية وحاجات الافراد الروحية والمادية واهمل رأس المال الاجتماعي مع ضياع التنمية الانسانية، بل استمر التعالي فوق قدرات الافراد في المشاركة الحقيقية في البناء، وعرض برامج أدنى من طموحات المجتمع في التغيير. وبذلك لم

تعزف أي من القوائم السياسية لحن الوطنية والوفاء للعراق المتحضر، وانسانه المقهور.

أما التأويل القانوني يكشف عن حاجتنا لقانون يحمي حقوق العقل العراقي من التلاعب به وتغييبه، وعلينا ان نرفع الدعاوى ضد المستخفين بعقولنا ومحاولة قولبتها واستغلال الجهل وترسيخه، وعدم تمكين الانسان العراقي من الاحساس بانتماءه ووطنيته كحاجة من الحاجات الاساسية لدفعه للعمل والاخلاص، نريد قانونا يحاسبهم على تهجير العقول وافراغ العراق من عقلائه، علينا ان نلزمهم بدفع ثمن نكولهم بالعقد الاجتماعي نحن الشعب وهم الحكومة صاحبة المال، والجاه، والنفوذ، والقوة. علينا محاسبتهم عن تشويه سمعة العراق والعراقيين.

واخيرا نحن لا ننتظر نتائج الانتخابات لانها محسومة ومعروفة ولا نحتاج إلى الطب النبوي لعلاج القلق أو عرافات ومفسرين للاحلام المزعجة المنتشرين في انحاء العاصمة بغداد، كما ان الخيال في مثل هذه الاوضاع لايبتعد كثيرا عن الواقع، نحن مؤمنين وواثقين ان لا احد في العراق يفوز بالانتخابات إلا من استفاد من اكتشافات الخارطة الجينية الوراثية والمعرفة بحامض ال (د.ان.اي) وهم القوائم والكتل الأبرز التي كشفت المختبرات السياسية عن انسابها وعرضتها بشكل واضح، عشائر كانت أم طوائف، ذكورا واناثا.

أما الجاهلون بالاستخدامات السياسية لهذا العلم الحديث في الانتخابات، عليهم أن يؤمنوا بأن سحب البساط الاحمر من تحت اقدام العراق الواحد

المتحضر المتطلع إلى التغيير والى المستقبل العلمي، لن يكون بعيدا ولن يكون مستحيلا ابدا.

برلمان النجوم

على ما يبدو ان سنوات الفشل والغليان (الاحد عشر) التي عاشها المجتمع العراقي لم تستطع ان تمنح المرشحين للانتخابات رؤية واضحة عن هموم الناس وحاجاتهم، ولم تستطع ان تمنحهم الخبرة اللازمة في عروضهم واستعراضاتهم سواء في مسميات القوائم التي تبتعد عن الواقع أو في صورهم المستفزة البعيدة عن الهدف الموكل اليهم، مما يدل على ان رحم الديمقراطية العراقية مازال مريضا واننا ننتظر مولودا جديدا مشوها. ولا أريد أن يكون مدخل حديثي مطولا متشائما، لذا سأقتصر على جانبين، الاول يحلل اسماء الكيانات السياسية التي تفضح بشكل صريح رد الفعل تجاه انماط افعالهم المنحرفة المسببة للخراب المنتشر علانية، والثاني يكشف عن المنزلق الخطير الذي وضعت فيه المرأة من خلال صورها وعروضها مما يدل على الاستخدام في الانتخابات كوسيلة للفوز وليس مشاركتها الفعلية والفاعلة وبين هذين المعنيين وادي عميق يعزز اللاحضرية الاجتماعية والسياسية للمرشحين وقوائمهم وقادتها وعدم احترام للمرأة. فعلى الرغم من ان معظم قادة الكيانات لم يتغيروا بل استمرت القيادات فارضة وجوهها على المجتمع بلا خجل ولا تردد وباصرار وامعان في تكبير حجم الملصقات حتى بانت تشوهات ما وراء النظرة والابتسامة كجزء من رمزية فاشلة لم تعبر الا عن قدراتهم المحدودة، اصحاب الانتخابات هؤلاء منهم من تناسلت قائمته ومنهم من تقطعت اوصال قائمته ومنهم من تبنى ابناء قوائم اخرى ومنهم من جاء بابناء غير شرعيين

منتقلين من اقصى الليبرالية إلى اقصى التشدد الطائفي ومنهم من جاء يجرب حظه لاول مرة وكلٌ كما وضع لحساباته الشخصية ضمانات لاقصى ما يمكن، ولكنهم جميعا اتفقوا على ان يقدموا بكل ما يملكون من معرفة تسميات لقوائمهم تكشف حقيقة الزيف الذي عشنا فيه، يحاولون ان يقولوا اغفروا لنا وسنكون لكم غير ما كنا، ولكننا بهذه التسميات عرفنا ما كنا نتشكك فيه وما كانوا يفعلون، فهذه قائمة متحدون لانهم كانوا متفرقون، وتلك صادقون، والاخرى وارثون مع انهم بعيدون عن وراثة الفردوس، واوفياء مع انهم اوفياء لانفسهم، احرار ولكنهم عبيد، البيضاء بعد ان اسودت،، التغيير وهم لا يعرفون غير ما يريدون ولا اريد أن اعلق على أسماء القوائم الكبرى فالوطنية التي جمعت من اللاوطنيون الكثير وهي التي كانت سلما لصعود الطائفية المقابلة، وتلك التي تبرقعت بلفظ القانون هزوء وهي التي لم تعترف به عند المواجهة مع الاخر المختلف وسكتت مرارا عن كل التجاوزات والانحرافات متناسية ان القانون شعارها ووعدها، والاخرى التي جعلت شعارها الحفاظ على الثروات وانتصار المواطن، واكتسحت هي والمتحالفين معها جميع المعلنين عن انفسهم باعدادها، واحجامها، وتنوعها، ونظراتها، وابتساماتها، ووعودها.

أما المرأة فهي المشارك الغير حقيقي فكما كانت مثيرة للشفقة في المرات السابقة واظهرت كرمز للعبودية والفكر التقليدي المهين وعرفت بكنيتها وباسماء الذكور الذين تنتسب اليهم، ابيها واخيها وزوجها وابنها وعمها حتى المتوفين منهم يفرض سطوته عليها، كانت في هذه الجولة متعددة الاشكال فهي بالاضافة للنموذج الاول السائد برزت هذه المرة القوائم المعارضة لهم بشكل

استخدم المراة استخداما مهينا اخر عن طريق خيارات للوجوه الجميلة ونوع الملابس وطريقة تصفيف الشعر وحركات الدلال والدلع والإيماءات والابتسامات وحمل الزهور كأنهم في سباق لنجوم السينما، امعانا بليبراليتها وتاكيدا لاختلافها عن الخط الاول؛ بما يدل ان المراة هنا ليست مشاركة بل هي مستخدمة كورقة انتخابية لفوز القائمة، ومرة ثانية انحدرت المراة إلى صورة الانثى منتقلة من اقصى الحجاب والتحفظ عليها من الاعين إلى عرضها كسلعة مثيرة في مجتمع جائع يقف مبهورا امام الالوان المتعددة في الصورة، فتستحوذ عليه حكايات الانتخابات الكثيرة والحالتين تمثل وجهان لعملة واحدة.

مازال الجهل سيدا في الخيارات ومازالت الامية الحضارية سيدة الانتخابات العراقية، اما الديمقراطية فهي ارملة طروب لا ولي امر لها يحدد اتجاه خطواتها ويحكم انفلاتاتها. اذن نحن مازلنا بحاجة لقانون يحمينا من الديمقراطية ويحمي عقول العراقيين من عبث السياسيين ويحميه من الاستخفاف به وتغييبه، واستغلال الجهل وترسيخه، لانهم هنا يمنعون عن العراقي الاحساس بوطنيته وحرية خياراته ويحسرونها عنوة بغرائزه. كنا ننتظر تيارا عاقلا يؤرخ لنا مرحلة الانتقال والتغيير ان حدثت، بل اننا الان نعترف ان لحظة الياس ليست ببعيدة ولن ننتظر النتائج فاي كانت لن تاتي بالعقلانية السياسية التي ترتفع بالمجتمع إلى مستوى افضل لانهم جميعا اهتموا بالشكل ونسوا ان هذا الشكل لاي منهم اسما أو صورة أو شعار ليس هو الحل المطلوب.

عصر الجاهلية الثالثة

العراق الان في عصر الجاهلية الثالثة بعد الجاهلية العربية والجاهلية الاوربية في القرون الوسطى وجاهليته الثالثة انه يعيش تحت سيادة قوة سياسية تتمثل فيها نظم اعتقادية عليا سامية وتطالب بالاعتراف الكامل بها ولا ترضى بغيرها بديلا ويصعب عليها التعاطي مع غيرها وتبادل التاثير معها حتى شكت من الجمود والواحدية فقررت انها الحقيقة ولا حقيقة بعدها لترسيخ نفسها. واذا لم تكن القوى السياسية الاخرى المدنية متوازية معها بفكرها المدني المتحدد باهداف المجتمع العليا وقيمه وتمتلك نفس الجاذبية الجماهيرية الفعالة وتتحدى سيطرتها كما هي الان في حملتها الدعائية وثقلها الثقافي والفكري على الناخب فأن المستقبل العراقي سيكون قاتما جاهليا، غير ان الواقع يؤشر محدودية وعي المنافسين الخصوم لهذه الحقيقة وكشفوا عن مستوى وعيهم بوقائعهم الاعلانية التي تبدو في ظاهرها تعبير عن امنيات التغيير التي ينتظرها المجتمع ولكنها في الحقيقة لا تصب الا في مصلحة المرشح الشخصية أو على الاقل للقائمة التي ينتسب اليها، وليس للفكر المطلوب الذي تتضمنه قدرات وخبرات تحقق الهدف. بل تحول إلى نمط جديد من الجاهلية السياسية مستخدما تسويق نفسه عن طريق تحويل صورة المراة إلى انثى وعرضها بسوق النخاسة وتعريضها ليس للاغتصاب الجسدي وانما لاغتصاب معنوي ونفسي متحديا ذكورية المجتمع ونخوته تجاه فعل من هذا النوع. ولان هذا الفعل كان مرفوضا في الجاهلية العربية الاولى وتراق من اجله الدماء فمن الغريب الا يكون له وقع الان ويصبح موضوع للتندر فقط مع ثبات القيم في النظرة إلى المراة والتعامل معها.

القيم في انتخابات ٢٠١٤ أو عصر الجاهلية الثالثة بانواعها وانواع معتنقيها لا يمكن لجماعة ان تقصر نوعا منها على نفسها وتحاول فرضها كما يحدث الان من قبل الجماعة السياسية المسيطرة فهي قد اسست لعصر الديمقراطية المشوهة، لكن الناس بسؤالهم (من اختار هذه المرة) اثبتوا ان التزام جانب قيم العقيدة سياسيا مفردا يعني الانفصال عن واقع الحياة وعن واقع مشكلاتهم اليومية واحتياجاتهم الطبيعية وايا كان قبولها من الافراد واعدادهم ونسبهم، فانها تعرضت للاهتزاز بشدة. كما ان القوة الثانية المدنية المنافسة بقيمها لا تعبر عن المجتمع كاملا بل هي تعبر عن احد اقسامه ممعنة بالاختلاف إلى درجة توقف تاثيرها ولو من الجانب النفسي ووضعت نفسها موضع تساؤلات عديدة.

ان الخارطة التكوينية التصورية كما اراها لما كان وسيكون له وجهين:

الاول: يرجع اختلاف الراي أو الافكار إلى المصالح وهو راي «ميكافيلي» وهنا تتحدد مصالح الاطراف المتصارعة، ومن الطبيعي يكون من تسيد في السلطة لثمان سنوات هو الاقرب لمصالح الاكثرية المستفيدة والتي بيدها قرارات كثيرة وهي صاحبة الحقيقة العقائدية المطلقة والمسيطرة على الشارع الانتخابي لحد الان.

الثاني: يفسر كل شيء وفق ما يسميه «بيكون» اوهام العقل التي ترجع كل شيء إلى الاعراف والعادات الاجتماعية، وهذا ما تم خرقه من قبل القوى السياسية المدنية بطريقة استفزازية وكان رمز الاختلاف عن المنافسين الاقوياء هو المرأة بعروض متحدية التقاليد الاجتماعية التي تعودها المجتمع

حيث لعبت تقنيات الفوتوشوب في تقديم نموذج شكلي للتغيير مستخدمة شكل مختلف تماما وملبس مختلف مضافا لذلك لقب علمي. ومن ثم اقامة حفل لانتخاب ملكة جمال المرشحات وبذلك وسمت القوى هذه نفسها بان خياراتها كانت للشكل وليس للنوع بمعنى ان التغيير شكلي وليس نوعي في تقديم نموذجها المنافس للانتخاب فاضعفت ثقلها السياسي وعرضت نفسها للنقد وربما للرفض بعد ان كانت ستحتل مكانها كقوة سياسية موازية بالمنافسة فعلا.

اللحظات الزمنية الباقية على موعد الانتخابات والتي عاشها المجتمع العراقي جعل الحاكم المتفرد والكتل المختلفة وان كانت من نفس المذهب العقائدي واصحاب الطقوس يستندون إلى موقف تتحكم فيه سايكولوجية المصالح تضمنها اللجوء إلى استخدام الخداع وباستخدام ثقافة المجتمع لتحقيق الهدف.

بينما الجماعة المدنية انشغلت باسترضاء نفسها وبوصف الاختلافات والتراكيب الاجتماعية التي تحاول التوجه اليها مفتقدة لارضية قوية مؤمنة بالفكر المدني الحقيقي، بل جل مؤيديها ممن ضاق به العيش بسبب سياسة الاحزاب العقائدية، كما انهم على ما يبدو مفتقدين لفهم هذه الصورة وللخلفية الثقافية التي تحاكي العقول والمشاعر معا وترضي المتوجهين اليها من النوعين، فاضعف ذلك طرق وصوله إلى نفس الهدف.

الجماعتين الاثنتين تحاولان ابقاء المجتمع داخل فخ العصور الجاهلية، وهم متصارعين خارجها متنعمين بفرحة البسطاء لفوز هذا أو ذاك وعلى طول لحظات ذلك الزمن ولكننا نبقى في تساؤل:

هل فقد الفكر في المجتمع العراقي حياديته وتقوقع حول مفهومات ضيقة من الافكار الزائفة؟ وهل الوعي السياسي اسطورة عراقية يصعب تحقيقها؟، والحقيقة هي لاي كان الفردوس القادم سنعيش نحن اربع سنوات قادمة في عصر جديد من الجاهلية..

ارتفاع تسعيرة الناخب العراقي

كانت تسعيرة صوت الناخب تسعيرة معنوية تقتصر على حق المرشح على عشيرته والتزامه باعرافها، أو موقف ديني بتوجيه من رجل دين أو شيخ لانتخاب طائفة معينة دون غيرها مع اعتبار الخيارات الاخرى بعيدة عن الفضيلة وهي ما يتمسك بها الجميع ويقيمون على اساسها، هذه الفكرة المعنوية جعلت الاداء الانتخابي لصالح جهات معينة يمثل وسيلة اسناد اجتماعي، أو ضد جهات اخرى حيث هي وسيلة ثأر منها، أو لصالح طرفي منافسة كوسيلة مقايضة، لذلك كان ممارستها من قبيل الواجب ومن ثم يصبح اسقاط الاخر بعدم انتخابه مفخرة لهم اما ثمن الترويج فهو رضى اشخاص من شيوخ ومعممين ودعائهم، وبذلك كان الانتخاب يعتمد على ناخب ملتفت إلى الوراء دائما بمكافأة مؤجلة وبعطاء الهي.

بعد ان فهم البعض من الناخبين البسطاء المساكين اللعبة وعلى مقدار فهمهم واحتياجاتهم اليومية ظهرت افكار جديدة لشراء الاصوات عن طريق اللعب على مشاعر الناس الدينية فاقسم احدهم انه رشح بامر من الرسول (لا ادري كيف!؟) والاخر اعتنق الاسلام على ولاية محمد وال محمد.

في المرحلة التالية حرص المرشحون بالمقابل على تغير اساليبهم والانتقال من الجانب الاجتماعي والروحي بكسب الاصوات إلى الجانب المادي والروحي معا كأقامة رحلات إلى ايران لزيارة (الامام الرضا) مجانا وعلى حساب المرشح أو زيارة (السيد محمد) شهريا لكل عائلة. أو فتح مكاتب للمشورة القانونية مجانا أو استقدام اطباء باختصاصات مختلفة ومعالجة المرضى مجانا،وبذلك اظهار لجانب الرحمة والمرؤة لديهم، ثم كانت المرحلة الثالثة عندما اقترب موعد الانتخابات فتحول اسلوب شراء الذمم إلى تقديم الهدايا المادية والعينية وكان تقديم الهدايا العينية متمثلا بالبطانيات والمدافيء، ومن ثم تحولت إلى النقد المادي والمنح المادية مشروطا بقسم الناخب بالتصويت لهم والقسم له انواع اما القسم بالقران أو القسم براية الامام العباس كما تفعل احدى المرشحات حيث تحمل تلك الراية وتدور في الشوارع توزع المال على من يقسم بانتخابها أو تلك التي اعلنت عن هدفها بتزويج الفتيات بعد ان اقسمت بالحسين انها لن تترك شيعية بايرة، واخرى طلبت من العوانس فوق ٣٥ سنة مراجعتها لتمنحهم سندات تمليك لقطع اراضي ضمانا لهن حيث لارجل يعيلهن. أومحاولة كسب الشباب بتوزيع الكرات والملابس الرياضية والوعود ببناء الملاعب ثم انحدرالبعض بنوعية شراء الاصوات إلى اقامة الولائم لمناطق كاملة اومنح الهدايا التي تنوعت بين توزيع السمك على العوائل أو الزيت والدجاج المشوي والهيل والحامض حلو ووضعت عليها صور المرشحين واسماؤهم وارقامهم في القوائم المقصودة كما وزعت قطع الاقمشة والعباءات الرجالية في محاولة اخيرة لاسترضاء وكسب الناخب الرافض لهم.

كما قدمت للطلبة الجامعيين تسهيلات بحجة سوء الاوضاع الامنية وقد تراوحت بين عدم المحاسبة على الغياب والتساهل بمنح الدرجة وعدم الرسوب الا ماندرومنح الراسبين هؤلاء فرص عديدة للامتحان دور ثاني ودورثالث ثم اعادة المرقنة قيودهم حتى في الدراسات العليا واخيرا تم تقديم منح مادية للطلبة بمبلغ ١٠٠ الف دينار للطالب الواحد شهريا وذلك قبل شهرين من موعد الانتخاب.

وكلما اقتربت فترة الانتخابات يزداد تكثيف عمل المرشحين في شراء الاصوات حيث قاموا بتسلم ملفات وشكاوى الأهالي. وتقديم الوعود بتعيين الشباب على سلكي الشرطة والجيش، أو القبول بالكلية العسكرية، وتختلف سياسات شراء الذمم من منطقة إلى اخرى ومن فئة إلى اخرى حتى تحولت من الاسلوب الاجتماعي والروحي إلى سياسة ملء البطون بالاكل إلى سياسة ملء الجيوب والمكرمة المادية وتطورت من الدينار العراقي إلى الدولار الامريكي حتى وصلت تسعيرة صوت الناخب الواحد إلى ٣٠٠ دولارقبل الانتخابات بايام، وهي تتزايد كلما اقتربنا من يوم الانتخاب. وبذلك اصبح الناخب العراقي سلعة معروضة للبيع والشراء ولها ثمن وهو خاضع لنظرية العرض والطلب حيث يزداد السعر في موسم الانتخابات ويرتفع كلما اقتربنا من ذلك اليوم

ان عملية شراء الاصوات الانتخابية، أو ما يعرف ب (شراء الذمم) أو تسليع الناخب وتسعيره ما هو الا عملية شراء لكرامة الناخب العراقي، مقابل ثمن بخس من المال أو بعض المواد العينية أو الوعود عن وظيفة أو منصب

أو علاج أو قبول ببعثة دراسية، وتعتبر هذة الظاهرة بشكلها المادي حديثة العهد في المجتمع العراقي، حيث لم يكن نوعها وطبيعة ممارسيها وحجمها بالصورة المبتذلة هذه في الانتخابات الماضية.وأن الجماعات والاحزاب التي تخشى الهزيمة في اكثر الاحيان تكون من الكتل السياسية التي تملك زمام الحكم وهي الاكثر ممارسة لشراء الاصوات حيث تنعدم الثقة بينهم وبين الناخبين لما جنت ايديهم ولن تفكر الا في اتباع الوسائل التي تحافظ من خلالها على موقعها والبقاء في الحكم.

شراء الاصوات وتسليع الناخب واستغلال حاجته فعل منهي عنه شرعا لأنه من قبيل الرشوة، وأن الراشين والزبانية الوسطاء آثمين، وأن المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف حرمت بيع وشراء الأصوات واعتبرت الأموال المستلمة سحت حرام.

الرمز الانـتخابـي ولغة الجسد

الرموز هي الايحاءات أو التعبيرات التي ترسل رسالة ما غير مباشرة عن نواحي لا يراد التعبير عنها مباشرة، ويكون لها مضامين فكرية واجتماعية تدعو إلى التحلل من نظم معينة متسترة بالرمز أو الاشارة، وبهذا يكون الرمز معبر عن معاني عقلية ومشاعر عاطفية.

كانت البدايات من نظرية المُثل لافلاطون التي تقول في هذا المجال ان عقل الانسان الظاهر الواعي هو عقل محدود، وان الانسان يملك عقلا غير واع ارحب من ذلك العقل يهتم باشياء اخرى عديدة منها الرموز.

بينما اعتبرها الفرنسيون ثمرة من ثمرات الفراغ الروحي.([١])، اي ان الاهتمام بها واستخدامها هو لملء فراغ روحي معين.

يرتبط الرمز عادة بالسياقات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الذي ينتجه، ان الثقافات المختلفة لها مضامينها الرمزية التي تشكل هويتها الثقافية، وبالتالي فان الثقافة هي نسيج رمزي.

التحور هنا قد يأتى عبر عدة سبل... إما عبرالتجاهل والتناسى خضوعا لما هو سائد. تمامًا كما يحدث بالنسبة لاستخدام دور العبادة والتعليم فى الدعاية الانتخابية تجاوزا للقانون، أو حتى كل من استخدم المال فى تقديم رشاوى انتخابية أو استخدم الشعارات الدينية فى الدعايات الانتخابية. والتجاهل هنا

١ -www.saaid.net

يكون بالترك الدائم إلى حد الوصول للنسيان الذى يبدأ متعمدًا ثم يتسيد فيصبح النسيان أمرًا معتادًا

والرموز الدينية أو الاجتماعية هي وعاء لمعاني تلك الرموز، كالهلال أو السيف أو الصليب اوتكون الرموز ممسرحة في طقوس دينية أو خرافية أو غيرها، وهذه تختصر بالنسبة إلى الذين يؤمنون بها كل ما هو معروف عن حياتهم. وعن الطريقة التي ينبغي لهم ان يتصرفوا وفقها، وتاتي قوة الرمز من قدرته المفترضة على مضاهاة الواقع ومسايرته. لذلك بامكان اي مجتمع ان يبني نظاما قيم مستقلا، اي ان يبني نظاما اخلاقيا بصرف النظر عن طبائع الاشياء في الحياة وهي محاولة لدمج النظرة إلى الحياة والاشياء مع عواطف الجماعة ومشاعرها ليتم الاستفادة منها.([1])

بعض الرموز تصور قيم ايجابية واحيانا تعني تحور باتجاه الصراع بينها وبين المتعارض معها أو هي تفسر قضايا مهمة ومنتشرة في المجتمعات مثل الفقر والظلم والطغيان، لذلك فان رموز أي مجتمع مما يقدرها ويحترمها أو يكرهها أو يخافها موجودة في نظرته إلى الحياة وفي ديانته لذلك فالرمز لا يمثل كل ما يهم المجتمع فقط بل يمكن ان يحور إلى ما يرفضه ولا يريده([2]). لذلك فالاشكال الرمزية مثل الصور تولد القيم وتثبتها لاسيما اذا كانت مرتبطة بموضوعات قابلة للاختراق من جهات أو جماعات مخالفة.

١ـ كليفورد كريتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بديوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٩، ٢٠٠١م، ص٢٩١.
٢ـ المصدر السابق، ص٢٩٧ بالمرجع.

ويعتبر استخدام الاشكال الرمزية محاولة من شانها تحوير الواقع إلى أشياء قابلة للتاويل وهي بذلك تعتبر نسق يسمى الثقافة كما ذكرنا.

اما الصور فلها وظيفتها، لذا فهي داخل نسق الثقافة لها وظيفة ارتبطت بممارسات جديدة ومجالات مغايرة كما في استخدامها في الانتخابات حيث التأويلات الثقافية برزت باشكال متعددة تتضمن الطريقة التي يتم التفاعل من خلالها وهي كذلك توَصف التوجهات العامة عدا كونها القوة الجامعة داخل المجتمع، والاهم أن لها تنوعاتها في الجوانب السياسية من حيث استخدام الحركة، والايماءة، والكلمة، والملبس... وغيرها.

الصور والمظهر كاشكال رمزية متداولة استخدمت في العروض الانتخابية في العراق، فالسياسيين اليوم يفهمون ان السياسة تتعلق بالصورة والمظهر ومعظمهم لهم مستشارين في لغة الجسد لمساعدتهم على الظهور كاشخاص مخلصين وصادقين وامناء خاصة عندما لا يكونوا كذلك([1]). هذه اللغة في الانتخابات العراقية كان لها دلالاتها وارتباطاتها بافراد المجتمع كونها مرتبطة بثقافة المجتمع وتصوراته وافكاره فكما تختلف اللغة المنطوقة من ثقافة إلى اخرى تكون اشارات الجسد شائعة في ثقافة دون اخر ى ولها تفسيرها الواضح قد لايكون له معنى في ثقافة اخرى، فمنحت كل من المرشحين طابعا مميزا وقدرة على المنافسة. ويمكن ان نوصَف الصور ودلالاتها الاجتماعية والثقافية التي عكستها من تصورات وفقا للانتماء الثقافي والاجتماعي، كلها هذه لها مؤثرات نفسية وتؤكد طبيعة الوعي الذي تتبناه

١ـ الان وباربارا بييز، المرجع الاكيد في لغة الجسد، مكتبة جرير، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م، ص٨.

الجهة القائمة على الانتخابات وتعرف طبيعة وعي الجماعة التي تتوجه اليها حيث الاختيار اجتماعي وليس سياسي، لذلك فان (ارنست غيلتز) اشار إلى أنه لا يمكن الكشف عن دلالة الرموز والاشارات والمظهر إلا بالرجوع إلى الخلفيات الاجتماعية والسياسية والمعارف التي افرزتها.

الرموز انواع والنوع الاول من الرموز هو الرمز الشعبي أو التقليدي المستخدم من قبل الاحزاب الطائفية والائتلافات والتجمعات العشائرية اسماء عشائرية ورموزها دلة القهوة والفنجان والنخوة...) والقاب دينية واجتماعية (سيد وشيخ وعلوية...) وملبس (عباءة، عمامة، عقال...) واستخدام رموز طائفية (أسماء آل البيت والقسم بهم) وغيرها لفظية وغير لفظية، هذه كان لها وظيفة الترابط بين الجماعة داخل المجتمع بما تمثله من واقع يؤكد مدى التمسك فيما بينهم داخلها سواء العشيرة أو الدين أو الطائفة وهي تمثل انساق اجتماعية حققت اهدافها.

اما النوع الثاني من الرموز فهي الرموز المدنية حيث تستعير ألفاظ وعبارات مثل الحقوق والحريات ولا تمثل نسبة تاثيرها من شيء بمقدار ما يؤثر الشكل والمظهر والتعبيرات الرمزية الحركية غير اللفظية وغيرها. ويبدو أن الرمز وفقا للاحداث الراهنة هو المهيمن على حاضر ومستقبل المجتمع.

فاذا كانت الديمقراطية تمثل الحداثة فان استخدام هذا الاسلوب في تطبيقاتها بالانتخابات يمثل صراعا بين الماضي والحاضر أو بين التقليديين والمحدثين. ومن وجهة نظر اخرى اعتبرت بعض هذه الرموز والعلامات هي

نكوص وتراجع وتمثل السذاجة الاولى التي يُخضع بها الناخب فالرمز هنا له وظيفة هي أن يتذكر من أجل أن ينتخب والرمز دائما يرتبط بالتأويل لذلك فقد اهتمت رموز الانتخابات بجانب اخر بسذاجة التاويل حيث الفهم من اجل الاعتقاد بالفكرة والشخص المعروض الممثل للفكرة.

والحقيقة أن الرموز سواء كانت مصورة أو تعبيرات لاشارات أو لمظهر هي حقائق محورة واصبحت اداة موجهة للناخبين يتم الانطلاق منها لتحقيق الهدف (الفوز). وهذا ما حدث فعلا في الانتخابات العراقية الاخيرة عام ٢٠١٤م. والصور اللاحقة نماذج للرموز المستخدمة وليست كل الرموز التي طرحت.

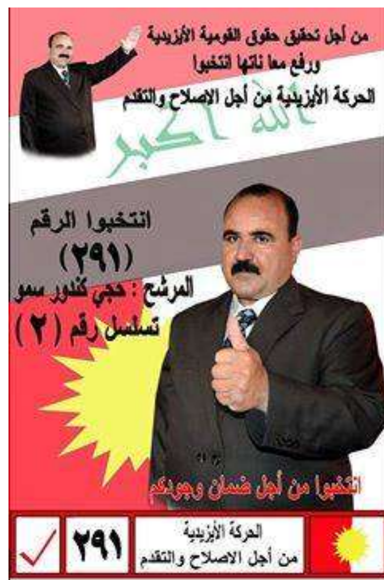
نماذج وصـور



عروض الاحزاب المسيحية ورمز العلم الخاص بهم مع استخدام فتاة للعرض



علم الاكراد (الرمز) صورة من باب السفارة العراقية في السويد



العلم الايزيدي رمز الايزيديين

مع حركات اليد الرمزية



الرمز الاول هو العقال والرمز الثاني وهو

الرمز اللفظي الشيخ والرمز الثالث هو

ديني سادن مرقد



الرمز الاول العقال والرمز الثاني حركة اليد ورفع الراس إلى الاعلى والرمز الاخر الدولة العربية والحصان الجامح مع رمز لفظي يتمثل بمقولة شعبية معروفة وبلغة العامة



الرمز استخدام لفظي (العروبة والاسلام) بشكل يرفع العروبة على الاسلام دلالة على التوجه العلماني القومي.



الرمز هو القسم برسول الله مع حركة اليد



استخدام لفظ الشيخ كرمز شعبي ورمز قوته اعتناق الاسلام ورمزية الاسلام على ولاية ال محمد للدلالة على التوجه الطائفي له مسندا نسبه لوهب وجون كانتماء سابق له



استخدام اسم شقيقه الرياضي المعروف للدلالة على توجهه للرياضيين وفئة الشباب مع حركة اليد

عروض المراة



العباءة ولفظ الملة واستخدام الكنية



رمز العباءة والقسم دليل التوجه إلى فئة الفتيات غير المتزوجات



المرأة.... رمز العباءة ووجه بلا ملامح



نموذج أخر لعروض المراة وضع صورة الزوج ومهنته بدلا عن صورتها ومهنتها

عرض لصورة المراة بوضع صورة رئيس القائمة بدلا عن صورتها





وضع صورة الزوج المتوفي بديلا عن صورتها مع استخدام صيغة الشيخ والحاج



اما انتخابات ٢٠١٤ فكانت عروض التيار المدني مخالفة للتيارات الاسلامية وردود الفعل كانت كما يلي :





رموز في شراء ذمة الناخب



نماذج في شراء الناخب





قصة الثبات وهزيمة الوعي لخصها هذا الناخب



حقائق وارقام واحصائيات

- أن الانتخابات التشريعية العراقية عام ١٩٢٣م كانت أول انتخابات تجري في العالم العربي في التاريخ الحديث، بعد قدوم الملك فيصل الهاشمي إلى العراق عام ١٩٢١م، الذي تعهَّد في خطاب التتويج، بأن أول عمل سيقوم به هو الانتخابات.
- تمَّ التلاعب بأول انتخابات عام ١٩٢٣م. وتم تحويل الديمقراطية إلى شعوذة سياسية.، وانتابت أجزاء مختلفة من الوطن العربي مع ظهور حكم العسكر، والديكتاتوريات العسكرية والحزبية. ثمالانتخابات العراقية ١٩٢٥م، وجرى تلاعب واضح. كذلك جرى تلاعب وعروض الديمقراطية المشعوذِة في انتخابات عام ١٩٣٣م بقيادة رئيس الحكومة العراقية آنذاك جودت الركابي، ونَجَمَ عن ذلك، حركة عصيان واسعة في الريف حرّض عليها ياسين الهاشمي الذي سقط في الانتخابات نتيجة التزوير. وأصبح التزوير في انتخابات عام ١٩٣٣م سُنَّة رسمية للسلطة الحاكمة، اتبعتها كافة السُلط فيما بعد.
- وقف أعيان العراق، وزعماء العشائر، ورجال الدين، من السُنَّة ولشيعة ضد هذه الانتخابات، وما بعدها من انتخابات تشريعية أخرى. بل وصدرت فتاوى دينية ضد هذه الانتخابات.

انتخابات ما بعد ٢٠٠٣م

أول اقتراع في الأنتخابات العراقية بعد عام ٢٠٠٣م

- انتخابات الجمعية الوطنية الانتقالية والذي يسمى أيضا بالبرلمان المؤقت أو مجلس النواب العراقي المؤقت في ٣٠ يناير ٢٠٠٥م. حيث صوت العراقيون لاختيار ٢٧٥ عضوا في الجمعية الوطنية الانتقالية (مجلس النواب العراقي المؤقت). ومن الجدير بالذكر انه بالأضافة إلى انتخاب البرلمان المؤقت تمت في الأنتخابات الأولى الأقتراع على المجالس البلدية لمحافظات العراق ١٨ والأقتراع على المجلس الوطني الكردستاني الذي هو بمثابة برلمان إقليم كردستان في شمال العراق تم اعتبار العراق في هذه الانتخابات دائرة انتخابية واحدة. وقدمت الأحزاب السياسية قوائم بأسماء مرشحيها. الذين يجب أن يكونوا في الثلاثين من عمرهم على الأقل بالإضافة إلى ضرورة وجود مرشحة من السيدات بين كل ثلاثة مرشحين. ولم يتم السماح للأحزاب أو الجماعات التي لها أجنحة مسلحة بخوض الانتخابات. كما لم يتم السماح لأفراد القوات المسلحة أو الأعضاء البارزين السابقين في حزب البعث العربي الاشتراكي بخوض الانتخابات.
- قام الجيش الأمريكي بزيادة عدد أفراده من ١٣٥ ألفا إلى ١٥٠ ألفا بحجة التامين، لكن ترك الجزء الأكبر من مهمة تأمين مراكز الاقتراع لقوات الأمن العراقية، واغلقت الحدود العراقية لمدة ثلاثة أيام خلال أيام

الانتخابات. محاولة لمنع تسلل المسلحين. ولم يسمح للسيارات التي لا تحمل تراخيص بالسير في الشوارع خلال تلك الفترة.

الاحصائيات كانت تشير إلى أن :

- عدد نفوس العراق كان بحدود ٢٧ مليون نسمة. عدد العراقيين الذين يحق لهم التصويت هو ١٤،٢ مليون ناخب. عدد الكيانات السياسية المشاركة في الانتخابات هو ٢٢٣ كيانا. عدد الائتلافات السياسية المشاركة هو ٣٥ ائتلافا. عدد المرشحين المستقلين المشاركين هو ٤٨ مرشحا.عدد مقاعد الجمعية الوطنية هو ٢٧٥ مقعد وعدد مقاعد المجلس البلدى في محافظة بغداد هو ٥١ مقعدًا وعدد مقاعد المجلس البلدي في كل محافظة هو ٤١ مقعدًا وعدد مقاعد الجمعية الوطنية لكردستان هو ١١١ مقعدًا عدد المراكز الانتخابية في عموم العراق هو ٥٥٧٨ مركزا.

- عدد المراكز الانتخابية خارج العراق هو ٧٥ مركزا في ١٤ دولة هي أستراليا، وكندا، والدانمارك، وفرنسا، وألمانيا، وإيران، والأردن، وهولندا، والسويد،وسوريا، وتركيا، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وبريطانيا، والولايات المتحدة عدد العراقيين الذين يحق لهم المشاركة في الانتخابات خارج العراق هو مليون و٢٥٠ الف شخص من اصل ٢،٣٥٠،٣٧٠ عراقي حسب تقديرات منظمة الهجرة الدولية، عدد المحافظات في العراق هو ١٨ محافظة. وان عدد الذين يحق لهم الانتخاب في العاصمة بغداد هو ٣،٧ مليون نسمة.

- **من ابرز القوائم التي شاركت في الانتخابات**
- قائمة (التحالف الكردستاني) على رأسها جلال طالباني، قائمة (الأئتلاف العراقي الموحد) على رأسها عبد العزيز الحكيم، قائمة (عراقيون) على رأسها غازي مشعل عجيل الياور القائمة (العراقية) على رأسها اياد علاوي علما ان كل قائمة كانت تحمل رقما معينا بالاظافة إلى اسم القائمة.
- وقد حصلت قائمة الأئتلاف العراقي الموحد على أغلبية الاصوات بنسبة ٤٨% تقريبًا حيث لم تكن هذه الأغلبية كافية لتشكيل الحكومة مما ادى بالقائمة إلى التحالف مع قائمة (التحالف).

الاقتراع على الدستور

- الأنتخابات العراقية بعدما جرت في ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥م وكانت عبارة عن الاقتراع للإدلاء بأصوات العراقيين على مشروع الدستور العراقي كان عدد الناخبين البالغ قرابة ١٥ مليونا تحقق الأغلبية المطلوبة لاقرار الدستور ولكن مجرد تصويت ثلثي الناخبين في ثلاث فقط من محافظات العراق الثماني عشرة بالرفض كانت تعني سقوط الدستور. التصويت على الدستور العراقي كانت بمثابة مقدمة لإجراء انتخابات برلمانية جديدة في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٥م لأختيار مؤسسات وحكومة دائمة مدتها ٤ سنوات.

- في ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٥م أي بعد ١٠ ايام من الأقتراع أعلنت اللجنة العليا المستقلة للانتخابات في العراق أن نحو ٧٨% من الناخبين العراقيين صوتوا بنعم للدستور العراقي الجديد، فيما رفضه نحو ٢١%.

- الانتخابات البرلمانية يوم ١٥/ ديسمبر/كانون الاول ٢٠٠٥م.

- وهي ثالث اقتراع، بعد انتخاب الجمعية الوطنية التي انبثقت عنها الحكومة العراقية الانتقالية، وبعد التصويت على الدستور العراقي الدائم الذي تم في ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥م والغرض من هذا الأنتخاب كان اختيار ٢٧٥ عضوا في البرلمان العراقي أو ما يطلق عليه تسمية مجلس النواب العراقي الدائم ليقوموا بدورهم بتشكيل حكومة تتولى السلطة لمدة أربع سنوات، عوضا عن الحكومات المؤقتة سمة الانتخابات السابقة، إذ لم يكن التصويت للبرنامج السياسي بقدر ما كان لدوافع الانتماء الديني أو الطائفي أو القومي.

- وبحسب توزيع المفوضية العليا التي اشرفت على الأنتخبات فقد تمت تخصيص ٥٩ من مقاعد البرلمان لمحافظة بغداد و١٩ لمحافظة نينوى و١٦ لمحافظة البصرة و١٥ لمحافظة السليمانية و١٣ لمحافظة اربيل و١٢ لمحافظة ذي قار و١١ لمحافظة بابل و١٠ لمحافظة ديالى و٩ لكل من محافظة الأنبار ومحافظة كركوك و٨ لكل من محافظة صلاح الدين ومحافظة النجف ومحافظة القادسية و٧ لكل من محافظة ميسان ومحافظة دهوك و٦ لكل من

محافظة كربلاء ومحافظة المثنى اما بالنسبة للمقاعد ال٤٥ المتبقية فقد منحت للاقليات التي لم تستطع المنافسة مع القوائم الكبرى وللمرأة العراقية إذا اخفقت في الحصول على نسبة ٢٥% من المقاعد التي اقرها الدستور.

- سجل عدد كبير من الأحزاب والائتلافات لخوض الانتخابات حيث تنافس في الأنتخاب ٦٦٥٥ مرشحا و٣٠٧ كيان سياسي و١٩ ائتلاف.

- اهم المشاركين كانوا

- الائتلاف العراقي الموحد (٥٥٥): وضمت الأحزاب الشيعية الدينية مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الدعوة الإسلامية وحركة مقتدى الصدر.
- التحالف الكردي (٧٣٠): وضمت الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني.
- القائمة العراقية الوطنية (٧٣١) وكانت عبارة عن تحالف وطني علماني بقيادة رئيس الوزراء السابق اياد علاوي.
- قائمة المؤتمر الوطني العراقي (٦١٨) وكانت عبارة عن تحالف وطني منافس بقيادة أحمد الجلبي.
- عدد من التجمعات السنية، تحت مسمى جبهة التوافق العراقية وأحد أهم الأحزاب المشاركة فيها هو الحزب العراقي الإسلامي.

- في ٢٠ يناير ٢٠٠٦م اعلنت المفوضية العليا للانتخابات في العراق ان قائمة الائتلاف العراقي الموحد (٥٥٥) التي ضمت الأحزاب الشيعية الدينية مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الدعوة الإسلامية وحركة مقتدى الصدر قد حازت على ١٢٨ مقعدا من العدد الأجمالي لمقاعد مجلس النواب العراقي البالغ عددها الأجمالي ٢٧٥ مقعدا وحلت قائمة التحالف الكردي (٧٣٠) التي ضمت الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني بالمرتبة الثانية بعد حصولها على ٥٣ مقعدا بينما حصل جبهة التوافق السنية على ٤٤ مقعدا وحلت بالمرتبة الثالثة.

الانتخابات النيابية العراقية لعام ٢٠١٠ ـ ٧ /٣/ ٢٠١٠

- انتخابات لمجلس النواب العراقي تم إجرائها في العراق في ٧ مارس/ اذار ٢٠١٠م.
- تميزت بتفكك التكتلات الطائفية، القوائم المفتوحة أعطت حرية أكثر في الاختيار للمرشحين.
- وكانت من نتائج تلك الانتخابات: ثلاث فتاوى من السيستاني ترفض تدخل المرجعية الدينية لحساب أي قائمة أو طائفة. ونسبة مشاركة مدينة النجف في الانتخابات كانت أقل من ٥٠%، في حين إن تكريت كانت بنسبة ٦٥%.
- وتنافس بالانتخابات قرابة ٦٢٨١ مرشحًا بينهم ١٨١٣ امراة توزعوا على ١٢ ائتلافًا كبيرا و١٦٧ كيانا سياسيا على ٣٢٥ مقعدا

في البرلمان، الذي يقوم بانتخاب رئيس البلاد ورئيس الوزراء. ٣١٠ مقعدا منها موزعة على المحافظات الثمانية عشرة و٨ مقاعد للأقليات (٥ للمسيحيين ومقعد لكل من الصابئة، الأيزيدين، والشبك) و٧ مقاعد تعويضية تمنح للقوائم التي تحصل على أكبر عدد من الأصوات.

اهم القوائم

كانت أهم القوائم والتحالفات السياسية المشاركة هي :

- القائمة العراقية وهي قائمة ليبرالية بقيادة رئيس الوزراء السابق إياد علاوي وتضم من شخصياتها البارزة صالح المطلك نائب رئيس الوزراء وجمال الكربولي أمين عام الحركة الوطنية للاصلاح والتنمية (الحل) وطارق الهاشمي نائب رئيس الجمهورية وأسامة النجيفي رئيس البرلمان العراقي ورافع العيساوي وزير المالية.
- قائمة ائتلاف دولة القانون التي يقودها رئيس الوزراء نوري المالكي، تضم المؤيدين للمالكي وأغلبهم من حزب الدعوة الذي إنضم بعد انقسام الائتلاف العراقي الموحد وغالبيتها من الشيعة، لكن القائمة رسميا هي علمانية ومتعددة الطوائف.
- قائمة الائتلاف الوطني العراقي بزعامة إبراهيم الجعفري وتضم المجلس الأعلى الإسلامي بزعامة عمار الحكيم، والتيار الصدري

والمؤتمر الوطني العراقي بزعامة أحمد الجلبي، وتيار الإصلاح بزعامة إبراهيم الجعفري وغالبتها من الشيعة.

- قائمة التحالف الكردستاني التي تضم الحزبين الكرديين الاتحاد الوطني بزعامة الرئيس العراقي جلال طالباني، والديمقراطي الكردستاني بزعامة رئيس إقليم كردستان العراق مسعود بارزاني.

نتائج انتخابات ٢٠١٠م

- أعلنت المفوضية العليا للانتخابات نتائج الانتخابات البرلمانية العراقية في ٢٦ مارس ٢٠١٠. أظهرت النتائج تقدم القائمة العراقية بزعامة علاوي حيث حصلت على ٩١ مقعدا، وحصل ائتلاف دولة القانون بزعامة نوري المالكي على ٨٩ مقعد، بينما حصل الائتلاف الوطني العراقي على ٧٠ مقعد، والتحالف الكردستاني على ٤٣ مقعد.

- **الانتخابات النيابية العراقية لعام ٢٠١٤م**

- في الحملات الانتخابية العراقية، ٢٠١٤ كان شعار الجميع هو التغيير، من غير أن يوضح أحد مضمون التغيير الذي يطالب به ويرمي إليه.

- تم تنظيم الانتخابات في العراق في ظل تصاعد في أعمال العنف التي حصدت ارواح نحو ثلاثة الآف شخص منذ بداية العام ٢٠١٤

- قبل يوم البدء بالانتخابات كانت الارقام تقول ان ٦٠% من مدن الأنبار تبقى محرومة من المشاركة في الانتخابات وانه يتعذر على ٩٠ ألف إنسان في قضاء أبوغريب من الذين نزحوا من القضاء بسبب الإرهاب والفيضانات مما يعني عدم مطابقتها للمعايير الدولية.

- اعلن في مفوضية الانتخابات، ان عدد المرشحين والمرشحات المتنافسين لمجلس النواب المقبل كما يلي:

  - عدد المرشحين المتنافسين من الرجال بلغ ٦٤٢٥ مرشحآ
  - فيما بلغ عدد النساء المرشحات ٢٦٠٧ امرأة مرشحة يتنافسون على ٣٢٨ مقعدا لمجلس النواب العراقي المقبل حيث تبلغ المقاعد العامة لمجلس النواب ٣٢٠ مقعدا فيما تبلغ المقاعد للمكونات ٨ مقاعد، ٥ منها للمكون المسيحي وثلاثة مقاعد توزع بين الشبك والايزيدين والصابئة، وان عدد المرشحين في عموم العراق بلغ (٩٠٣٢) مرشحا.

- ينتمي المرشحون إلى ٢٧٧ كيانا سياسيا يتنافسون على ٣٢٨ مقعدا في البرلمان العراقي الجديد.

- المفوضية العليا المستقلة للانتخابات قد صادقت على ستة كيانات نسائية من اصل ٢٧٧ كيانا سياسيا، تتنافس فيما بينها في انتخابات مجلس النواب ٢٠١٤ وُزّعت بواقع ٣ كيانات لنساء منفردات ومثلهن لمجموعات نسائية. كما سهّلت المفوضية على الكيانات النسائية،

الشروط المالية، عندما جعلت مبالغ التأمينات ٥ ملايين دينار للكيان النسائي الفرد بدلاً من ١٠ ملايين دينار للكيانات الاخرى، و٢٥ مليون دينار للكيانات النسائية المجموعة بدلا من ٥٠ مليون دينار لباقي الكيانات السياسية.

- يتنافس ٣٣٠٣ مرشحا ضمن ٥٦ ائتلافا أو كيانا سياسيا، لشغل ٧١ مقعدا عن محافظة بغداد، بينهم مقعدان مخصصان (كوتا) للمسيحيين والصابئة، في حين تؤشر الخارطة الانتخابية في العاصمة ان سكانها أكثر من تسعة ملايين و٦٠٠ ألف نسمة،

- من بين القوائم الطموحة يبرز التحالف المدني الديمقراطي، الذي يقول إن لديه «مليون صوت في العراق كانت مشتتة»، ويحاول جمعها مراهنا على رغبة الشارع بالتغيير، والتعديل الذي طرأ على قانون الانتخابات، لاسيما أنه حشد طيفًا من القوى الوطنية ويأمل ان يتوفر له موطئ قدم حيث يراهن على الناخب العلماني أو الليبرالي الذي سئم من سطوة رجال الدين.

- قانون الانتخابات رقم (٤٥) لعام ٢٠١٣ اشار إلى ان انتخابات مجلس النواب ستجري على نظام الدوائر المتعددة وبعدد المحافظات مع اعطاء خصوصية للمكون المسيحي في ان يكون العراق دائرة انتخابية واحدة، وسيتم احتساب عدد المقاعد وفقا لقانون سانت ليغو المعدل.

- الانتخابات البرلمانية في العراق على ثلاث مراحل الاولى يومي ٢٧ و٢٨ أبريل الجاري، للعراقيين المقيمين في الخارج، والمرحلة الثانية يوم ٢٨ التي اطلق عليها الاقتراع الخاص، وتشمل عناصر قوات الامن والسجناء والمرضى، والمرحلة الاخيرة الاقتراع العام الذي سيجري في ٣٠ نيسان في عموم المحافظات.
- فرضت على المواطنين العراقيين البطاقة الالكترونية، وعدها من الأوراق الثبوتية في حال توجه المواطن إلى دائرة حكومية ما لإنجاز معاملة له والذي تولدت لديه مخاوف من أنه إذا لم يكن حاملا لتلك البطاقة فان اجراءات عقابية قد تطاله.
- من مجموع اكثر من ٢٠ مليون ناخب عراقي لم يتوجه إلى صناديق الاقتراع سوى ١٢ مليونا.
- بلغ عدد الناخبين من الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية (١.٠٢٣.٨٢٩) عنصر حسب ما أعلنه صفاء الموسوي المتحدث باسم المفوضية.
- افراز ما بين (٧ـ ٨) مليون أمي في العراق لا يعرفون القراءة والكتابة، كم شارك منهم في انتخابات ٢٠١٤م؟ وكيف تم توجيههم دون أن يعوا ماذا يعني الإقتراع وما هي أهميته؟.
- عدد الذين صوتوا في الخارج هو ١٦٥ ألفا و٥٣٢ مصوتا يمثل انتكاسة قوية وصدمة للعملية الانتخابية برمتها واوضح ان نسبة المشاركة بلغت ٧.٦% من عدد الناخبين بحيث وصلت كلفة الصوت الواحد إلى ١٥٠ دولارا. اما المصروفات التي تكبدتها الموازنة

العراقية لا يمكن اعتبارها سوى هدر للاموال يتحمل مسؤوليتها مجلس النواب الذي افتى في قانونه الاخير بضرورة اجراء انتخابات في الخارج بحجج واهية وبدون ان يأخذ بالحسبان الخسارة المادية التي يتحملها العراق نتيجة ذلك. تم حساب كلفة انتخابات الخارج عام ٢٠١٤ نتيجة توسيع دائرة الدول التي اجريت فيها الانتخابات إلى ٢٠ دولة بدلا من ١٤ وارتفاع في الاسعار حاليا قياسا لتلك التي كانت قبل عقد من الزمن، بالاضافة لهبوط قيمة الدولار، فأن كل هذه العوامل تيسر لتقديراتنا الاشارة لصرف ما يقارب من ٢٥ مليون دولار على انتخابات الخارج عام ٢٠١٤م.

- عدد استمارات الشكاوى بلغ ١٢٩ استمارة فيما وصل عدد وكلاء الكيانات السياسية إلى ١٤٣٢ وعدد المراقبين المعتمدين ٣٧٤ وعدد الاعلاميين المعتمدين ٣٩٤.
- منظمة الهجرة الدولية التي اشرفت على اول انتخابات عراقية جرت في الخارج كانت قد اشارت مطلع عام ٢٠٠٥م إلى وجود مليون و٢٧٧ الفا و٣٣١ عراقيا في ١٤ دولة انتقتها لهم حق التصويت وكان من ادلى بصوته في تلك الانتخابات التي جرت في شهر كانون الثاني ٢٠٠٥م بلغ ٢٦٥ الفا و١٤٨ ناخبا فقط وهذا ما مثل نسبة ٢٠% تقريبا وتعين على كل من أراد التصويت في الخارج اثبات إنه عراقي ولد قبل ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٦. اما في انتخابات الخارج الثانية التي جرت في شهر كانون اول ٢٠٠٥م والتي اشرفت عليها المفوضية مباشرة فقد بلغ عدد الذين ادلوا بأصواتهم في ١٥ دولة

خارج العراق فقط ٢٩٨ الفا و٣٠٠ ناخب وبلغت الكلفة الكلية للعملية ١٧ مليونا و٦٨٥ الفا و٩٢٢ دولارا وهذا يعني ان نسبة الذين ادلوا بأصواتهم بلغت حوالي ٢٣% من مجموع اصوات الناخبين في الخارج وحسب احصاء منظمة الهجرة الدولية ومما يعني ايضا ان كلفة الناخب الواحد بلغت (٦١) دولار وهي نسبة عالية جدا مقارنة بالدول الاخرى والتي اجريت فيها انتخابات الخارج.

- تقرير الامم المتحدة اشار إلى ان كلفة الناخب في استراليا تبلغ ٣,٢ دولار وبنغلاديش ٠,١٧ دولار وباكستان ٠,٥ دولار، ودولار واحد في الولايات المتحدة ومعظم دول غرب اوربا، و٣ دولارات في بعض دول امريكا اللاتينية و٥ دولارات في المكسيك وكمبوديا وسويسرا.
- وفي كركوك منع تصويت السجناء لكونهم عرب جاء ذلك على لسان عبد الله غرب خلال قناة الشعب.
- في لقاء مع السفير العراقي في ايران مع التلفزيون الإيراني قال: نحن بحاجة إلى ١٤٨ مقعدا لكي نختار رئيسًا للوزراء، مع هذا يجب تشكيل تحالفات جديدة بين التيارات المتقاربة في وجهات النظر السياسية ومن الممكن بلورة توافقات جديدة.
- انسحاب ممثلي المفوضية العليا للانتخابات من مراكز التصويت الخاص في المستشفيات ذات الاغلبية المثقفة، فأن المفوضية العليا للانتخابات مسؤولة عن حرمان اكثر من (مئة الف) ناخب من الاطباء

والممرضين وباقي الكادر الطبي والاداري من حقهم الدستوري الادلاء باصواتهم.

- إن كلفة الناخب في العراق تبلغ ٧ دولارات للمواطن الواحد بينما الكلفة الحقيقية لانتخاب الشخص في مختلف دول العالم لا تتجاوز ٣٣ سنتا ما يؤشر الكلفة العالية للانتخابات والتي ارهقت موازنة الدولة التي تعاني من العجز. واضاف: ان هذا المبلغ لا يشمل الاجراءات الامنية وتعطيل حركة الدولة ومختلف الفعاليات المرتبطة بالانتخابات وهو يمثل فقط المستلزمات اللوجستية الداعمة للانتخابات من ورق وصناديق وبطاقة الناخب الالكترونية واجهزة الحاسوب والعد والفرز ولا تدخل فيها رواتب موظفي المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.
- الأموال المصروفة على الانتحابات تكفي لبناء الآف المساكن منخفضة التكلفة للعوائل التي تسكن في بيوت الصفيح في قلب العاصمة بغداد.
- تكلفة (أغنية) واحدة لأحد المرشحين وصلت إلى ٢٠ ألف دولار عدا ثمن بثها على الفضائيات.
- الدعاية الانتخابية فقد اتخذت اشكالا جديدة ومكلفة جدا وتعد الاعلى في العالم حيث صرفت فيها ارقام خيالية يقدرها بعض المعنين ب٧٥٠ مليون دولار صرفت في معظمها من الكيانات الكبيرة المسيطرة على الساحة السياسية في العراق.
- أن كميات الحديد التي استخدمت في الدعاية الانتخابية تقدر بالاف الاطنان. فقد انعشت الانتخابات النيابية العراقية مهنة الحدادين حيث

بلـغ اشـغال محـلات الحـدادة وللشـهر الماضـي طيلـة الليـل والنهـار واستخدمت الاف الاطنان من اجل تعليق صور المرشحين التي غطت شوارع مدن وبلدات المحافظات العراقية من شمالها إلى جنوبها.

- احد المرشحين كشف من ان الفضائيات الكبيرة في العراق حددت سعر الثانية الواحدة في الاعلان، بألف دولار امريكي، مبينا ان هذه الفضائيات حققت ملايين الدولارات خاصة من وصفهم ب «حيتان الكتل الكبيرة».
- الانتخابات انعشت كتاب الاغنية والملحنين والمطربين والفرق الموسيقية واستوديوهات التسجيل وحصلت هذه المهن على مبالغ جيدة من وراء الدعاية الانتخابية.
- وشهدت الثروة الحيوانية اسرافا كبيرا في اعداد المواشي المجزورة فيما تسمى «المؤتمرات الانتخابية» ونحرت الآف المواشي من قبل الكتل الكبيرة واقيمت ولائم تكفي لاشباع الآف الجياع في العراق لكنها قدمت من اجل الحصول على الاصوات ليس إلا، محافظ صلاح الدين احمد عبدالله اقام مؤتمرا انتخابيا نحر خلاله ٢٥٠ خروفا في وجبة واحدة فيما نحر مرشحون اخرون مئات الخراف في مؤتمرات اخرى في سامراء والشرقاط وتكريت وبلد والدجيل، وهذه الحالة منتشرة في اغلب المحافظات ذات الطابع العشائري، مما أدى إلى ارتفاع اسعار اللحوم.

- **اهم القوائم المشاركة**

ويشارك ائتلاف دولة القانون في انتخابات بغداد، ضمن تحالف مع منظمة بدر التي يرأسها وزير النقل الحالي هادي العامري، ومستقلون التي يتزعمها نائب رئيس الوزراء لشؤون الطاقة حسين الشهرستاني، وتضم عددا من النواب الحاليين مثل، حيدر العبادي، وعباس البياتي، ومستشار الأمن الوطني السابق موفق الربيعي، وأعضاء في مجلس المحافظة، أبرزهم المحافظ السابق صلاح عبدالرزاق، ورئيس المجلس السابق كامل الزيدي.وبحسب مراقبين فإن هنالك عدة كتل جديدة في بغداد، تابعة لائتلاف دولة القانون، كونها ترفع صور المالكي إلى جوار مرشحيها، مثل تيار الدولة العادلة، الذي يتزعمه وزير السياحة السابق قحطان الجبوري، وتجمع النهضة الشاملة، في محاولة من ائتلاف المالكي الاستفادة من طريقة سانت ليغو (Sante Lague)، التي يؤمل احتساب الأصوات الانتخابية بموجبها.

نتائج انتخابات ٢٠١٤

المجموع الكلي للاصوات الصحيحة بلغ ١١٢٢٢٤٠٣

عدد مقاعد الرجال ٢٣٧

عدد مقاعد النساء ٨٣

عدد مقاعد الاقليات ٨

عدد المقاعد الكلي ٣٢٨

عدد الكيانات الفائزة ٤٢

عدد المرشحات من النساء الفائزات باصواتهن دون الحاجة للكوتا يبلغ(٢٢)

اهم القوائم الفائزة

فاز ائتلاف دولة القانون (٩٢) مقعد بعدد اصوات ٣١٤١٨٣٥ وهي العدد الاعلى

وائتلاف المواطن (٢٩) مقعد بعدد اصوات ٩٨٢٠٠٣

ائتلاف الاحرار (٢٨) مقعد بعدد اصوات ٩١٧٥٨٢

الحزب الديموقراطي الكردستاني (١٩) مقعد بعدد اصوات ٨٥٢١٩٨

الاتحاد الوطني الكوردستاني (١٩) مقعد بعدد اصوات ٧٨٠٥١٩

ائتلاف الوطنية (٢١) مقعد بعدد اصوات ٦٨٦٠١٧

متحدون للاصلاح (٢٣) مقعد بعدد اصوات ٦٨٠٦٩٠

وفازت المكونات المختلفة :

- حصلت قائمة الرافدين على (٢) مقعد بعدد اصوات ٢٤٣٥٣
- وقائمة المجلس الشعبي الكلداني السرياني الاشوري على (٢) مقعد عدد اصوات ٢٣٧٨١
- قائمة الوركاء الديمقراطية (عن الكوتا النسوية المسيحية) (١) مقعد بعدد اصوات ١٢٦٢٦
- الحركة الايزيدية من اجل الاصلاح والتقدم (١) مقعد بعدد اصوات ١٤٩١٠
- المكون الصابئي (١) مقعد بعدد اصوات ٧١٩٤
- مجلس احرار الشبك (١) مقعد بعدد اصوات ٣٣٧٥

- ثبت ان معظم القادة السياسيين العراقيين وكذلك اكثرية المراجع الدينية الشيعية والسنية، لديهم جهلاً فظيعاً بالواقع العراقي الراهن، وعارضوا بقوة ولاية ثالثة للمالكي بل وكانت خسارة المالكي لديهم امراً مفروغاً منه

- رفض الفائز وما زال قائمًا ويستعين خصومه حتى بالسحرة والمنجمين، وابرازهم لتنبؤ منجم عربي ملقب ب«نوستراداموس العرب» من ان المالكي سيقتل بعد الانتخابات!

- ولاية ثالثة وحتى رابعة، لن تكون دون ان يعمقوا من الديمقراطية ومبادئ حقوق الانسان ويستفيدوا من اخطائهم مع تجنب الاقصاء والتهميش والفردية في اتخاذ القرارات، واضطهاد هذا المكون أو ذاك، ان التغيير الحقيقي هو في انصاف المكونات الاجتماعية ونشر الديمقراطية واجراء المصالحة ومعانٍ سامية اخرى.

- الإبقاء على الخريطة السياسية وإبقاء الزعامات السياسية يمثل مشكلة العراق في مواقعها وحمايتها من المنافسة العادلة، ويعزز الافتراض باستمرار الأزمات والتوجه إلى سيناريوهات التقسيم.

السيرة الذاتية

C.V

منى محمود العينه جي

المؤهلات

- دكتوراه في علم الاجتماع الحضري – جامعة بغداد ١٩٩٨م
- ماجستير فى علم النفس الإجتماعى- ١٩٩٠م.
- دبلوم عالى فى علم إجتماع المرأة- ١٩٨٩م.
- بكالوريوس في الاحصاء التربوي والنفسي – ١٩٧٨م
- عملت في مجال العلاقــات الثقافيــة - منظمــة اليونســكو ومنظمة الالكسو
- وفي مجال التعليم الجامعي عملت في:

كلية التربية الأساسية، وكليــة العلــوم السياســية، وكليــة الاداب – الجامعة المستنصرية

صدر لها :

- التحضر في المجتمع العراقي، في ضوء فرضية الدكتور علي الوردي، في الانتقال من البداوة الى الحضارة – ٢٠١٣م
- اشتركت مع مجموعة اساتذة باعداد كتاب (فلاسفة بغداد – متصوفة ومعتزلة) بتكليف من بيت الحكمة، (لم يطبع بسبب الاحداث في العراق)

لها مجموعة بحوث منشورة اخرها

- البيوتكنولوجيا والمجتمعات التقليدية - رؤية دينية
- من ثورة الاتصال الى ثورة التغيير، رؤية تكنو – اجتماعية لاحداث مصر ٢٠١١م
- ثقافة الانتخاب في المجتمع العراقي، (انتخابات ٢٠٠٥م انموذجا)
- انثروبولوجيا التحول الديني، دراسة في انتشار الكنائس الانجيلية في المجتمع العراقي .
- العرق الضائع ويهود اليوم.
- البهائية .. رؤية اجتماعية معاصرة

شاركت بمجموعة دورات خارج العراق

- دورة إعلامية فى إنتخابات جمهورية التشيك مع المشـــاركة هناك كمراقبة دولية فى إنتخابات ٢٠٠٥م.
- دورة فى العدالة الإنتقالية. / إيطاليا / سيراكوزا / صــقلية / مع وزارة حقوق الانسان
- دورة فى حقوق المرأة / كوبنهاجن / النرويج .
- دورة حقوق المرأة فى الدستور العراقــى. / الأردن / عمــان / أقامتها نقابة المحامين الأمريكية

تحت الانجاز

- كتاب ... رقصة الموعود على إيقاع دفوف الاديان
- كتاب ... وهم القومية العربية